دراسات حول سيد قطب وفكره

(١)

# سيد قطب

## الشهيد الحي


بقلم

صلاح عبد الفتاح الخالدي



مكتبة

الأقصى

عمان - الأردن

الطبعة الأولى

١٤٠١ ـ ١٩٨١



نشر وتوزيع :

مكتبة الأقصى

لصاحبها : أحمد الخطيب

عمان ـ الأردن ـ شارع الأمير محمد ـ بناية مسجد احمد قارة

هاتف : ٢٥٦٥٢ ـ ص.ب ٧٧٨١

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

عمان ـ هاتف ٣٧٧٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

## الاهـــداء

الى الشباب الاسلامي العامل المجاهد في كل مكان ، الى الرجال الأوفياء الذين باعوا حياتهم في سبيل الله ، الى جنود الحركة الاسلامية المخلصين ، اليهم جميعا أقدم هذه الدراسة عن الامام الشهيد سيد قطب رضي الله عنه ، وأرجو الله أن يعينني على تقديم دراسات أخرى في المستقبل ، وأن يجعل الجميع خالصا لوجهه ! ! .

**صلاح**

# مقدمـــة

ان الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ٠

أما بعد :

فلقد كان سيد قطب رائدا – والرواد في تاريخ البشرية قليلون – كان رائدا في ميدان الأدب والنقد ، ورائدا في ميدان الفكر والبحث ، ورائدا في ميدان الدعوة والحركة ، ورائدا في ميدان الجهاد والاستشهاد !! ٠

عاش – رحمة الله عليه – حياة حافلة ، وتثقف بثقافة عريضة ، وترك آثارا ضخمة ، وختم الله حياته في هذه الدنيا بخاتمة سعيدة ، حيث جاءته الشهادة تسعى اليه في سجنه ٠

ان سيد قطب شخصية عجيبة حقا ! والأعجب من ذلك هو الجحود الذي قوبل به في حياته من الأدباء والدارسين !! والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده من الباحثين !!! ولقد كان حريا بعشاق الثقافة والأدب أن ينشروا تراثه الأدبي الموجود في المجلات الأدبية المختلفة ، التي كانت تصدر فيما بين العشرينيات والخمسينيات من هذا القرن ، وأن يتبعوها بدراسات عن شخصيته وبحوثه ومقالاته وأدبه ٠ كما كان حريا بالباحثين الاسلاميين أن يعدوا دراسات عن فكره الاسلامي ، ومنهجه الحركي ، ومواقفه الجهادية٠

ولو كان سيد قطب عند غيرنا ، لكتبوا عنه الكثير ، وفاخروا به الدنيا ! انهم يجعلون من بعض رجالهم علماء وعباقرة وفلاسفة ، وقادة رأي ، ورواد فكر ، وهم بجانب سيد قطب أقزام أقزام !!! ٠

ان سيد قطب قمة عالية شامخة ، قمة في عالم الأدب والنقد ، وقمة في عالم البحث والتأليف ، وقمة في عالم الفكر والثقافة ، وقمة في عالم الدعوة والحركة والجهاد ! ان هذه القمة قد عرفت ، ولكنها لم تكتشف !

وليس عجيبا أن يكون قمة ، ولكن الغريب أنها لم تثر في نفوس المعجبين حوافز لاكتشافها !! حيث اكتفوا بالنظر اليها من بعيد معجبين مبهورين !! وان محاولات اكتشاف هذه القمة ما زالت في مراحلها الأولى تستنهض همم الباحثين !!! ٠٠

ظهرت بعض الدراسات عن سيد قطب ٠ والدراسات التي ظهرت باللغة العربية حتى الآن هي : «العالم الرباني الشهيد سيد قطب» للمرحوم العشماوي أحمد سليمان ٠ و «سيد قطب : خلاصة حياته ومنهجه في الحركة والنقد الموجه اليه» لمحمد توفيق بركات ٠ و «مع سيد قطب في فكره السياسي والديني» للدكتور مهدي فضل الله ٠ و «سيد قطب وتراثه الأدبي والفكري» لابراهيم عبد الرحمن البليهي ٠ و «سيد قطب أو ثورة الفكر الاسلامي» لمحمد علي قطب[١] ٠ و «الشهيد سيد قطب» وهو مجموعة من المقالات نشرتها جماعة أصدقاء الشهيد سيد قطب ٠ بالاضافة الى العديد من المقالات نشرت عنه في المجلات الاسلامية في ذكرى استشهاده ٠ وهناك عدد من الدراسات عنه ما زالت قيد التحرير[٢] أو تحت الطبع[٣] ٠

---

(١) نشر محمد علي قطب كتابه هذا في لبنان ، حيث صدرت طبعته الثانية عن دار الحديث عام ١٩٣٥هـ ٠ وقد نشرت له حديثا دار المختار الاسلامي في القاهرة كتابا آخر تحت عنوان « سيد قطب ٠٠ الشهيد الأعزل » وكان المتوقع أن يكون دراسة ثانية للمؤلف عن سيد قطب !! ولكنه لم يكن كذلك ! وانما هو نفس كتابه الأول أعاد طباعته في مصر ، واختار له عنوانا جديدا ، واضاف له كلمة قصيرة عن « التكفير والهجرة » و «العزلة» !! وقد وضع في مقدمة كتابه «القديم الجديد» كلمة للأستاذ محمد قطب ـ شقيق الشهيد نشرتها مجلة الشهاب اللبنانية قبل سنوات حول فكر الشهيد ٠ وقد أوهم القراء بأن الأستاذ محمد قطب قرأ كتابه وقدم له !! أقدم هذه الحقيقة للقراء بدون تعليق ، فهي تغنى عن التعليق !

(٢) من هذه الدراسات دراسة الأخ الأستاذ عبد الله الخباص عن « سيد قطب الأديب الناقد » التي يعدها للحصول على الماجستير في الآداب من الجامعة الأردنية ٠ ودراسة الأستاذ أحمد البدوي بعنوان « سيد قطب ناقدا » التي يعدها للحصول على الدكتوراه في الآداب من جامعة الخرطوم ٠

(٣) صدر أخيرا ـ وبعد الانتهاء من هذه الدراسة ـ كتاب الأستاذ يوسف العظم عن « رائد الفكر الاسلامي الشهيد سيد قطب » وهو من أجود الدراسات التي صدرت عن سيد قطب ـ حتى الآن !

ولكن معظم هذه الدراسات تنقصها الدقة والموضوعية ، والتوثيق والبحث المستقصي ، حيث صيغت بأسلوب عاطفي ، ووجدت فيها أخطاء كثيرة أثناء الحديث عن حياة سيد قطب الأدبية أو الاسلامية ، أو أثناء الاشارة الى تراثه الأدبي والفكري ٠

لذلك أعددت هذه الدراسة عن سيد قطب ، وأملي أن أكون قد وفقت في تقديم صورة حقيقية صادقة عن سيد قطب ، وأن تكون علمية موضوعية موثقة ، ولائقة بالشخصية الفذة التي تناولتها ! ٠

وقد بذلت جهدا كبيرا أثناء جمع المادة ، حيث بحثت عن المعلومات والأخبار في مظانها ، وحرصت على مقابلة الأشخاص الذين كانت تربطهم بسيد قطب علاقة وثيقة ، وكان في مقدمة الذين قابلتهم وأفدت منهم فائدة عظيمة شقيقه الأستاذ محمد قطب جزاه الله خيرا ، وقد حالت ظروف قاهرة بيني وبين مقابلة بعض الأشخاص في مصر ، وأرجو أن أتمكن من مقابلتهم في المستقبل القريب ! ٠

كما بذلت جهدا كبيرا في الاطلاع على مقالات سيد قطب في الصحف والمجلات التي كانت تصدر في الفترة ما بين ١٩٢٤ ـ ١٩٥٤ ، وقد اطلعت على مقالاته في مجلات : الرسالة ، والثقافة ، والكتاب ، والكاتب المصري ، والمقتطف ، والعالم العربي ، والمسلمون ٠ واطلعت على بعض مقالاته في مجلات : الأسبوع ، والبلاغ الأسبوعي ٠ وهناك العديد من المجلات لم أتمكن من الاطلاع على مقالاته فيها ، حيث حالت الظروف القاهرة ـ ثانية ـ دون ذلك ، مثل : الجهاد ، والحياة الجديدة ، والأهرام ، والوادي ، والسوادي ، والأفق الجديد ، وروز اليوسف ، واللواء الجديد ، والاشتراكية ، والدعوة ، والاخوان المسلمون ٠ وأرجو أن أتمكن من الاطلاع على هذه المجلات ، وأن أضيف ما أجده فيها الى طبعة قادمة !

وقد جعلت هذه الدراسة في بابين :

**الباب الأول :** عصر سيد قطب وبيئته وحياته ، وهو ثلاثة فصول :

**الفصل الأول :** عصر سيد قطب : انتقيت أربعة مظاهر للحياة في هذا العصر : الحياة السياسية وأهم أحداثها ، والحيـاة الاجتماعيـة وأبرز ملامحها ، والحياة الاسلامية وأوضح مظاهرها ، والحياة الأدبية وأشهر رجالها ٠

**الفصل الثاني :** بيئة سيد قطب : تحدثت فيه عن قريته في الصعيد ، وعن أصله ، وفصلت الحديث عن أسرته ، ورسمت ملامح لوالده ووالدته، وعرفت باخوته وتحدثت عن نشأته وسط هذه الأسرة ، وتربيته فيها ، وختمت هذا الفصل بالحديث عن وصفه ٠

**الفصل الثالث :** مشاهد من حياة سيد قطب : عرضت فيه لمشاهد مختلفة من حياته ، واخترت من المشاهد ماله دلالة واضحة على حياتـه وشخصيته ٠ والمشاهد التي عرضتها هي : دراسته في القرية ، ودراسته في دار العلوم ، وسيد قطب في وزارة المعارف ، وسيد قطب مع عباس العقاد ، وعمله في الصحف والمجلات ، والمرأة في حياته ، وسيد قطب في أمريكا ، وسيد قطب مع جماعة الاخوان المسلمين ، وختمت هذه المشاهد بذكر محنته واستعلائه ، ثم صدور حكم – جائر غشـوم – باعدامـه ٠ ووصفت اللحظات الأخيرة التي سبقت استشهاده ٠

**الباب الثاني :** ثقافته ومواهبه وآثاره ، وهو أربعة فصول :

**الفصل الأول :** تحدثت فيه عن مصادر ثقافته وأثرها على فكره ، ذكرت فيه مصادر ثقافته في القرية ، وفي كلية دار العلوم ، ومصادر ثقافته العربية في القاهرة ، كما تحدثت عن مصادر ثقافته الغربية ، وأثرها السلبي على شخصيته ونفسيته وفكره ، والتي أوصلته الى «رحلة الضياع» وصحبته قليلا في رحلة ضياعه ، وأثبت بعض أشعاره التي قالها وهو يقطع هـذه الرحلة ٠ ثم تحدثت عن ثقافته الاسلامية التي أنهت ضياعه ، ونقلتـه «نقلة بعيدة» الى عالم الرضا والاطمئنان ، عالم المعرفة الصحيحة والتصور السليم ، عالم الدعوة والجهاد في سبيل الله ٠

**الفصل الثاني :** ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه : رسمت فيه أهم ملامح شخصيته ، وهي : الصدق ، والجدية ، والحركة ، والعصامية ، والعزة ، والنزاهة · وذكرت أهم خصائص أسلوبه وهي : التصوير ، والوضوح ، والسلاسة ، والثورية ·

**الفصل الثالث :** مواهبه : بينت فيه أبرز مواهب سيد قطب باختصار ، واخترت سبعة جوانب تجلت فيها مواهبه ، وهي : الأدب ، والشعر ، والنقد ، والقصة ، والمحاضرة ، والبحث ، والتحليل السياسي ·

**الفصل الرابع :** تراثه الأدبي والفكري : ذكرت فيه أهمية نشر تراثه كله ، وبخاصة مقالاته الأدبية في الصحف والمجلات ، ثم تحدثت عن كتبه المطبوعة ، ورتبتها حسب صدور طبعاتها الأولى · وعرفت فيها بايجاز · وختمت هذا الفصل بذكر بحوث له أعدها أو بدأ في اعدادها ، ولكنها لم تنشر ·

وقد جعلت هذه الدراسة حلقة أولى في سلسلة دراسات حول سيد قطب وفكره ، أنوي اصدارها في المستقبل ان شاء الله · أرجو الله أن يوفقني فيها ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم · وأن يدخرها لي في ميزان حسناتي يوم القيامة ·

**وبعد :**

فها هي هذه الدراسة ، أقدمها — الآن — بهذه الصورة ، وانني أرجو من القراء الكرام ، أن يتكرموا بتصحيح ما قد يوجد فيها من أخطاء ، واضافة ما قد يوجد عندهم من معلومات ·

وانني أشكر الله عز وجل على نعمه الكثيرة التي أنعم بها علي ، ومنها هذه الدراسة ، فما كان فيها من حق أو صواب فمن الله ، وأشكره أن

وفقني الى ذلك ، وما كان فيها من خطأ أو نقص فمن نفسي وأعتذر عن ذلك ، وأعوذ بالله من فتنة القول ، وفتنة العمل ٠

دعواهم فيها سبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ٠ وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وسلم ٠

**صلاح عبد الفتاح الخالدي**

٤/١/١٤٠١ هـ
١١/١١/١٩٨٠ م

# «سيد قطب ... الشهيد الحي»

قليلا ما تنطق الأسماء على مسمياتها تمام الانطباق ! وسيد قطب من الذين تنطبق أسماؤهم عليهم تماما ، فقد كان سيدا ، وكان قطبا !

ويحلو لي في هذا المقام أن أورد عبارات لسيد قطب قالها عن الامام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه ، في مقاله « حسن البنا .. وعبقرية البناء» .

«في بعض الأحيان تبدو المصادفة العابرة كأنها قدر مقدور ، وحكمة مدبرة في كتاب مسطور .. حسن البنا .. انها مجرد مصادفة أن يكون هذا لقبه .. ولكن من يقول انها مصادفة ، والحقيقة الكبرى لهذا الرجل هي البناء ، واحسان البناء ، بل عبقرية البناء ؟ .

لقد عرفت العقيدة الاسلامية كثيرا من الدعاة .. ولكن الدعاية غير البناء .. وما كل داعية يملك أن يكون بناء ، وما كل بناء يوهب هذه العبقرية الضخمة في البناء .. هذا البناء الضخم .. الاخوان المسلمون .. انه مظهر هذه العبقرية الضخمة في بناء الجماعات ..»(١) .

الى أن يقول «.. ترى أكانت مصادفة عابرة أن يكون هذا لقبه ؟ أم انها الارادة العليا التي تنسق في كتابها المسطور بين أصغر المصادفات ، وأكبر المقدورات ، في توافق واتساق؟»(٢) .

وسيد قطب رضي الله عنه عاش سيدا ، كان سيدا منذ صغره ، فكانت اهتماماته هي اهتمامات الكبار ، وكان سيدا في شبابه ، ملك نفسه ولم يسمح لها أن تقوده الى الشهوات ، وكان سيدا في انتمائه الى الاسلام ، وانتسابه الى الحركة الاسلامية المجاهدة ، وتحركه بالاسلام ، وجهاده في سبيل الله ، وكان سيدا في استعلائه على الطغيان ، وثباته على

(١) دراسات اسلامية : ٢٢٥ طبعة دار الشروق .
(٢) المرجع السابق : ٢٢٧ .

الحق ، وصبره على المحنة ومواقفه أمام الطغاة • وكان سيداً حتى في مفارقته هذه الدنيا ، حيث رزقه الله الشهادة ، أمنية كل مسلم صادق ! لقد عاش سيدا ، ومات سيدا ، وصدق فيه قول الشاعر :

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك احدى المكرمات

وكما كان سيدا ، فقد كان قطبا ، قطب في الأدب والنقد ، يقبل القراء والمثقفون على مقالاته وقصائده وتحليلاته ، بشغف واستمتاع • وقطب في فكره الاسلامي ، حيث يعتبر في طليعة المفكرين الاسلاميين في العصر الحديث • وقطب في جهاده وثباته واستشهاده • وقطب في اقتداء الشباب الاسلامي المجاهد به ، في عالم الدعوة والحركة والجهاد •

وأعتقد أن هذه «القطبية» سيكون لها أبلغ الأثر في مسيرة الحركة الاسلامية في المستقبل ، وفي الجهود المبذولة لقيام المجتمع الاسلامي ، وتحكيم منهج الله في حياة البشر من جديد ! •

وان سيد قطب هو الشهيد الحي ، بالمعنى الكبير لكلمتي «الشهادة» و «الحياة» لا بمعناهما الضيق ، المتبادر الى أذهان بعض الناس ، عند اطلاقهما ! •

ان المعنى القريب ، الذي يتبادر الى بعض الأذهان ، لكلمة «الشهيد» هو من يموت في سبيل الله ! ولكن للشهيد معنى أشمل من هذا ! انه شهيد وشاهد ! •

يقول سيد قطب – رحمة الله عليه – عند تفسيره لقوله تعالى «ويتخذ منكم شهداء»(٣) •

«ان الشهداء لمختارون ، يختارهم الله من بين المجاهدين ، ويتخذهم لنفسه – سبحانه – فما هي رزية اذن ولا خسارة ، أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد ، انما هو اختيار وانتقاء ، وتكريم واختصاص ••» •

---

(٣) آل عمران : ١٤٠ •

وعن تضمن كلمة «الشهيد» معنى «الشاهد» يقول : «ثم هم شهداء ، يتخذهم الله ، ويستشهدهم على هـذا الحـق الذي بعث بـه للناس ، يستشهدهم فيؤدون الشهادة ، يؤدونها أداء لا شبهة فيه ، ولا مطعن عليه ، ولا جدال حوله ، يؤدونها بجهادهم حتى الموت ، في سبيل احقاق هذا الحق ، وتقريره في دنيا الناس»(٤) .

وكما كان سيد قطب شهيدا ، فقد كان حيا ! وما زال حيا ! فرغم أنه رحل عنا بجسده الفاني ، الا أنه بقي حيا بيننا في فكره وجهاده ، وابائه واستعلائه ، ومواقفه واستشهاده ! ان أفكاره حية ، وان كلماته دبت فيها الحياة ، لأنه سقاها بدمه — دم الحياة — ومات في سبيلها ، فاستوت على سوقها ، وضربت جذورهـا في أعمـاق الأرض ، وارتفعت فروعها في السماء ، واستعصت على القلع والاجتثاث ، أو القطع والبتر . وصارت تعطي أكلها الشهي في قلوب مؤمنة صادقة ، متعطشة للدعوة والجهاد والثبات .

يقول سيد قطب في تفسير قوله تعالى «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات ، بل أحياء ولكن لا تشعرون»(٥) .

«هؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ليسوا أمواتا .. انهم أحياء ، فلا يجوز أن يقال عنهم أموات . لا يجوز أن يعتبروا أمواتا في الحس والشعور ، ولا أن يقال عنهم أموات بالشفة واللسان . انهم أحياء بشهادة الله سبحانه . فهم لا بد أحياء .

انهم قتلوا في ظاهر الأمر ، وحسبما ترى العين ، ولكن حقيقة الموت وحقيقة الحياة لا تقررهما هذه النظرة السطحية الظاهرة .. ان سمة الحياة الأولى هي الفاعلية والنمو والامتداد ، وسمة المـوت الأولى هي السلبية والخمود والانقطاع .. وهؤلاء الذين يقتلون في سبيل الله ،

---

(٤) في ظلال القرآن : ٤٨١/١ طبعة الشروق .
(٥) البقرة : (١٥٤) .

فاعليتهم في نصرة الحق الذي قتلوا من أجله ، فاعلية مؤثرة • والفكرة التي من أجلها قتلوا ، ترتوي بدمائهم وتمتد ، وتأثر الباقين وراءهم باستشهادهم يقوى ويمتد ، فهم ما يزالون عنصرا فعالا دافعا مؤثرا ، في تكييف الحياة وتوجيهها ، وهذه هي صفة الحياة الأولى • فهم أحياء أولا بهذا الاعتبار الواقعي في دنيا الناس»(٦) •

هذا عن حياته بيننا بمواقفه وحركته ، وأفكاره وكلماته • أما حياته عند الله عز وجل – كشهيد – فيبينها حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي وصف فيه حياة الشهداء في الجنة بقوله : «أرواحهم في جوف طير خضر • لها قناديل معلقة بالعرش ، تسرح من الجنة حيث شاءت • ثم تأوي الى تلك القناديل • فاطلع اليهم ربهم اطلاعة • فقال : هل تشتهون شيئا ؟ قالوا : أي شيء نشتهي ؟ ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا • ففعل بهم ذلك ثلاث مرات • فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا ، قالوا : يا رب ، نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا ، حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى• فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(٧) •

بهذه المعاني والايحاءات ، وبهذه الظلال والاعتبارات ، كان سيد قطب شهيدا حيا ، ولذلك اخترت لدراستي هذا العنوان «سيد قطب •• الشهيد الحي» •

والله من وراء القصد •

(٦) في ظلال القرآن : ١٤٣/١ طبعة الشروق •
(٧) صحيح مسلم بعناية محمد فؤاد عبد الباقي ٣ : ١٥٠٢ ـ ١٥٠٣ دار احياء التراث العربي ـ لبنان •

# الباب الأول

## عصره وبيئته وحياته

# الفصل الأول

## عصر سيد قطب

من الضروري أن يسبق دراسة شخصية سيد قطب ، الحديث عن عصره الذي عاش فيه ، ورسم ملامح بارزة لمختلف مظاهر الحياة في ذلك العصر ٠

لأن سيد قطب أديب كبير ، ومفكر عظيم ، عاش في هذا العصر ، وتأثر بما يجري حوله ، وتفاعل معه ، فلا بد من معرفة الحياة التي عاشها ، والاتجاهات التي خبرها ، وسبر غورها والشخصيات التي اتصل بها ، والبيئة التي تفاعل معها والأحداث التي أثر فيها ، أو أثرت فيه ٠

لذا لن يكون حديثنا عن عصر سيد قطب ، تقليدا لدارسي الشخصيات القديمة ـ الذين يتحدثون عن عصر الشخصية التي يدرسونها قبل حديثهم عن الشخصية نفسها ـ وانما نتحدث عن عصره لنكون صورة واضحة لهذا العصر ، الذي عاش فيه هذا الرجل الكبير ٠

وسوف نرسم في هذا الفصل صورة بارزة الملامح لمظاهر الحياة السياسية والحياة الاجتماعية ، والحياة الأدبية ، والحياة الاسلامية ، لهذا العصر لأنها هي التي كان لها أثر مباشر على سيد قطب ، وكان له فيها دور بارز ملموس ٠

# الحياة السياسية

مصر – أرض الكنانة – مركز ثقل العالم الاسلامي ، ومنطلق الريادة الفكرية والأدبية والاسلامية في العصر الحديث ، وأحداثها السياسية تؤثر على العالم الاسلامي – سلبا أو ايجابا – ، لذلك يهتم المراقبون برصد ما يجري فيها بعناية ، ويركز أعداء الاسلام عليها في مؤامراتهم ضد المسلمين .

فكرت فيها فرنسا كثيرا ، وكانت تنافس بريطانيا في حبك المؤامرات ضدها وتسابقها على استعمارها ، وقام نابليون بونابرت امبراطور فرنسا باحتلالها في سنة (١٧٩٨) ، وبقيت فيها فرنسا بعده حوالي ثلاث سنوات، الى أن اضطرت للرحيل عنها في سنة (١٨٠١)[١] .

حكم مصر بعد رحيل فرنسا محمد علي ، كوال من قبل الخليفة العثماني في أول الأمر ، ثم استقل بالحكم بعد أن ضعفت علاقته بالخلافة ، وتقرب من دول الغرب وبخاصة فرنسا وانجلترا[٢] .

استمر الحكم في أسرته وراثيا ، ولم يكن الخديويون[٣] يستقلون بأنفسهم في تسيير دفة الحكم ، بل كانوا يعتمدون على الخبراء الأجانب ، وبخاصة الفرنسيين والبريطانيين ، فلم يكن عندهم الارادة القوية ، ولا الثقة بالنفس ، فكانوا يشعرون بأنهم عالة على الغرب ، لقد كانوا مهزومين روحيا أمام الحضارة الغربية المادية الصاعدة ، يطلقون على الغرب لقب «العالم المتنور» ويسمون باريس «مدينة النور» !!!!! .

كان الخديويون بلاء على الشعب المصري ، حيث احتفظ لهم الشعب بمشاعر الكره والبغضاء ، وان لم يكن يجرؤ على اظهار هذه المشاعر .

لقد غدت مباذلهم ذائعة واسرافهم مشهورا ، حتى ان الخديوي اسماعيل كان يستدين من الدول الغربية ملايين الجنيهات للانفاق على

---

(١) أنظر تفاصيل الحملة الفرنسية في كتاب ( الحملة الفرنسية ) للدكتور محمد فؤاد شكري .

(٢) عصر محمد علي للرافعي ٢٤١ – ٢٤٢ .

(٣) الخديوي لقب أطلق على ملوك مصر : اسماعيل وتوفيق وعباس .

ملذاته وشهواته ، فصارت الخزينة المصرية مثقلة بالديون الباهظة للغرب ، وبعد أن عجزت عن سداد هذه الديون ، شكلت الدول الغربية مجلسا من أعضائها ، للوصاية على نفقات الدولة في مصر ، ولتتمكن من استيفاء هذه الديون من واردات الدولة(٤) .

في سنة (١٨٨١) قام أحمد عرابي ـ الضابط في الجيش المصري ـ بثورة على الخديوي توفيق ، عرفت فيما بعد بالثورة العرابية ، وأيدته فئات كبيرة من الجيش والشعب ، وأوشكت ثورته أن تنجح لولا أن تدخلت بريطانيا لصالح الخديوي ، وقامت باخمادها ، حيث ضرب الأسطول البريطاني الاسكندرية ، ثم نزل الجيش الى البر ، واتجهوا صوب القاهرة ، وفي الطريق انتصروا على جيش عرابي في معركة (التل الكبير) ، فدخلوا القاهرة ، وقضوا على الثورة والثوار ، ونفوا زعماء الثورة كأحمد عرابي ، ومحمود سامي البارودي الى الخارج ، وأعادوا الخديوي الى الحكم .

حكمت بريطانيا مصر حكما مباشرا ، وانتشر الجيش البريطاني في طول البلاد وعرضها ، وقامت باعتقال الفئات الوطنية ، أو نفيها وتشريدها ، وحلت مجلس النواب ، وأصبح لدار المندوب السامي البريطاني في مصر من النفوذ ما يقارب نفوذ قصر عابدين مقر الخديوي(٥) .

لم تكتف بريطانيا بالاحتلال العسكري لمصر ، فاستعمرتها استعمارا سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وفكريا ، فأحضرت الخبراء والمستشارين البريطانيين وعينتهم في الوزارات والمؤسسات والمصالح ، على حساب الخزينة المصرية ، وحرصت على أن تكون مصر تابعة لها في كل شيء ، وكان من أشهر هؤلاء المستشارين القس (زويمر) واللورد (كرومر) المعتمد البريطاني و (دنلوب) مستشار وزارة المعارف ، وواضع الاسس العلمانية للتعليم الحديث في مصر ، والذي تخرجت على يديه أفواج من قادة مصر السياسيين والفكريين فيما بعد ، مثل سعد زغلول ، وأحمد لطفي السيد وعبد العزيز فهمي(٦) .

---

(٤) انظر « مصر والمسألة المصرية » للدكتور أحمد مصطفى ١٨ ـ ٨١ .

(٥) انظر « الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي » لعبد الرحمن الرافعي .

(٦) الاعتصام العدد الثاني السنة الثانية والاربعون نوفمبر ١٩٧٨ ، مقال أنور الجندي عن سعد زغلول صفحة ١٨ . والاتجاهات الوطنية لمحمد محمد حسين ٢ : ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

وكعادة الامم المغلوبة ، وجدت فئة من الوصوليين والانتهازيين المصريين ، كانت تعتبر نفسها تبعا لبريطانيا ، وقفت حياتها على خدمتها ، وتفانت في تنفيذ برامجها وخططها · كانت هذه الفئة تمثل قطاعات مختلفة : فكان منها رؤساء وزارات ووزراء وزعماء أحزاب وحزبيون ، ورجال سياسة ورجال اقتصاد ، ومؤسسو جمعيات وقادة فكر ورأي ومثقفون كبار ··· الخ · فلا غرابة في أن يطول عمر الاحتلال البريطاني ، ولا عجب أن تنجح بريطانيا في تحقيق ما تريد ·

نشأت في مصر أحزاب كثيرة ، معظمها استمد برامجه وأهدافه من الغرب ، وأغلب مؤسسي هذه الأحزاب وقادتها كانوا مهزومين روحيا أمام الغرب ، يرون في مبادئه وقيمه ونظمه المثل الأعلى · وتنافس رجالات الأحزاب في كسب اصوات الشعب في الانتخابات النيابية ، وتهالكوا على المناصب الحكومية والوظائف الرسمية ، وتسابق أكثرهم في كسب ود المندوب السامي البريطاني ورجاله ، وتنفيذ ما يشير به[٧] ·

كان من أوائل الأحزاب ظهورا (الحزب الوطني) الذي أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ ، وهو زعيم شعبي محبوب ، كان مخلصا لأمته ، يسعى لاخراج بريطانيا من البلاد ، ولا يخفي تعاطفه مع الخليفة العثماني ، ولا اتجاهاته الاسلامية التي اصطبغ بها حزبه فترة من الوقت · ولم يعمر مصطفى كامل طويلا ، فقد مات في ريعان شبابه بعد عام من انشائه للحزب[٨] ·

وفي عام ١٩٠٧ ظهرت ثلاثة أحزاب ذات أهداف متشابهة : الحزب الوطني الحر بزعامة عبد الخالق ثروت ومحمد فريد ، وحزب الأمة بزعامة الشيخ حسن عبد الخالق ومحمود سليمان · وحزب الاصلاح بزعامة الشيخ علي يوسف[٩] ·

كذلك ظهر سعد زغلول في هذه الفترة زعيما شعبيا في مصر ، وأنشأ حزب الوفد الذي ضم كبار الملاك والباشوات بشكل خاص · وصار وزيرا

---

(٧) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ·

(٨) لمعرفة شخصية مصطفى كامل انظر كتاب ( مصطفى كامل ، لعبد الرحمن الرافعي ) ٤٠٨ ـ ٤٣٣ ، والاتجاهات الوطنية : ١ : ٩٢ ·

(٩) مع سيد قطب لفضل الله ٢٤ ، والاتجاهات الوطنية : ١ : ٩٤ ـ ٩٥ ·

أكثر من مرة ، ثم شكل الوزارة المصرية عدة مرات • وقد تتلمذ سعدزغلول على الشيخ محمد عبده[١٠] ، بل كان من أبرز تلاميذه •

أقام سعد زغلول علاقات مع اللورد كرومر ، وترك هذا الأخير بصماته واضحة على شخصية زعيم مصر الأول • فصار سعد فرعوني الاتجاه ، وصار يتفلت من الاسلام في تصوراته وأخلاقه ، فنادى بفصل الدين عن الدولة ، ودعا الى تجميد اللغة العربية[١١] ، وراح يستخدم الأساليب السياسية الملتوية ، التي تقوم على الدجل والخداع ،في محاولة منه لاستقطاب الجماهير حوله ، وكان مفتونا بحب ذاته ! كذلك اعتاد سعد لعب القمار ، فذهب بثروته التي تقدر بالملايين • وقد ترك مذكراته التي اعترف فيها بالكثير • ولكنها لم تنشر حتى الآن[١٢] •

عندما قامت الحرب العالمية الأولى انضم الخديوي عباس حلمي الثاني الى تركيا في حربها ضد الحلفاء – ومنهم بريطانيا – فقامت بريطانيا بخلعه ونصبت مكانه حسين كامل[١٣] ، ودخلت مصر الحرب الى جانب الحلفاء ، وأصبحت قاعدة ضخمة لبريطانيا ، وانضم شعبها للمعركة ، ووضعت مواردها في خدمتها ، ومنها انطلق الجيش البريطاني بقيادة اللنبي ، الى فلسطين وسوريا • هذا وقد كانت مصر مركزا للمؤامرات التي تدبر ضد الخلافة •

ولقد وقعت ثورة عارمة في مصر ضد الانجليز سنة ١٩١٩ ، اشترك فيها الشعب بكل فئاته ، وكان اسم سعد زغلول زعيم الثورة يتردد على كل لسان ، واستمرت الثورة مدة طويلة ، وفي النهاية قضت عليها بريطانيا ، ونفت زعماءها كسعد زغلول وعبد العزيز فهمي الى خارج البلاد[١٤] •

أصبح حزب الوفد الذي شكله سعد زغلول ، الحزب الجماهيري الشعبي في البلاد ، نظرا لما قام به في الثورة ، وفاز الحزب بأغلبية مقاعد المجلس النيابي وشكل الوزارة أكثر من مرة • وبعد وفاة سعد زغلول ،

---

(١٠) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٣٩٢ والفكر الاسلامي المعاصر : ٥٩ •
(١١) محمد فريد : ٨٠ •
(١٢) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٤٠٦ – ٤١٤ ومجلة الاعتصام : نوفمبر ١٩٧٨ : ١٨ – ٢١ •
(١٣) محمد فريد للرافعي : ٣٤٨ •
(١٤) الاتجاهات الوطنية ١٤٢ وما بعدها •

أعلن عن مصطفى النحاس زعيما للحزب ، وبقي في زعامته حتى حلته الثورة مع غيره من الأحزاب عام ١٩٥٢ ٠

وفي سنة ١٩٢٨ أنشأ الشيخ حسن البنا جماعة الاخوان المسلمين ، حيث كان يعمل مدرسا في مدينة الاسماعيلية ، وأخذ يلقي الدروس العامة يدعو فيها الى الالتزام بالاسلام ، وراح يربي الشباب وينظمهم في الجماعة، وقد ظهر ثقل الجماعة الواضح على الحياة السياسية والاسلامية والفكرية في مصر والعالم العربي في الأربعينيات وأوائل الخمسينيات(١٥) ٠

وفي سنة ١٩٣٦ وقع مصطفى النحاس زعيم حزب الوفد اتفاقية مع بريطانيا اعترفت فيها باستقلال مصر ، ولكنه كان استقلالا ظاهريا ، فوجود بريطانيا ظاهر ملموس ، وبخاصة معسكرات جيشها على ضفاف قناة السويس ، وأدى هذا الوضع الى قلق الشعب المصري ، ثم الى قيام مظاهرات عارمة ، تندد بوجود المستعمر ٠ وتحولت المظاهرات الى أعمال فدائية فردية وجماعية استهدفت أفراد الجيش البريطاني ومنشآته في البلاد(١٦) ٠

انضمت مصر في الحرب العالمية الثانية الى بريطانيا ، ضد دول المحور ــ ألمانيا وايطاليا واليابان ــ ، ودخلت بذلك في حرب لا ناقة لها فيها ولا جمل اللهم الا ارضاء سيدتها بريطانيا ، ووضعت كافة الامكانات البشرية والمادية والمعنوية في المعركة ، وقد أدى دخول الحكومة والقصر الحرب ، الى تململ في البلاد ٠ وقامت الفئات الوطنية باعلان معارضتها لهذا الأمر ٠

وفي شباط ــ فبراير ــ ١٩٤٢ قامت بريطانيا بتدخل مباشر مفضوح في سياسة مصر الداخلية ٠ حيث حاصرت دباباتها قصر الملك ، وقدم مندوبها السامي انذارا له ، بأنه ان لم يكلف مصطفى النحاس ــ زعيم حزب الوفد ــ بتشكيل الوزارة ، فان عليه أن يستقيل ٠ وأحدث هذا التدخل استياء عاما عند الشعب وفئاته الوطنية التي راحت تندد به بأسلوب

---

(١٥) انظر كتاب ( الاخوان المسلمون والمجتمع المصري ) لمحمد شوقي زكي وكتاب ( الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية ) للدكتور اسحق موسى الحسيني ٠

(١٦) مع سيد قطب في فكره السياسي والديني : ٢٨ ، والاتجاهات الوطنية ٢ : ٤٢٨ ٠

مباشر وغير مباشر • وسقطت آخر أسهم حزب الوفد الشعبية ، الذي جاء هذه المرة للحكم على أسنة وحراب الجيش البريطاني(١٧) •

وحتى منتصف الأربعينيات لم يكن للجهات الرسمية في مصر ولا لمعظم قـــادة الرأي فيها وجه عربي معروف ، بل على العكس كانـــوا يمجدون الفرعونية وينادون بأن مصر للمصريين • والى جانب هؤلاء كانت فئات اسلامية في البلاد تبرز وجه مصر الاسلامي ، وعلى رأسها جماعة الاخوان المسلمين • وقد أحدثت مبادىء وأهداف هذه الجماعة تيارا اسلاميا عاما ، ينادي بالاسلامية كبديل للفرعونية والوطنية ، واستقطبت هذه الجماعة فئات كبيرة من مختلف قطاعات الأمة • فخشيت بريطانيا عـلى البناء الذي أشادته في البلاد أن يتحطم تحت مطارق الاسلاميين ، وعلمت أن الوطنية الضيقة لم تعد تصلح رابطة تجمع الشعب ! •

وبعد البحث وجدت بريطانيا ضالتها في القومية كرابطة جديدة ، فعملت ـمن وراء ستارـ على تأسيس جامعة الدول العربية • وأصبحت القاهرة ـ التي كانت بالأمس تنادي بالفرعونية ـ مقرا لهذه الجامعة ، وراحت مصر حكومة وأحزابا تنادي بالقومية ، وتحولت الى رائدة للقومية العربية ، وأبرز وجهها العربي وانطلت الحيلة على الشعوب العربية ، وظنوا الجامعة العربية نتاجا عربيا صرفا ، كما توهموا أن في القومية العربية الحل السحري لكافة مشاكلهم(١٨) •

وفي هذه الفترة بدأت الاشتباكات بين الشعب الفلسطيني والعصابات اليهودية المهجرة الى فلسطين • وكانت جماعة الاخوان المسلمين ـ بفروعها في مصر وسوريا والأردن ـ هي الوحيدة من بين جميع الهيئات والجمعيات والأحزاب في مصر والعالم العربي ، التي ساهمت مساهمة فعلية جادة في الجهاد على أرض فلسطين • فقد قامت بواجبها الاسلامي في هذا المجال ، فأقامت معسكرات للتدريب ، وأرسلت أفرادها الى ميدان الجهاد ، وقادت المتطوعين من الشعب ـ حتى من غير الاخوان ـ ، وأظهر متطوعو الاخوان

---

(١٧) مع سيد قطب : ٢٩ ، ومقال سيد قطب ( اين انت يا مصطفى كامل ) في الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني • عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥ : ١٣٠٩ ـ ١٣١٠ •

(١٨) الاتجاهات الوطنية ٢ : ١٤٥ ـ ١٥٨ و ١٧٢ ـ ١٧٣ و ١٨٦ ـ ١٨٩ •

شجاعة عجيبة في القتال ، شهد بها الجميع[١٩] . ورغم ضعف امكاناتهم المادية فانهم بثوا الرعب والهلع في قلوب اليهود ، ولو خلي بينهم وبين اليهود لتغيرت معالم خارطة المنطقة السياسية ! ولكن كيف تسمح بريطانيا بهذا الأمر ؟ كيف تسمح بالقضاء على اسرائيل ؟ وعلى يد من ؟ على يد ألد أعدائها وهم الاخوان المسلمون[٢٠] ؟ .

قررت الدول العربية ـ أعضاء الجامعة ـ ادخال جيوشها الى المعركة بهدف انقاذ فلسطين في الظاهر ! وأرسلت مصر وحدات من جيشها الى جنوب فلسطين ، وزودته بأسلحة فاسدة ، ومني الجيش المصري بهزيمة بشعة أمام عصابات اليهود[٢١] !

أما المجاهدون الصادقون على أرض المعركة ، فقد حيكت المؤامرات للتخلص منهم ، حيث اجتمع مندوبون عن كل من بريطانيا وفرنسا وأمريكا ، في معسكرات الجيش البريطاني في فايد ـ في مصر ـ ووضعوا خطة عاجلة للقضاء على جماعة الاخوان المسلمين ، وطلبوا من محمود فهمي النقراشي ـ رئيس الوزارة المصرية ـ التخلص من الجماعة والقضاء عليها[٢٢] ! ، وما كان النقراشي ليتأخر في تنفيذ طلبات أسياده ، فدبر للجماعة تهما ملفقة ، فحلها وأغلق شعبها ، واعتقل افرادها في مصر ، وجرد مجاهديها في فلسطين من السلاح ، وأخذهم من ميدان الجهاد الى معسكرات الاعتقال مثخنين بالجراح[٢٣] .

وهكذا كان عند حسن ظن موشي دايان الذي قال في ذلك الوقت : ان اسرائيل لا تخشى الدول العربية مجتمعة ، ولكنها تخشى المتعصبين من الاخوان المسلمين ! أما هؤلاء فحكوماتهم كفيلة بهم ! .

---

(١٩) منها شهادة اللواء فؤاد صادق قائد الجيش المصري في فلسطين في « الاخوان المسلمون في حرب فلسطين » : ٢٤٠ ـ ٢٤٦ ، واللواء أحمد المواوي في ( مذابح الاخوان ) ١٢ .

(٢٠) لمعرفة بعض بطولات الاخوان في حرب فلسطين انظر ( الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ) لكامل الشريف .

(٢١)انظر كتاب ( الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ) للشريف .

(٢٢) الفكر الاسلامي المعاصر لغازي التوبة : ٣٤٥ . وانظر الاخوان المسلمون والمجتمع المصري لزكي : ٢٩ ـ ٣١ و ( مذابح الاخوان في سجون ناصر ) ١٣ ـ ١٤ .

(٢٣) الاخوان المسلمون في حرب فلسطين للشريف : ٢٢١ ـ ٢٢٣ و ٢٢٨ ـ ٢٩١ .

أما مرشد الاخوان ومؤسس جماعتهم حسن البنا ، فلم يعتقل مع أفراد جماعته وانما أبقته الحكومة المصرية طليقا لتدبر له عملية اغتيال نكراء ! فتم اغتياله في وسط القاهرة ليلة عيد ميلاد فاروق ملك مصر · حيث اخترقت جسمه الطاهر عدة رصاصات لقي على أثرها ربه شهيدا(٢٤)·

وانهزمت الجيوش العربية في فلسطين ، وأعلن عن قيام اسرائيل على أرض فلسطين عام ١٩٤٨ ·

وفي عام ١٩٥١ ، وبعد أن أخرج الاخوان من السجون ، قادوا المقاومة الشعبية ضد قوات الاحتلال البريطاني في مصر · فقاموا ضدها بعمليات فدائية جريئة ، مما عجل في رحيل هذه القوات بعد ذلك(٢٥) ·

بعد ظهور خيانة المسؤولين في مصر لفلسطين ، وعودة الجيش المصري مهزوما الى القاهرة حصلت الأزمات الوزارية المتعددة ، واشتركت الأحزاب في لعبة تشكيل الوزارة ، ثم حجب الثقة عنها واسقاطها · حتى لقد شكلت أكثر من وزارة في عام واحد · وسقطت هيبة القصر ، وفقد الملك سيطرته الفعلية على البلاد ، وصارت أيام الملك في الحكم معدودة(٢٦) · وتجلى هذا في حريق القاهرة الكبير الذي حدث سنة (١٩٥٢) حيث احترقت شوارع تجارية في وسط القاهرة ·

كان للاخوان المسلمين السيطرة الفعلية على الشارع المصري ، حيث ضمت الجماعة القطاعات الشعبية المختلفة ، وأثبتت وجودها بفعالية في أية قضية وطنية سواء في فلسطين ضد اليهود ، أو على ضفاف قناة السويس ضد الاحتلال البريطاني ، أو غير ذلك · وبهذا أصبحت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق أهدافها النهائية وقيام المجتمع الاسلامي في البلاد ·

غير أن أعداء الاسلام ، الذين كانوا يرصدون ما يجري في مصر عن كثب · خافوا أن يحكم الاسلام لأنه سيقضي على خططهم ومطامعهم وأهدافهم · وبما أن الملك فاروق أصبح ورقة خاسرة ، فكان لا بد من البحث عن بديل له ، وكان هذا البديل متمثلا في تنظيم عسكري داخل

---

(٢٤) اغتيل الامام الشهيد في ١٢ فبراير عام ١٩٤٩ ·

(٢٥) انظر كتاب المقاومة السرية في قناة السويس · لكامل الشريف ·

(٢٦) لعبة الامم ٨٤ ـ ٨٦ ·

الجيش يسمى تنظيم «الضباط الأحرار» فأقاموا مع المسؤولين عنه اتصالات سرية ، لم يكشف النقاب عنها الا مؤخرا[٢٧] ٠

وفي ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ قام هذا التنظيم ـ الضباط الأحرار ـ بانقلاب عسكري ، وظهر اللواء محمد نجيب كقائد له ٠ ومن ثم ألغيت الملكية في البلاد وشكل الانقلاب مجلسا لقيادة الثورة ، وعين محمد نجيب أول رئيس للجمهورية ٠

وبدت الثورة اصلاحية ، وحلت الأحزاب ، وقامت خلافات بين رجال الثورة والاخوان المسلمين ٠ ودبرت مسرحية أعلن فيها عن محاولة اغتيال رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر ، من قبل أحد شباب الاخوان[٢٨] ٠ وأعلنت الحرب على الجماعة وزج بعشرات الألوف من الاخوان في السجون وتعرضوا لأسوأ أنواع التعذيب ، واستشهد منهم نتيجة له من استشهد ، وشكلت محاكم صورية لمحاكمة الاخوان ، وحكم على العديد منهم بالسجن مددا طويلة ٠ وحكم على سبعة من قادة الجماعة بالاعدام ٠ ونفذ الحكم في ستة منهم ، وخفض السابع الى السجن المؤبد ٠ وبذلك حيل بين مصر وبين وجهها الاسلامي ٠ ونجح أعداء الاسلام ـ مؤقتا ـ في ضرب هذه الحركة الاسلامية العالمية ٠

وفي عام ١٩٥٦ ، وبعد أن أعلن رئيس الجمهورية عبد الناصر تأميم قناة السويس وقع العدوان الثلاثي ـ البريطاني الفرنسي الاسرائيلي ـ على مصر واحتلت اسرائيل سيناء ، وأجريت المفاوضات لخروج قوات الاحتلال من مصر وقامت أمريكا بضغط كبير في هذا المجال ٠ وانسحبت اسرائيل من سيناء ، بعد أن أخذت من مصر ثمنا لانسحابها ، تمثل هذا الثمن في توقيع اتفاقية سرية بين عبد الناصر وأمريكا ، تعهد فيها عبد الناصر بتجميد الوضع على حدود اسرائيل عشر سنوات مقابل انسحابها من سيناء وغزة ، وجاء بقوات الطوارىء الدولية على الحدود ومرت سفن

(٢٧) انظر مقالات أحمد معروف في المجتمع عدد : ١٦٥ تاريخ ٢٨ اغسطس ١٩٧٣ من ١٨ ـ ٢١ و ١٦٦ تاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣ من ١٨ ـ ٢٠ ، ولعبة الامم ٨٢ ـ ٩٣ ٠

(٢٨) انظر حقيقة هذا الحادث في كتاب « مذابح الاخوان في سجون ناصر » ٢٠ ـ ٢٦ ٠

اسرائيل في خليج العقبة ، وأسقطت السيادة المصرية عن شرم الشيخ ومضائق تيران[٢٩] .

أعلنت الوحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ، وبدأت مصر تميل نحو المعسكر الاشتراكي ، ولبست الثوب اليساري ، وقدمت لهـــا روسيا المساعدات • وأعلن عن قيام الاتحاد الاشتراكي العربي كتنظيم سياسي وحيد في البلاد • وتغلغل الشيوعيون في أجهزة الدولة ، وبخاصة وسائل الاعلام ، حيث مكن لهم عبد الناصر • وفي عام ١٩٦١ أعلنت القرارات الاشتراكية • وظهر (الميثاق) الذي وضعته الدولة ، وأحاطته بهالة كبرى من القداسة •

وفي أيلول عام ١٩٦١ وقع انقلاب عسكري في سوريا ، وانفصلت عن مصر ، وفشلت أول تجربة للوحدة العربية على اساس العروبة ، وكشف قادة الانفصال عن الكثير من أخطاء نظام حكم عبد الناصر[٣٠] .

وفي عام ١٩٦٣ وقـع في اليمـن انقلاب جمهوري ، واستنجد رجال الانقلاب بمصر ، وأرسل عبد الناصر وحدات من الجيش المصري لمساعدتهم، وتورط الجيش المصري هناك ، حيث ذهب ضحية حرب اليمن آلاف الجنود المصريين ، واستنفذت ملايين الجنيهات من خزينة الدولة واستمر التورط المصري في اليمن الى عام ١٩٦٨ •

وفي حزيران عام ١٩٦٧ • وقعت النكبة العربية ، حيث هزمت اسرائيل جيوش ثلاث دول عربية – مصر وسوريا والاردن – في ساعات ، واحتلت فلسطين كلها وسيناء والجولان •

من هذا الاستعراض الموجز للحياة السياسية في مصر منذ أواخر القرن التاسع عشر الى ما بعدمنتصف القرن العشرين، يتبين لنا أن الشعب المصري لاقى صنوفا من الظلم السياسي والكبت طوال هذه الحقبة ، سواء على يد محمد علي وأسرته ، أو رجال الاحتلال البريطاني ، أو رجال الثورة ، ونلاحظ كذلك أن هذا الشعب قدم الكثير من التضحيات ، وأدى ما يطلب

---

(٢٩) انظر ( الناصرية في قفص الاتهام ) لعبد المتعال الجبري ١١٨ ـ ١٢٠ •

(٣٠) انظر تحليل سيد قطب لبواعث هذه الوحدة واسباب فشلها في مبحث « سيد قطب المحلل السياسي » من هذا الكتاب •

منه ، وكثيرا ما كان يقوم بانتفاضات شعبية رافضا للاستعمار[٣١] أو يدبر اغتيالات للبريطانيين وأعوانهم من المصريين[٣٢] ٠

على أن هذه ألاوضاع السياسية المتغيرة ، والتدخل الاستعماري المباشر والفساد السياسي الذي عم رجالات الاحزاب ، هذا كله ـ رغم تضحيات الشعب ومقاومته ـ ولد عند الجميع حيرة وقلقا ، دفعت المصلحين الى التفكير الجدي في العلاج ٠

وخير ما يصور هذه الحيرة ، عبارات سجلها سيد قطب في الأيام الأخيرة للملكية في مصر ٠ حيث نشر مقالا في مجلة الرسالة بعنوان (سأم) بتاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢ ـ قبل أكثر من شهرين على قيام الثورة ! ـ جاء فيه :

(ذلك الذي تلمحه على وجوه الناس في هذه الأيام ، وتلمسه في أحاديثهم في كل مكان ، سأم من كل شيء ، ومن كل فكرة ، ومن كل عمل ، ومن كل أحد، ومن كل اتجاه ، سأم هو مزيج ألم قد مات ! ويأس من الأعمال والرجال ومن قرف شامل ، ومن استهتار ٠ يقلب الناس صفحات الصحف ، ويمرون على العنوانات الضخمة بلا اكتراث ، كأن لم يعد شيء يدعو الى الاكتراث)[٣٣]

ويجيب في نفس مقاله المذكور على تساؤل عن الشعر الحر الذي فقد في تلك الفترة ونلمح من اجابته صورة لقلق الشعب وحيرته :

(الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير ، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان ، الشعر انتفاضة قلب ، وتحليق روح ، لا وسوسة السلاسل ولا جرجرة الأغلال ٠ أنظر يا سيدي حولك ! أنظر الى ذلك الذي تلمحه في الوجوه وتراه في السمات ٠ انه مزيج من ألم قد مات ، ومن يأس من الأعمال والرجال ٠ ومن قرف شامل ومن استهتار ، انه السأم ٠ السأم الذي تموت منه الكلمات في الشفاه)[٣٤]

---

(٣١) كالثورة العرابية ، وثورة عام ١٩١٩ ومظاهرات عام ١٩٣٦ والمقاومة على ضفاف القنال في الفترة ما بين ٥١ ـ ١٩٥٣ ٠

(٣٢) كاغتيال السيرلي ستاك ٠ وبطرس غالي ٠ وأمين عثمان ٠

(٣٣) مجلة الرسالة السنة العشرون المجلد الاول عدد ٩٨٥ مايو ١٩٥٢ ص ٥٤٥ ٠

(٣٤) المرجع السابق ٠

وكتب سيد قطب مصورا حالة الاضطراب السياسي في مصر ، وفقدان هويتها السياسية ، وأن الأدب الصادق هو الذي يعكس هذه الحالة :

(ونستطيع من دراسة الأدب في مصر في العصر الحديث ، أن نلمح أنها تجتاز فترة اضطراب ، وبحث عن اتجاه لم تستقر عليه الأفكار ، حينما نرى عدة اتجاهات الى اقصى اليمين والى اقصى اليسار ، بعضهم يفتش عن المثل في اطواء تاريخنا القديم في عصر النهضة الاسلامية ، وبعضهم يتمجد بالفرعونية وبعضهم يتجه الى أوروبا وأمريكا ، وبعضهم يتجه الى روسيا • كما أن بعضهم ينطوي على نفسه عازفا عن المجتمع وما فيه • هي حالة تموج واضطراب قد تتمخض عن انقلاب ، وقد تتمخض عن استقرار )[٣٥] •

وهكذا احس سيد قطب بالثورة قادمة قبل اكثر من خمس سنوات من وقوعها •

ويرفع صوته بالشكوى عاليا في موضع آخر :

(كل ما في البلد جدير بالشكوى • كل ما فيها يلذع بالالم • وان التألم والشكاة لدليل عدم الرضا ، ودليل السعي لتغيير هذه الحال) • (ان الأمة التي لا تشكو من مثل هذه الحالة أمة لا تحس فهي أمة في طريقها الى الفناء الرهيب • وان الذين يهزلون اليوم أو يغنون ويمرحون هم أحد فريقين : فريق أناني مجرم لا يعني بهذه الأمة ولا يحفل بآلامها لأنه في ظل نعمة ولا علاقة له بالآخرين • وفريق ميت الوجدان ذليل الكرامة ، لا تنبض به حياة الا كالدواب والجراثيم)[٣٦] !

هذه الحياة السياسية التي وصفناها ، جعلت من سيد قطب ساخطا ! ساخطا على جميع المظاهر والأوضاع ! ! معلنا سخطة بصوت صارخ ، من غير يأس ولا سأم ولا تشاؤم • ويعتقد أن بامكانه أن يغير شيئا ولو كان وحده •

---

(٣٥) النقد الادبي لسيد قطب ١٤٩ ـ ١٥٠ •

(٣٦) مهمة الشاعر في الحياة ٩٢ ـ ٩٣ •

نشر مقالا في مجلة الرسالة بعنوان (مدارس للسخط) جاء فيه قوله :

( أنه لو وكل الي الامر لأنشأت ضعف هذه المدارس التي تنشئها الدولة لأعلم الشعب فيها شيئا واحدا هو السخط ! السخط على الأوضاع والمظاهر الشائهة التي تسيطر على حياة هذا الجيل في كل اتجاه)[٣٧] ٠

وقد حدد الطوائف التي سيصب سخطه عليها ، فهي تتمثل في : رجال السياسة والكتاب والصحفيين ، والوزراء الحكوميين ، والباشوات وغير الباشوات والارستقراطيين الذين ينهبون الناس ٠ والمثقفين الذين تنكروا للشعب ، ومحطة الاذاعة والصحافة الداعرة ، وأخيرا الشعب الذي يرضي بالفساد ، ويسكت على هذه المظاهر والأوضاع[٣٨] ٠

(٣٧) مجلة الرسالة السنة الرابعة عشرة ٠ المجلد الثاني عدد ٦٩١ سبتمبر ١٩٤٦ ص ١٠٨١ ٠

(٣٨) الرسالة ــ المرجع السابق ــ ١٨٠١ ــ ١٠٨٢ ٠

# الحياة الاجتماعية

قديما قيل (مصر هبة النيل) ، والأراضي المصرية الصالحة للزراعة هي التي تقع على ضفتي النهر ، والمدن والقرى متناثرة حوله ، ولهذا كانت الموارد محدودة .

تميزت في مصر طبقتان ، واضحتا الملامح والسمات :

الأولى : طبقة كبار الملاك من الباشوات ، وأصحاب الأراضي الواسعة. وأفراد الأسرة المالكة ، كانت تشبه طبقة الاقطاعيين في الغرب ، والاقطاع في مصر لم يكن اقطاعا بالمعنى الصحيح للكلمة ، لأن أصحاب هذه الاراضي رغم سعة أراضيهم الا أنها لم تبلغ حجم أراضي الاقطاع الاوروبي . ورغم أنهم لم يصلوا درجة الاقطاعيين ، الا أنهم ملكوا من السلطات والصلاحيات ما جعلهم يحكمون ويتحكمون في الاجراء والعمال والمزارعين الذين كانوا يعملون في مزارعهم ، لقد ورث هؤلاء المترفون ـ أصحاب الكروش ـ الأراضي بدون جهد بذلوه . وساموا المزارعين عندهم سوء العذاب ، فقد فرضوا عليهم أن يسلموا لهم ما تنتجه الاراضي ليصرفوه على ملاذهم وشهواتهم ، وهم لا يذهبون لأراضيهم الا من أجل المتعة والتنزه ، والمزارعون الذين يبذلون قصارى جهدهم في العمل لا يكادون يحصلون على القوت الضروري اللازم لاستمرار حياتهم .

الثانية : طبقة المزارعين والعمال ، الذين يعملون في أراضي الباشوات . وكانت طبقة محرومة من أبسط معاني الحياة اللائقة بالانسان ، فهم يحيون حياة لا تفترق عن حياة بهائمهم ومواشيهم ، لا يشتركون في رأي أو مشورة ، أسيادهم يستغلون أصواتهم ، ويبيعونها لمن يريدون . ولا يرون لهم أي حق الا في بذل المزيد من الجهد في سبيل خدمة أسيادهم وأراضيهم[٣٩] .

كانت الطبقة الأولى المترفة ، تسكن القاهرة ، وقد نال أولادها حظا عاليا من المعرفة والثقافة والدراسة ، في الداخل والخارج ، وعادوا يتسلمون المراكز الكبيرة في أجهزة الدولة .

---

(٣٩) مع سيد قطب لفضل الله : ٨٢ .

أما الطبقة الثانية فكانت تسكن القرى والأرياف ، وكانت نسبة الأمية عالية فيها ، ولم تكن تملك الأموال ، لترسل أولادها للدراسة العاليــة ـ الا ما ندر ـ • لذلك كان الأولاد عندما يشبون ، اما يصبحون عمالا في الأراضي مع أهاليهم ، أو عمالا يرحلون الى مناطق أخرى ، أو يأتون للعاصمة طلبا للعمل •

وقد ساعد انشاء المصانع في العاصمة والمدن الكبيرة ، على ازدياد الهجرة ، حيث هاجر العمال الى هذه المصانع للعمل فيها ، وراحوا يسكنون في أحياء شعبية ، وكثرت المفاسد الأخلاقية ، لأن الشاب عندما يأتي الى مدينة كبيرة لا يكاد يعرفه فيها أحد ، ويجد في يديه فائضا من المال ويريد أن يشبع شهواته ، فيسعى للحصول على الملذات والمتع بأي سبيل ، وينتج عن ذلك الفساد الأخلاقي ! •

وبعد أن حكم مصطفى كمال تركيا ، ألغى الخلافة ، وحارب الاسلام ، ومنع الحجاب ، وفرض السفور ، وخرجت المرأة المسلمة في تركيا سافرة ، وكان لا بد أن تتأثر مصر بما يجري هناك ، وقد كانت النساء قبل ذلك في مصر محجبات لا يخرجن للعمل ، ولا يزاحمن الرجال في الأسواق ، وكانت الفتاة تتلقى التعليم في بيت أبيها •

ثم ظهر في مصر قاسم أمين ، الذي كان تلميذا لمحمد عبده ، وذهب الى الغرب للدراسة هناك ، وبعد أن عاد الى البلاد راح ينادي بالغاء الحجاب وبخروج المرأة سافرة للعمل ، وبتحررها من الظلم الواقع عليها ! وظهر ما يسمى بقضية «تحرير المرأة» ، وانقسم الشعب المصري حيال دعوته الى فريقين : فريق يناصره ، وفريق يعلن عليه الحرب • واستجاب لدعوته عدد من النساء المتفرنجات[٤٠] •

واستلمت «هدى شعراوي» الراية من قاسم أمين ، وراحت تبشر بدعوته • وشيئا فشيئا انتشرت هذه الدعوة في مصر ، وخلعت المرأة المصرية الحجاب ، وخرجت للاسواق سافرة • وتخصصت مجلات بشؤون المرأة ، وراحت تدعو الى تحريرها[٤١] • وخرجت المرأة للعمل • وحصل

---

(٤٠) الاتجاهات الوطنية ١ : ١١٠ ـ ١١١ •

(٤١) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٢٤٨ ـ ٢٥١ •

الاختلاط بين الرجال والنساء ، وكانت النتيجة الطبيعية للاختلاط هي وقوع الفواحش ، وانتشار الفساد الأخلاقي ! ٠

وبعد أن فتحت الجامعة المصرية ، قرر اللورد «كرومر» ومن تابعه من المصريين أن ينفذوا سياستهم في الجامعة ، فجعلوا التعليم فيها مختلطا، وجلس المراهقون والمراهقات على مقاعد الدراسة جنبا الى جنب ، وكان لا بد أن تظهر النتائج السيئة لهذا الاختلاط(٤٢) ٠

أما مصايف مصر في «الاسكندرية» و «بلطيم» و «سيدي بشر» وغيرها، فقد غدت مناسبات موسمية لخروج المصريين اليها ، وتعرى الرجال والنساء هناك الا من قطعة من اللباس ! وصارت الأسرة المصرية ذات الدخل المحدود ، تقتطع من دخلها فوق ما تطيق ، لتذهب في الصيف الى تلك المصايف ، وتلقي بأبنائها وبناتها في أحضان الشواطيء العارية ! ٠

وفي مواجهة ذلك كله قام العلماء ينادون الجماهير أن تعود لدينها ، ولكن الجماهير كانت تساق الى الفساد بعنف وسرعة ، لأن دعاة الرذيلة كانوا يجرونها من خطام شهواتها ، ويسرعون بها حيث تذبح الفضيلة ، وكانت هذه الجماهير تستجيب مسرعة متلذذة بسبب ما أصابها من سعار الشهوة وما استيقظ فيها من كامن الغريزة ، وكلما اشتعلت فيها نار الشهوة ، راحت تطفئها بالعب من الشهوات ، فتزداد طلبا لها ٠ واصبحت تنام على الفساد وتقوم عليه ، وحقت عليها لعنة الشهوات ! ٠

انتشرت الشيوعية في مصر ، حيث وجدت هناك أرضا خصبة ، ممثلة في الطبقات المحرومة من المزارعين ، والعمال ٠ الذين أغراهم بريق الدعاية الشيوعية وأخذت تصور لهم أنها تملك تخليصهم مما هم فيه من الظلم ، وأنهم عن طريقها سيحصلون على حقوقهم ٠ ومعروف أن الشيوعية لا تنجح ولا تنتشر الا في مجتمع تكثر فيه الأمراض الاجتماعية ، فهي أشبه شيء بالجراثيم التي لا تعيش ولا تنشط الا في الجسم الضعيف ٠

وقام اليهود والنصارى في البلاد بالدعاية للشيوعية ، حيث أسسوا الأحزاب الشيوعية ، ودعوا الجماهير الساذجة للانضمام اليهم(٤٣) ٠

---

(٤٢) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٢٦٠ ـ ٢٦٣ ٠

(٤٣) المجتمع العدد السابع السنة الاولى : ٢٦ ـ ٢٧ ، والناصرية في قفص الاتهام للجبري : ١٤٨ ـ ١٥٠ ٠

كان في مصر مجموعة من الجاليات الأجنبية تحكمت في البلاد ، وراحت تصور لنفسها أنها صاحبة الحق المطلق في ثروات البلاد وان المصريين ـ أصحاب البلاد ـ ليسو الا خدما وعبيدا لها ، وكان من أكبر هذه الجاليات: الجالية اليهودية ، والجالية اليونانية ، والجالية الايطالية ، والجالية الأرمنية ، والجالية البريطانية ، وقد كان لهذه الجاليات دور كبير في نشر الفساد الاخلاقي في البلاد .

أما الجنود البريطانيون ، الذين جاؤوا مع الاحتلال ، فقد تمتعوا بامتيازات خاصة ، كانوا يحصلون على ما يريدون ، والمصري المسكين يقف أمام الجندي البريطاني بذلة ومهانة ، ويخدمه في مركز عمله وفي بيته . المستشارون والخبراء الأجانب في الوزارات والمؤسسات أسياد ، والمصريون الموظفون عندهم أذلاء عبيد(٤٤) .

ونشط المبشرون من النصارى في مصر ، وكانت تدعمهم كنائس الغرب ويحميهم الاحتلال البريطاني في البلاد ، استغل هؤلاء فقر ومرض وحاجة الشعب المصري ، فدخلوا عليه من هذا الباب ، وراحوا يعالجون أفراد الشعب ويمدونهم بالمال والغذاء ، وفتحت الملاجيء والمستشفيات والمدارس التبشيرية لأفراد الشعب المسلم ، وكانت مبرمجة موجهة ، تهدف الى تخريج المسلم العلماني(٤٥) .

---

(٤٤) لماذا اغتيل حسن البنا للجبري : ١٧ و ٤٠ ـ ٤٢ و ٦٦ ـ ٦٨ .

(٤٥) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٣٢٣ ، ولماذا اغتيل حسن البنا للجبري : ٥٤ ـ ٥٦ .

# الحياة الاسلامية

كانت مصر جزءا من الدولة العثمانية ، تدين بالولاء للخليفة العثماني • الى أن استقل بها محمد علي ، وأبناؤه من بعده ، ولكن رغم انفصال محمد علي عن الخلافة ، الا ن مشاعر المصريين بقيت مرتبطة معها ، ويهمهم ما يجري في استانبول ــ عاصمة الخلافة ــ ويؤثر عليهم وضعها ــ خيرا كان ذلك أو شرا ــ وهم يرون في هذا الشعور استجابة لنداء الاسلام ، الذي يجعل المسلمين جميعا يدينون للخليفة بالولاء ، يسمعون له ويطيعون •

والشعب المصري متدين بطبعه ، وشعوره الاسلامي عميق ، حتى ان نابليون بونابرت ــ امبراطور فرنسا ــ عندما احتل مصر ، وأراد أن يثبت سلطته ، تقرب الى الشعب بطريقة غريبة ، فاحتفل بالموالد والاعياد الاسلامية العديدة ، وأمر حكام المدن الفرنسيين بالاحتفال بها !!! بل لقد فكر في لبس عمامة وامساك سبحة لدغدغة عواطف الشعب !!

وفي عهد الخليفة العثماني ، السلطان عبد الحميد ، مر بمصر « جمال الدين الأفغاني » ، وجلس فيها مدة من الزمن ، وكان يدعو ــ في الظاهر ــ الى نهضة اسلامية •• وقد ألقى دروسه في الجامع الازهر ، وهناك ظهر أكبر تلميذ له وهو الشيخ « محمد عبده » • واستلم محمد عبده راية الاصلاح من أستاذه ، وكان كذلك يلقي دروسه في الجامع الأزهر ، وصار المفتي العام للبلاد ، واطلق عليه لقب ( الامام ) ، ويعترف له بعض رواد النهضة الاسلامية الحديثة بالاستاذية ، بينما يثير كثير منهم علامات استفهام حوله وحول جمال الدين ويتحدثون عن علاقتهما بالماسونية(٤٦) ، وعن علاقة محمد عبده الواضحة برجال الاحتلال البريطاني في مصر وخاصة اللورد كرومر(٤٧) •

(٤٦) انظر الوثيقتين المصورتين : طلب جمال الدين الانضمام الى المحفل الماسوني في مصر ، وجواب المحفل بتعيينه رئيسا له في كتاب « مذكرات السلطان عبد الحميد » الطبعة المصرية : ٢٠٧ ــ ٢٠٨ •

(٤٧) الاتجاهات الوطنية ١ : ٣٢٨ ــ ٣٢٩ و ٢ : ٣٠٧ ٣٠٩ ، والفكر الاسلامي المعاصر للتوبة : ١٥ ــ ٦٥ •

كان من أبرز تلاميذ محمد عبده في مصر ثلاثة : محمد رشيد رضا ، وسعد زغلول ، وقاسم أمين(٤٨) ، وكانوا ذوي اتجاهات متباينة ، وقــد تحدثنا عن اتجاهات كل من سعد زغلول وقاسم أمين ، أثناء حديثنا عن الحياة السياسية(٤٩) والحياة الاجتماعية(٥٠) ٠

أما رشيد رضا ، فقد حمل راية الاصلاح من استاذه ، وقام بواجبه الاسلامي في هذا الاصلاح ، فأصدر مجلة ( المنار ) وأنشأ مطبعة ( المنار ) وألف تفسير ( المنار ) وألف عدة كتب اسلامية ، وأرخ لشيخه محمد عبده بكتاب من عدة أجزاء أسماه ( تاريخ الاستاذ الامام ) ٠

وعندما أوشكت الخلافة العثمانية على السقوط ـ بعد أن سيطر عليها الاتحاديون اليهود ـ قامت في العالم الاسلامي الخاضع لسلطان الخليفة العثماني ، محاولات صادقة تهدف الى اصلاح جهاز الخلافة من الداخل ، وتنطلق من منطلق اسلامي خالص ، ومن هذه المحاولات تلك التي قامت في العراق حيث أسس « محمد فاضل الداغستاني » ـ أحد كبار العسكريين أيام عبد الحميد وهو معروف بالتقوى والنبل والشجاعة ـ في بغداد « الحزب الاسلامي » عام ١٩١٣ ومعه مجموعة من أعيان بغداد المسلمين ، ونص منهاج الحزب على مناهضة حكم الاتحاديين واعادة الحكم الى سمت اسلامي شرعي واضح ٠ ولكن نشوب الحرب العالمية الاولى واحتلال الانجليز للعراق شغلهم عن المضي ٠ واستشهد الداغستاني في تلك الحرب ، وبموته ماتت المبادرة(٥١) ٠

كما قامت في مصر محاولة مشابهة ، قام بها محمد رشيد رضا مع مجموعة من المصريين(٥٢) ، ولكن أعداء الاسلام خافوا أن يتم ذلك الاصلاح وأن تتجدد في الخلافة الدماء ، فتعود فتية قوية ، لذلك سارعوا الى القضاء عليها من الخارج(٥٣) ٠

---

(٤٨) الاتجاهات الوطنية ١ : ٣٠١ حاشية ٠

(٤٩) انظر صفحة ٢٠ من هذا الكتاب ٠

(٥٠) انظر صفحة ٣٢ من هذا الكتاب ٠

(٥١) مقال الراشد في المجتمع عدد : ١١٥ تاريخ ١٩ رجب ٩٢هـ اغسطس ٧٢م ص ٢٤ ٠
نقلا عن كتاب ( البغداديون اخبارهم ومجالسهم لابراهيم الدوري ) ٠

(٥٢) الاتجاهات الوطنية ٢ : ١٢٢ ـ ١٢٧ ٠

(٥٣) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٤٩ ـ ٥٤ ٠

كانت مصر موئل الاسلاميين ، فاليها هاجر محب الدين الخطيب ، قادما من الشام ، وقام بدور بارز في الاصلاح الاسلامي ، حيث أنشأ مجلتي « الفتح » « والزهراء » ، كما أنشأ مكتبة الفتح ، التي نشرت العديد من كتب السلف · كذلك هاجر اليها شيخ الاسلام مصطفى صبري ، قادما من تركيا بعد الغاء الخلافة ، كما هاجر اليها الشيخ محمد زاهد الكوثري من تركيا ، والشيخ محمد الخضر حسين من تونس ، والشيخ محمد بشير الابراهيمي من الجزائر ، والامير عبد الكريم الخطابي بطل الريف المغربي وغيرهم ·

وقامت في الأزهر دعوة لتجديد التعليم فيه ، بدأها الشيخ محمد عبده ثم أكملها تلميذه محمد مصطفى المراغي ، الذي كان شيخا للازهر ·

كان الأزهر في أول الأمر ، قائدا للشعب المصري في كفاحه ضد الفرنسيين ، وقام أحد الأزهريين ( سليمان الحلبي ) باغتيال قائد الجيش الفرنسي في مصر الجنرال ( كليبر ) ·

كما قام الأزهر بواجبه الديني والوطني ضد قوات الاحتلال البريطاني، حيث كانت تخرج المظاهرات الصاخبة من الأزهر يقودها العلماء ، تندد بهذا الاحتلال ، ولذلك كان الأزهر مركز المقاومة ضد المحتلين ·

كان الازهر يقوم بهذا كله عندما كان يوجهه علماء ، أشربت نفوسهم عزة الاسلام ، فما يخافون الا من الله ، وهانت عليهم الدنيا وطلابها ، فاتجهوا الى طلب ما عند الله ·

ولما جاء للازهر جيل جديد من الشيوخ ، كان همهم الدنيا ، والركون الى اصحابها ، نسوا حق الله ، فلم يقوموا بواجبهم تجاه الوطن والأمة ، وراحوا يتسابقون – الا من رحم الله – لكسب ود الملك ، ويشاركونه في احتفالاته ، ويصورونه للشعب في صورة الحاكم المسلم المنفذ لشرع الله ويصورون للناس لهوه جهادا ، وتهتكه عبادة ، وعربدته تسبيحا ، حتى انهم بعد الغاء الخلافة في تركيا دعوا الى تنصيب الملك فؤاد خليفة للمسلمين، واخترعوا له – وهو اليوناني الأصل – نسبا يوصله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم(٥٤) !!!

---

(٥٤) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٥١ ·

كان لا بد ـ بعد أن تخلى الأزهر عن دوره القيادي للامة ـ من قيام جماعة اصلاحية اسلامية لتقود الامة وتسد الفراغ ، فأنشأ نفر من المصلحين الاسلاميين جمعية الشبان المسلمين ، وكان من أبرزهم محب الدين الخطيب، وعبد الحميد سعيد ، ومحمد صالح حرب ، ولكن هذه الجمعية كانت محدودة في أهدافها ، فهي لم تزد عن كونها مؤسسة ثقافية رياضية ، وبالتالي لم تعن بتهذيب سلوك الافراد وتربيتهم تربية عملية هادفة(٥٥) ٠

بقيت الساحة الاسلامية شاغرة ، تنتظر جماعة اصلاحية جادة ، تنقذ الموقف وتملأ الفراغ ، وفي عام ١٩٢٨ أنشأ الامام حسن البنا ، «جماعة الاخوان المسلمين ، في مدينة الاسماعيلية ، مركز قوات الاحتلال البريطاني التي كانت تنتشر على ضفاف القناة ، وكان انشاء هـذه الجماعـة في الاسماعيلية بالذات يمثل التحدي الاسلامي للاحتلال البريطاني ٠

كانت الجماعة تهدف الى اقامة المجتمع الاسلامي، وتفهم الاسلام بشموله، وتهتم بتربية الأفراد تربية اسلامية متوازنة ، ونشط الشيخ لدعوته ، وأقبل الشباب الظامىء الى الاسلام على الجماعة ، ووجدوا فيها آمالهم ٠ فكان من أفرادها الامي والمتعلم ، العامل والموظف ، الشيخ والشاب ، الأزهري وخريج الجامعة ، الطبيب والمهندس ٠ وأثبتت الجماعة وجودها في المجتمع ، فأنشأت المدارس والمستشفيات والمساجد ، والمكتبات والمصانع والشركات ، واثبتت ـ بسلوك افرادها ونجاح اعمالها ـ امكانية قيام المجتمع الاسلامي والحكم الاسلامي في هذا القرن ، وكانت الرد الاسلامي على الغاء الخلافة ٠ وبذلك اعتبر الامام حسن البنا ـ بحق ـ المجدد الاسلامي في القرن الرابع عشر الهجري ، واعتبرت الحركة التي قام بها ، الحركة الاسلامية الاصيلة الجادة في هذا العصر(٥٦) ٠

وفي حرب فلسطين ، لبى رجال الجماعة نداء الاسلام ، وانطلقت كتائبهم الى فلسطين للجهاد ما بين عامي ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩(٥٧) وأثبتوا

---

(٥٥) الاتجاهات الوطنية ٢ : ٣٢٣ ـ ٣٢٤ والاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية للحسيني : ٣ ـ ٤ ٠

(٥٦) الاخوان المسلمون والمجتمع المصري : ١٢٧ ـ ٢٠٤ ٠

(٥٧) انظر كتاب ( الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ) لكامل الشريف ٠

وجهودهم وجدراتهم ، فشهد لهم الصديق ، وحقد عليهم العدو ، وراح يخطط لحربهم ، بعد أن فتح عينيه على قوتهم • فقامت الحكومة المصرية التي كان يرئسها النقراشي – استجابة لطلب امريكا وبريطانيا وفرنسا[٥٨] – بحل الجماعة ومصادرة ممتلكاتها ، ووضع الألوف من أفرادها في السجون ومعسكرات الاعتقال • كما قامت الحكومة بعملية دنيئة ، حيث دبرت اغتيال حسن البنا الرجل الذي اسس الحركة وقادها في مسيرتها وقدمت رأسه هدية لفاروق ليلة عيد ميلاده •

واجتاز الاخوان المحنة ، وخرجوا أقوى مما كانوا ، ولبوا نداء الاسلام على ضفاف القناة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٢ ، وقاموا بعمليات فدائية جريئة ضد قوات بريطانيا هناك ، وقدموا عددا من الشهداء[٥٩] • وسيطر الاخوان على الشارع المصري ، وكان الكل يتقرب اليهم – ولو تزلفا – وقد اقتربوا من خطوتهم التنفيذية ، بقيام الحكم الاسلامي المنشود •

غير أن عيون أعداء الاسلام الساهرة ، كانت تخطط أمرا آخر • فقام ضباط من الجيش المصري في ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢ ثبت أخيراأن ولاءهم كان لأمريكا[٦٠] – بانقلاب عسكري ، وأعلنوا الجمهورية ، وعين اللواء محمد نجيب أول رئيس لها • ولم يلبث في هذا المنصب الا قليلا ، اذ سرعان ما أقصاه جمال عبد الناصر ، وسيطر على الحكم ، بدكتاتورية بغيضة !!

وكان لا بد من أن ينفذ هؤلاء الضباط ما أوكل اليهم ، فشن عبد الناصر حربا شرسة على جماعة الاخوان المسلمين ، فأعدم قادتها ، وصادر ممتلكاتها ووضع عشرات الالوف من أفرادها في السجون ، ولاقوا تعذيبا لم يعرف التاريخ مثله ، وأصبحت آلاف الأسر في مصر بلا معيل ولا قيم ، وقدمت الجماعة العديد من الشهداء[٦١] •

---

(٥٨) انظر ص ٢٤ من هذا الكتاب •

(٥٩) انظر كتاب « المقاومة السرية في قناة السويس » لكامل الشريف و « كفاح الشباب الجامعي على ضفتي القناة » لحسن دوح •

(٦٠) انظر ص ٢٥ – ٢٦ من هذا الكتاب •

(٦١) راجع كتب « أقسمت أن أروى » لروكس معكرون ، و « المذبحة » لمحمد المصيلحي « ومذبحة الاخوان في سجون ناصر » لجابر رزق ، و « يوميات سجين في السجن الحربي » لكمال فرماوي •• وغيرها •

وطالت المحنة ، واستمرت حوالي ربع قرن · وثبت رجال الجماعة على الحق ، واعادوا الصورة المشرقة لرجال الاسلام الصادقين الصابرين الى الاذهان !

هذا وقد أحدثت جماعة الاخوان المسلمين تيارا ثقافيا عاما · فقد وضع رجالها العديد من المؤلفات الاسلامية التي تعالج مختلف شؤون الفكر الاسلامي والحياة الاسلامية · كما قادوا الفكر الاسلامي المعاصر من مرحلة الدفاع على استحياء الى مرحلة الهجوم والبلاغ والانذار ! وقلما تجد كاتبا أو مفكرا اسلاميا معاصرا في العالم الاسلامي لم يكن من أفراد الاخوان المسلمين ، أو لم يتأثر بمبادئهم ومدرستهم الفكرية ·

# الحياة الأدبية

عندما قام نابليون بغزو مصر ، كان مما أحضره الى البلاد مطبعة عربية[٦٢] ، وانتشرت بذلك طباعة الكتب والصحف والمجلات ، وكانت مصر أسبق من البلاد العربية في هذا المجال • ومما ساعد على انتشار الادب فيها ، ظهور الصحف والمجلات الادبية المختلفة •

وباتصال مصر بدول الغرب ، اطلع أدباؤها على الادب الغربي شعرا ونقدا ، وقصصا وبحوثا ، ووفدت على البلاد الآراء والاتجاهات الادبية الغربية •

وقامت في مصر نهضة أدبية حديثة ، على أسس جديدة ، حيث ألقت وراء ظهرها المحسنات البديعية التي سيطرت على نتاج الادباء في السابق، كالسجع والجناس والطباق وغيرها • وانقسم الادباء الى مدارس أدبية مختلفة ، وظهرت مذاهب أدبية متباينة ، وقامت معارك أدبية طاحنة : بين القديم والجديد تارة وبين المدارس الادبية تارة أخرى ، وبين تلاميذ كبار الادباء ثالثة[٦٣] !!

وكان أسبق الادباء ظهورا ، محمود سامي البارودي ــ أحد زعماء الثورة العرابية ــ والذي اعتبر شاعرا مجددا ، حيث خرج على الموضوعات الشعرية التقليدية[٦٤] •

وظهر بعده أحمد شوقي ، شاعر القصر ، الذي اطلق عليه لقب « أمير الشعراء » ، ولشوقي نتاج شعري غزير في مناسبات عديدة • وقد كتب عدة مسرحيات شعرية مثل كليوباترا ، ومجنون ليلى ، وقمبيز •

وعاصر شوقي ، الشاعر حافظ ابراهيم ، الضابط في الجيش المصري وقد أطلق عليه لقب « شاعر النيل » • وكما كان شوقي شاعر القصر ، كان حافظ شاعر الشعب •

---

(٦٢) في الادب الحديث لعمر الدسوقي ١ : ٥٢ ــ ٥٣ •

(٦٣) دارت هذه المعارك على صفحات المجلات الادبية مثل : البلاغ • الرسالة • الاسبوع • الثقافة • أبوللو • الجهاد • وغيرها •

(٦٤) في الادب الحديث ١ : ٢٩٩ ــ ٣٠٠ •

وقد شغل هذان الشاعران النقاد في حياتهما وبعد وفاتهما ،وانقسموا في شأنهما الى فريقين : فريق يرى فيهما شاعرية فياضة · وأن شعرهما يصدر عن احساس صادق ومعاناة حقيقية ، وفريق آخر يراهما ـ وبخاصة شوقي ـ شعراء مناسبات ، لم ينبع شعرهما من احساس صادق ، وانما يقولان ما يرضي الجماهير(٦٥) !

وكان من أوائل الادباء ظهورا في مصر مصطفى لطفي المنفلوطي الذي نشر العديد من المقالات الادبية ، ثم جمعها في كتاب سماه ( النظرات ) ، كما ترجم الى العربية عددا من القصص الاجنبية مثل : ماجدولين ، والفضيلة، وفي سبيل التاج ·

وظهر بعده طائفة من الادباء ، منهم الادباء الثلاثة : عباس محمود العقاد(٦٦) وابراهيم عبد القادر المازني ، وعبد الرحمن شكري ، وكان الثلاثة شعراء جمعهم مذهب واحد · ورأوا أن حالة الأدب في البلاد ، ـ وبخاصة النقد الادبي ـ غير مرضية ، فأصدروا كتابا في النقد ، أسموه ( الديوان ) وسموا بعد ذلك بجماعة الديوان ، وأصدروا العديد مـــن الدراسات والقصص ، ونظموا دواوين شعرية عديدة · كما كتبوا المقالات المتتابعة في الصحف والمجلات الادبية ، وكونوا مدرسة ادبية ، تتلمذ عليهم فيها كثير من الادباء والشعراء · وقادوا حركة النقد في مصر فترة من الزمن(٦٧) ·

وكان على رأسهم العقاد ، الأديب الكبير ، الذي قرأ وطالع الكثير ، وأصدر عدة دواوين شعرية ، منها ( عابر سبيل ) و ( وحي الاربعين ) و ( اعاصير مغرب ) · كما نشر دراسات كثيرة في شتى نواحي المعرفة الانسانية منها العبقريات الاسلامية ، وقد زادت كتبه التي نشرها عن مائة كتاب · وكان العقاد معتدا بنفسه ، لا يرى أحدا يدانيه من الادباء · وقد أطلق عليه طه حسين لقب ( امير الشعراء ) بعد وفاة شوقي ، ولكنه لم يقبل به ، لانه لم يوفه حقه في رأيه !!

---

(٦٥) انظر مقال سيد قطب في صحيفة دار العلوم السنة السابعة العدد الرابع ابريل ١٩٤١ : ٥٥ ـ ٥٦ وانظر « مهمة الشاعر في الحياة » لسيد قطب : ١١ ·

(٦٦) انظر تحليلا لحياة العقاد السياسية والفكرية في كتاب الفكر الاسلامي المعاصر ١٩٩ ـ ٢٨٢ ·

(٦٧) في الادب الحديث ٢ : ٢٤٤ ـ ٢٧٢ ·

واستمر الادباء الثلاثة ـ العقاد والمازني وشكري ـ يعملون معا فترة من الزمن ، الى أن فرق بينهم الوشاة ، فهجر شكري الشعر ، وانصرف المازني عن العقاد ، وبقي العقاد وحده في الميدان(٦٨) ٠

وكان معاصرا للعقاد ، الاديب مصطفى صادق الرافعي ، الذي اختط لنفسه أسلوبا خاصا في الكتابة والشعر ، واعتبر من كبار ادباء العربية المعاصرين ، بل كان يعتبر نفسه اديب العربية في مصر ٠ وكان الرافعي معتدا بنفسه كالعقاد ، لذلك دارت بينهما معارك ادبية حادة ، وشهدت صفحات المجلات والجرائد الادبية جولات عدة بين الاديبين ٠ كذلك دارت معارك أدبية بين تلاميذ الرافعي وتلاميذ العقاد(٦٩) ٠ وقد نشر الرافعي عددا من الدراسات الادبية والنقدية ، منها تاريخ آداب اللغة العربية ، واعجاز القرآن ، ورسائل الاحزان ، وكتاب المساكين ، وحديث القمر ، واوراق الورد ، والسحاب الاحمر ٠ وجمع عددا من مقالاته في المجلات في كتاب ( وحي القلم ) ٠

وعاصر العقاد والرافعي الاديب الدكتور طه حسين ، الذي درس في الأزهر ثم التحق بجامعة السوربون في فرنسا ، وتثقف الثقافة الاجنبية ، وعاد الى مصر ، وتبوأ فيها عددا من المراكز ، منها تدريسه في الجامعة المصرية عند انشائها ، ثم عين مديرا للجامعة ، ثم صار وزيرا للمعارف ، وقد أطلق عليه لقب ( عميد الادب العربي ) وقد أصدر طه حسين عددا من الدراسات الادبية والنقدية ، كما ساهم في الكتابة في الصحف والمجلات الادبية ، وقد أثار طه حسين عددا من المعارك الادبية ، حيث تبنى آراء بعض المستشرقين الفرنسيين ، التي يطعنون فيها في الاسلام والعربية ، وكان من أهم تلك الآراء التي جلبت عليه السخط ، موقفه من الشعر الجاهلي حيث اعتبره منحولا ، مقلدا في ذلك رأي المستشرق الانجليزي ( مرجليوث ) واثبت هذا في كتابه ( في الشعر الجاهلي ) ٠ وكان يدعو الى

---

(٦٨) جماعة أبوللو واثرها لعبد العزيز الدسوقي : ٤٨٤ ـ ٤٨٥ ٠

(٦٩) منها المعركة التي دارت بين سيد قطب من جهة ، وبين تلاميذ الرافعي من جهة أخرى على صفحات مجلة الرسالة ٠

أن تكون مصر نسخة طبق الأصل عن الغرب ، ونجد هذا في كتابه ( مستقبل الثقافة في مصر )(٧٠) ٠

وقامت في مصر جماعة (أبوللو) الادبية ، التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي ، ودعا الى مذهب تجديدي في الشعر ، وأصدر مجلتي ( أبوللو ) و ( الأمام ) اللتين نشرتا بحوثا ومقالات وقصائد لبعض الادباء الشبان(٧١) ٠

وانقسم الادباء في مصر الى فريقين :

شيوخ الادب : الذين أسهموا في النهضة الادبية الحديثة ببحوثهم وقصائدهم ومقالاتهم ودراساتهم وندواتهم ٠ وتتلمذ عليهم كثير من الشبان الناشئين ٠ ومن هؤلاء الشيوخ ، عباس العقاد ، والرافعي ، وطه حسين ، وابراهيم المازني ، وعبد الرحمن شكري ، والدكتور محمد حسين هيكل الذي عرف بدراساته في السيرة ٠ والدكتور احمد امين صاحب فجر الاسلام ، الذي أنشأ مجلة الثقافة في الثلاثينيات واستمرت حتى أوائل الخمسينيات وكانت مجلة أدبية مستقلة أسهمت في النهضة الادبية ونشرت للعديد من الأدباء ٠ ومنهم أحمد حسن الزيات ، الذي أنشأ مجلة ( الرسالة ) وقامت بدور كبير في اداء رسالتها ، وكانت كذلك مجلة أدبية مستقلة ، وكتب فيها كثير من الادباء الشيوخ والأدباء الشبان ، واستمرت في أداء رسالتها حتى توقفت بعد الثورة ٠ ومنهم توفيق الحكيم صاحب المسرحيات والدراسات الأدبية ٠ مثل « أهل الكهف » و « عودة الروح » و « يوميات نائب في الارياف » ومنهم الدكتور زكي مبارك ، والدكتور عبد الوهاب عزام ، والدكتور محمد أحمد الغمراوي ، وغيرهم ٠

والفريق الثاني : الأدباء الشبان الذين تتلمذوا على الجيل السابق وأبدعوا في الشعر والنثر ، والبحوث والدراسات ، ونشرت لهم المجلات الأدبية في النصف الأول من هذا القرن ـ العشرين ـ المقالات والبحوث والقصص والقصائد ، كما نشروا كتبا مختلفة الموضوعات ٠ كان بعضهم تلاميذ للعقاد مثل : سيد قطب ، وعبد الرحمن صدقي ، ومحمد خليفة التونسي ، وبعضهم تلاميذ للرافعي مثل : محمد سعيد العريان ، وعلي

(٧٠) الفكر الاسلامي المعاصر للتوبة : ١٢٧ ـ ١٧٤ ٠

(٧١) جماعة ابوللو واثرها في الشعر الحديث للدسوقي : ٢٧٧ ـ ٢٩٤ ٠

الطنطاوي · ومن هؤلاء الأدباء الشبان : الدكتور عبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسي ، صديقا سيد قطب الحميمان ، ومنهم : محمود محمد شاكر والعوضي الوكيل ، وصالح جودت ، وعلي محمود طه ، وابراهيم ناجي ، وعلي أدهم ، واسماعيل أدهم ، ومحمود حسن اسماعيل ، ونجيب محفوظ ، وأنور المعداوي ، وعز الدين اسماعيل ، وغيرهم ·

وقد تقدم النقد الادبي في مصر خطوات الى الامام ، وحتى الأربعينيات كان يقود النقد جماعة الديوان بصورة خاصة ، بالاضافة الى الرافعي وطه حسين وأحمد أمين وزكي مبارك ·

وفي الأربعينيات ، كان سيد قطب يتبوأ مركز الصدارة في النقد الادبي بخاصة ، حيث نشر مقالاته النقدية المتعددة في الصحف والمجلات ، كما أصدر كتابيه ( كتب وشخصيات ) و ( النقد الأدبي أصوله ومناهجه ) واستمر سيد قطب الناقد الأول في مصر الى أن انصرف الى دراساته الاسلامية ·

واستلم راية النقد من بعده الناقد الشيوعي الدكتور محمد مندور ، وعاصره من النقاد أنور المعداوي وعز الدين اسماعيل ، وغيرهم · كما ظهر من بعده النقاد الدكتور محمد غنيمي هلال والدكتور أحمد كمال زكي ورجاء النقاش وغيرهم ·

كانت مصر أسبق البلاد العربية في اصدار الصحف والمجلات التي كان لها دور بارز في النهضة الحديثة ، والتعريف بنتاج الادباء من قصائد ومقالات وقصص وبحوث ومسرحيات · وكانت من أوائل المجلات ظهورا ( المقتطف ) للدكتور يعقوب صروف ، ثم الاهرام ليوسف تكلا ، ثم الهلال لأميل زيدان ، وكان من هذه المجلات : أبوللو للدكتور أحمد زكي أبو شادي ، والأسبوع لادوار عبده ، والبلاغ اليومي والاسبوعي لعبد القادر حمزة ، والسياسة الاسبوعية لمحمد حسين هيكل ، والرسالة للزيات ، والثقافة لأحمد أمين ، والكتاب لعادل الغضبان ، والكاتب المصري لطه حسين ، والفتح والزهراء لمحب الدين الخطيب ، والعالم العربي والفكر الجديد لسيد قطب · وغيرها من المجلات الأسبوعية والشهرية ·

كما كانت بعض الجرائد اليومية تصدر ملاحق أدبية ، وتخصص صفحات منها للادب مثل : الاهرام ، والبلاغ ، والجهاد ، وغيرها ·

# الفصل الثاني

## بيئة سيد قطب

### قريتـــه

ولد سيد قطب في قرية من قرى الصعيد ، تتبع محافظة أسيوط تسمى قرية ( موشة ) كما تسمى بلد ( الشيخ عبد الفتاح ) وهو أحد أوليائها وله مقام فيها(١) ٠

وقد شب وترعرع في قريته تلك ، ولم يغادرها الا في شبابه ٠ ولذلك لا بد من التعرف على طبيعة هذه القرية ، لأنها تركت آثارا واضحة على الرجل ، وساهمت في تكوين شخصيته ٠ ولا نهدف من هذا المبحث الى وصف قريته وصفا جغرافيا ـ لذات الوصف ـ انما نهدف الى أمر آخر : فقد تفتحت عينا سيد قطب على الحياة في قريته ٠ وقضى فيها حوالي ثلاثة عشر عاما ، مما جعل لها اثرا عظيما على نفسه وعقله وتفكيره ، فهي البيئة الاولى التي عاش فيها ، واذا كان الطفل يكتسب الكثير من بيئته ، فمن الضروري ان نعرف ماذا اكتسب سيد قطب من تلك البيئة ٠ كما أنه من المسلم به أن للمناظر الطبيعية التي تتفتح عليها حواس الطفل أثرا على نفسيته فمن الضروري كذلك أن نعرف مناظر الطبيعة التي تفتحت عليها حواس سيد قطب الشاعرة ٠ والتي تأثرت بها نفسه ، وكونت ذلك الرصيد الضخم من الصور المذخورة في مخيلته ٠

واذا كانت دراسة حياة أي زعيم أو مفكر ، لا بد من أن تستوعب كل مراحل حياته ، وتبين مؤثرات كل مرحلة ، فمن الضروري أيضا معرفة مؤثرات قرية سيد قطب على المرحلة الاولى من حياته ، وعلى المراحل اللاحقة لها ، والتي قد تأثرت بها تأثرا واضحا ٠

لكل هذه الأمور ، سنعنى هنا بتصوير قريته ، وبيان أثرها على تكوين شخصيته ٠

---

(١) طفل من القرية : ٨٦ ٠

تقع قريته على الشريط الأخضر من الأرض الطيبة الذي يقع على جانبي نهر النيل ، ونظرا لمرور النيل من أراضيها ، فقد امتازت بالعديد من البساتين التي تزرع فيها مختلف انواع الخضروات والفواكه ، بل ان تلك البساتين كانت أكبر من عدد الايدي العاملة فيها(٢) ٠

يحدثنا سيد عن ثلاثة مواسم زراعية ، كان وجه القرية يتغير فيها كل عام ، وكانت هذه المواسم تؤثر على نفسية وأحاسيس الجميع ، والاطفال بصفة خاصة ، حيث ينتظرونها من العام الى العام ، وهي موسم اللوق ، وموسم الحصاد ، وموسم جني القطن ٠

ونترك الحديث لسيد قطب ، ليحدثنا عن موسم اللوق ومنظر الاراضي والبلدة خلاله ، وشعور واحاسيس الكبار والصغار تجاهه :

« موسم اللوق لا يعرفه الا سكان الاراضي التي تروى بالحياض ، تلك الأراضي التي تظل مكشوفة طوال العام ، حتى يحين موعد الفيضان في سبتمبر واكتوبر ( أيلول وتشرين أول ) من كل عام ، فتنطلق مياه الفيضان التي تعم الارض الزراعية جميعا ، وتصبح لجة يرتفع فيها الماء الى متر ، ويصل في بعض المواضع الى مترين أو أكثر ٠٠٠ عندئذ تصبح القرى جزائر في وسط اللجة ، لا يصل بعضها الى بعض الا في ( صغار المراكب وخفاف القوارب ) كما يقول عمرو بن العاص في رسالته التي كان الصبي* يحفظها في المدرسة الاولية ويجد مصداقها فيما تقع عليه عينه كل عام ٠

والحق ان منظر اللجة من الجبل الى الجبل منظر فريد ساحر ، فالوادي كله وعلى جانبيه التلان اللذان يسميهما الاهالي جبلين ، يستحيل الى لجة متصلة ينفلت فيها النيل من عقاله ويتخطى حواجز جسوره ، ليعانق الأرض الحبيبة التي يزورها مرة واحدة في العام ٠ ونظر الناس الى النيل نظرة المودع الآسف للوداع ، حتى لقد سمع الطفل أحد القرويين السذج يتأمل النيل الهابط في حسرة ، وقد خمد الموج العالي في اللجة ، وانساب انسيابا حسيرا ، ثم يقول : « مسكين ٠ خلاص همد » وكان

---

(٢) طفل من القرية : ١٨٢ ٠

* الصبي هو : سيد قطب ٠

الرجل يقولها وكأنما يتحدث عن انسان حي تربطه به آصرة القربى وصلة العائلة ومودة الاصدقاء »[٣] !

وعندما كبر سيد وذهب الى المدرسة ، كان أكثر ما يكون فرحا حين تستحيل مدرسته الى شبه جزيرة في وقت الفيضان ، يحيط بها الماء من ثلاث جهات ، وتبقى الجهة الرابعة تصلها بالقرية عن طريق البر • وقد كانت المدرسة تقع في طرف القرية ، على حدود الحقول الزراعية •

وكان المدرسون يأتون الى المدرسة من القرى القريبة بالمراكب والقوارب الشراعية وكان سيد يلقي بنظراته ـ من المدرسة ـ على تلك المشاهد الفاتنة •

ولا شك ان طول مدة بقاء الفيضان ـ يستمر شهرين ـ ومنظر القوارب والمراكب تتنقل جيئة وذهابا وسط اللجة ، والقرى تتناثر وسط الفيضان كالجزر ، والاشجار الباسقة تتمايل يمنة ويسرة وسط الماء ، لا شك أن هذا كله ترك اثرا عظيما على نفسية سيد قطب ، واحساسه بالجمال ، وشعوره بالأنس نحو الطبيعة • وحقا كم لمنظر الماء من أنس وسحر ، على أخيلة وأحاسيس الصغار والكبار !

وبعد أن ينحسر الماء عن أراضي القرية ، يخرج المزارعون من الاهالي ومن العمال الغرباء الى الحقول ، ليبذروا الحب • ويخرج سيد الى مزارع والده لا ليعمل مع المزارعين ، بل ليستمتع برؤية تلك المناظر الخلابة ، وليداعب العمال وهم يزرعون ، ولينظر الى الماشية ترعى في الحقول ، وليجري في البساتين بخفة ورشاقة الاطفال ، وليشنف سمعه بتغريد الطيور والبلابل • يخرج الى الطبيعة الحية لتتفتح أحاسيسه وأخيلته ولتستمع نفسه بجمال الكون الذي خلقه الله •

لقد كان عالم الحقل الذي درج فيه سيد ، عالما ساحرا حقا ، فسيحا ممتدا •••

وأما بيوت القرية وممراتها وأزقتها ، فلم تكن تخلو من الاشجار الباسقة الجميلة ، مثمرة كانت أو غير مثمرة •

---

(٣) طفل من القرية : ١٨١ ـ ١٨٢ •

وبيته الذي عاش فيه ، فيه أشجار متنوعة ، فيه نخلتان شاهقتان ، تهزهما الريح فتأتيان بحركة عجيبة متناسقة(٤) ، تؤثر في نفسية سيد واحساسه ، وتهز فؤاده كله · وكذلك المدرسة التي درس فيها ، فيها شجرتان ظليلتان ، وفيها أزهار جميلة ، منها زهرة ( دقن الباشا ) التي تفوح منها رائحة عطرة · والتي لا نظير لها في القرية كلها(٥) ·

تقع قريته بين جبلين، يحيطان بها وبأراضيها الزراعية· ويسكن قريته عدد من النصارى ، لهم كنيسة في القرية ، ودير يقع في حضن الجبل ، على بعد خمسة كيلو مترات منها(٦) ·

كانت قريته ـ التي وصفنا حقولها ـ ثرية معروفة بالثراء والرقي والنظافة ، بالقياس الى القرى الاخرى المجاورة ·

ورغم سعة أراضي القرية الزراعية « فلم تكن الملكيات الكبيرة ، التي تشبه الاقطاع معهودة فيها · فأكبر ملكية زراعية لم تكن تتجاوز المائتي فدان ··· وقل أن يكون في القرية فرد أو بيت لا يملك قطعة أرض صغيرة أو كبيرة »(٧) ·

كانت الفوارق بين أهالي القرية شبه معدومة ، وكانت العلاقة بين الجميع تقوم على الود والمساعدة ، ولا مجال فيها للحقد الطبقي ، او استعباد الاخرين ·

« توزيع الاراضي الزراعية على هذا النحو كان يقرب الفوارق بين الطبقات ويخلق حالة من الأنفة الشخصية في صلات الناس بعضهم ببعض فلم يكن هناك خدم بالمعنى المعروف في المدينة أو بعض الضياع والتفاتيش حيث يهبط الخادم الى مرتبة الرقيق ···

---

(٤) الاطياف الاربعة : ١١٥ ·

(٥) طفل من القرية : ٤١ ·

(٦) طفل من القرية : ١٤٤ و ١٨٤ · والاطياف الاربعة ٨٥ · وقد تحدث عن هذا الدير ( المقريزي ) في خططه ٣ : ٤١٧ · وسماه دير ( موشة ) ·

(٧) طفل من القرية : ١٨٢ ·

كان الخادم في القرية انسانا فقيرا محتاجا الى العمل ، ولكنه لا ينطق كلمة ( سيدي ) المقيتة ، بل يستعيض عنها بكلمة ( عمي ) لصاحب البيت وامرأة عمي لسيدته ... ثم هو يعمل في الدار أو في الحقل ، وفي تربية المواشي طوال اليوم ، فاذا جن الليل عاد الى بيته وأهله كما يعود أي سيد »[٨] .

أما مستوى المعيشة في القرية فهو مستوى معقول – بالقياس الى القرى الاخرى – فأفقر بيت يأكل اللحم كل أسبوعين مرة . وغالبا ما يأكلونها كل أسبوع ، والسمن البلدي معروف في البيوت جميعا . والفاكهة والبطيخ والشمام والبلح والرمان والنبق والقثاء والخيار والجوافة والتفاح البلدي والقصب ... تدخل البيوت جميعا مع اختلاف المقادير »[٩] ...

كان لكل اسرة في القرية بيت مملوك ، صغيرا كان أو كبيرا ، والاكواخ الطينية لم تكن معروفة في القرية .. كان أكثر بيوتها مبنيا بالطوب الاحمر وسائرها من اللبـن ، ومعظم البيوت يتكون من طابقين أو ثلاثـة ، وبعضها يصل الى أربعة ، وندر أن يتألف المنزل من طابق واحد حتى بيوت الفقراء[١٠] .

البيت الذي عاش فيه سيد ، كان بيتا فسيحا جميلا ، وصفه سيد كما وصفه اخوته[١١] ولكن هذا البيت لم يستمر ملكا للعائلة ، فقد باعه والده الى أحد أقباط القرية ، وقد تهدم جزء كبير منه بعد أن مات المشتري، واهمله ورثته من بعده[١٢] .

ورغم أنه قد بيع لظروف قاهرة ، الا أن وقع البيع كان شديدا على نفوس جميع أفراد العائلة . اذ كان بيت العائلة ، الذي نشأ فيه الجد والاب والام والاولاد ، وللجميع فيه ذكريات وأحلام .

---

(٨) طفل من القرية : ١٨٣ .
(٩) المرجع السابق : ١٨٣ – ١٨٤ .
(١٠) المرجع السابق : ١٨٣ .
(١١) انظر وصف سيد في طفل من القرية ٢٠٤ – ٢٠٥ . ووصف محمد في الاطياف : ١١٥ – ١١٦ ووصف امينة في الاطياف : ٨٩ – ٩٠ .
(١٢) الاطياف الاربعة : ٨٥ .

# أصلــــه

هو سيد قطب ابراهيم حسين شاذلي ، ولد في قرية ( موشة ) احدى قرى محافظة اسيوط في الصعيد ، وكانت ولادته في سبتمبر ( أيلول ) سنة ١٩٠٦(١٣) ٠

وقد اختلف الذين كتبوا عنه في أصله ، أهو مصري أو هندي ؟ فذهب معظمهم الى أن أصله هندي ٠ وان أحد أجداده قدم من الهند الى مكة للحج ثم استوطن قرية « موشة » في صعيد مصر ٠

بل ان أبا الحسن الندوي نقل في كتابه ( مذكرات سائح في الشرق العربي ) كلاما لسيد قطب نفسه ، يؤكد هذا ٠ حيث قال له مبينا الباعث الطبعي عنده لزيارة الهند :

« وأما الباعث الطبعي ، فلأن جدنا السادس كان هنديا ، وهو ( الفقير عبد الله ) ولا تزال السحنة الهندية موروثة في اسرتنا »(١٤) ٠

وكان يكفينا كلام سيد هذا ، دليلا على ما ذهبوا اليه ٠ حيث حدد أن جده السادس ( الفقير عبد الله ) ٠ قدم من الهند ٠ أقول كان يكفينا هذا لولا أن شقيقه الاستاذ محمد قطب ، نفى هذه الحكاية ــ عندما قابلته ــ وقال : انها مجرد ظن ، مبعثه ان تقاطيع وجوه العائلة قريبة الشبه بتقاطيع وجوه أهل الهند ، فقالوا : لعل أحد أجدادهم قد هاجر من الهند وحمل كلام سيد قطب السابق على انه قاله للندوي ،على سبيل المجاملة والدعابة فقط !!٠

وأنا أميل الى الرأي القائل بأن سيد قطب هندي الأصل ٠ اعتمادا على كلام سيد قطب الى أبي الحسن الندوي ، حيث حدد له اسم الجد القادم من الهند ، وبهذا يكون قد أقام الدليل على صحة دعواه ٠ مع الاخذ بعين الاعتبار بأن نسبه الحقيقي هو الاسلام ، لأن جنسية المسلم عقيدته !!!

---

(١٣) اخبرلي بهذا الاستاذ محمد قطب ٠

(١٤) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي : ١٥٣ ٠ وقد ورد الاسم في كتاب الندوي « عبيد الله » وهو تصحيف ، والصحيح ان اسمه عبد الله ، كما اخبرني الاستاذ محمد قطب ٠

# أسرتـــه

حدثنا سيد عن اسرته ، ومركزها المرموق في القرية فقال :

«نشأ في أسرة ليست عظيمة الثراء ، ولكنها ظاهرة الامتياز ، كانت في وقت من الأوقات عظيمة الثروة ، ولكنها توزعت وتضاءلت بالميراث • وبقي لوالده قدر لا بأس به منها ، ولكنه كان يتناقص دائما ••• كان والده قد صار عميد الأسرة المكلف حفظ اسمها ومركزها ، في الوقت الذي لم ينله من الميراث الا نصيب محدود ، لا ينهض بما كانت تنهض بـه ثروة الأسرة مجتمعة • على حين لا يستطيع أن ينقص شيئا من تكاليف المظهر في الريف •••»(١٥) •

كما حدثنا عن اسرة والدته قائلا :

«وكانت والدته من أسرة مماثلة أو أعرق • وقد وقع لها ما وقع لأسرة الوالد حرفا بحرف ••• ولكنه زاد عليها أن اثنين من أخواله كانا قد أوفدا الى الأزهر في القاهرة ، شأن غالبية الأسر الريفية الثرية • فأنشأ هذا في الاسرة شيئا من الرقي العلمي ، بجانب الوجاهة الريفية ! يضاف الى هذا كله أن جده لوالدته كان قد قضى شطرا كبيرا من حياته في القاهرة هو وزوجته ، حتى اذا عاد الى القرية أنشأ فيها بيتا يقرب من بيوت العاصمة على قدر الامكان ، في نظامه وتنسيقه وتقاليده ومستواه ، وساعده المال على تحقيق ما أراد •

في هذه البيئة نشأ ، وكل ما حوله يشعره أنه من وسط آخر غير وسط القرية»(١٦) •

هذه اسرة سيد قطب التي عرف الحياة في جوها ، وشب في احضانها ، جمعت بين الوجاهة الريفية والرقي العلمي ، وكان كل أهل القرية ينظرون لوالده — عميد الأسرة — بعين الاكبار والاجلال ، حيث احتل مركزا مرموقا• وبعض أهل القرية يأتون الى العائلة ، يحيطون بها كخدم وأعوان •

---

(١٥) طفل من القرية : ٢١ •

(١٦) المرجع السابق : ٢١ — ٢٢ •

والأغراب القادمون من القرى البعيدة للعمل في مزارع القرية ، يفضلون العمل في مزارع الاسرة • وموظفو الدولة الذين يعملون في القرية يترددون على الأسرة باستمرار ، والحفلات التي تحييها الأسرة دائما يحضرها أهل القرية • والولائم الكبيرة التي تقام في المواسم ويتلى فيها القرآن ، تتكرر عند الأسرة أكثر من مرة في السنة •

لا غرابة اذن في أن يشعر سيد ، أن أسرته ليست كباقي الأسر ، وأنها تمتاز عن غيرها بذلك المركز المرموق الذي يغبطها عليه الكثيرون ، ولقد غرست هذه المشاعر في نفسه معاني العزة والكرامة ، وهي المعاني التي صاحبته طيلة حياته ، رحمه الله ! •

## والـــده

اذا ما ألقينا نظرة على ما كتبه سيد قطب في (طفل من القرية) وعلى اهدائه كتابه (مشاهد القيامة في القرآن) وعلى الكتاب المشترك الذي ألفه مع اخوته (الأطياف الأربعة) استطعنا أن نتعرف على والده ، وأن نرسم له في مخيلتنا صورة واضحة الملامح بارزة السمات ·

لقد ورث والده ـ الحاج قطب ابراهيم ـ[17] من الأسرة ، قدرا محدودا من الثروة الزراعية ، وورث مع ذلك عمادة الأسرة · وكان هذا يتطلب منه أن ينفق الكثير الكثير من أجل المحافظة على مركز الأسرة المرموق · ولا يستطيع ـ حتى لو أراد ـ أن ينقص شيئا من تكاليف المظهر في القرية ، فلا بد أن يدفع ثمن هذا كله · ومع أن ما بين يديه من المال لا يكفي للاستمرار في دفع هذا الثمن ، والقيام بتلك النفقات الكثيرة ، لذا بات من الضروري أن يبيع بعض أراضيه · فراح يبيع بين الحين والآخر ـ كلما وقع في ضائقة مالية ـ قطعة من أراضيه ، فباع ما يملك قطعة قطعة · واضطر في النهاية الى بيع بيت العائلة الكبير ! ·

لم يكن البيع نصيب أراضي والده فقط ، بل كان كذلك نصيب أراضي أسرته لأمه ، حيث قام أخواله ، بعد وفاة أبيهم ، ببعثرة ثروته الواسعة التي ورثوها عنه ، يمينا وشمالا ، حتى انتهت عن آخرها ·

كان وقع هذا البيع شديدا على والدته ، وقد صور لنا سيد حالتها ، بعدما قام والده ببيع قطعة من أراضيه ، كما صور لنا وقع هذا البيع على نفسه الصغيرة ، حيث سيفقد الحقل والبيت والبهائم · وكانت أمه تعده ليعيد للأسرة ما فقده أبوه بالبيع ، وذلك بارساله الى القاهرة ليتعلم ثم يحصل على وظيفة ، ويدخر المال اللازم ويعود الى قريته ليشتري ما باعه أبوه[18] ·

ولكن بعدما تخرج وسكن القاهرة ، صار عنده ما يشغله ، وجد عليه من الواجبات ما حال بينه وبين تحقيق أمنية أمه ! ·

---

(١٧) طفل من القرية : ٢٠٧ ·

(١٨) المرجع السابق : ٢٠١ ـ ٢٠٨ ·

كان والده كريما ، متلافا مضيافا[١٩] ، ينفق الكثير على أولاده وأهل بيته ولا يبخل عليهم بشيء . فما كانوا يحتاجون الى شيء مما يوجد في السوق . لأنه كان أسبق الجميع في احضار أجود أصنافه اليهم[٢٠] .

وكان عند والده عدد من الخدم ، لم يكونوا خدما بالمعنى المعروف ، بل كانوا خدما من نوع خاص ، وهم فقراء من أهل القرية ، بعضهم أقارب بعيدون للعائلة ، وبعضهم جيران لها ، كانوا يقومون ببعض شؤون المنزل من الليل أو النهار ، أو يساعدون في أعمال الحقل ، في مقابل «أكلة ، أو شيء من الوقود الذي يلزم لهم مـن روث الدواب ، وفي مقابـل بعض الملابس التي يخلعها أهل البيت ، ويستطيع هؤلاء الفقراء أن يجدوا فيها من الصلاحية مالم يجده أهل الدار . ثم في مقابل كيلات من الحبوب في المواسم ، وكميات من التبن وأعواد الذرة الجافة للوقود»[٢١] .

ويرفض والده أن يكون هؤلاء الخدم أذلاء أمامـه ، فما يقبـل أن يخاطبوه بكلمة ( سيدي ) التي تنضح بالذل ، ويرضى أن يناديه الصغار بلقب (عمي الحاج) والكبار بلقب (الحاج)[٢٢] .

شمل كرم والده العمال الأغراب ، الذين يأتون للعمل في أرضه كل موسم ، ولم يكن الطعام الذي يقدمه لهم في مستواه اقل من طعام العائلة وهو يخالف في ذلك عرف أهل القرية الذين يميزون طعامهم عن طعام عمالهم . وعندما طالب هؤلاء العمال مرة أن يأكلوا على حسابهم مقابل زيادة في أجرتهم اليومية ، وافق على منحهم الزيادة على أن يستمر في تقديم الطعام لهم[٢٣] .

وكان من كرم والده أيضا . تلك الولائم التي تتكرر في بيته سنويا ، وقد حدثنا عنها سيد قائلا : «والختمة كانت عادة موسمية في منزلهم ، تتكرر أربع مرات أو خمسا في العـام ... وفحواهـا أن يدعي بعض (الخطباء) أي قراء القرآن الى المنزل لتلاوته ، تبركا وتيمنا على أرواح

---

(١٩) طفل من القرية : ٢١ .
(٢٠) المرجع السابق : ١٢٩ .
(٢١) المرجع السابق : ١٩٢ ـ ١٩٦ .
(٢٢) المرجع السابق : ٨٠ .
(٢٣) المرجع السابق : ١٩٢ ـ ١٩٦ .

الأموات في مواسم معينة : في يوم عاشوراء ، وفي العيدين الصغير والكبير ، وفي اليوم السابع والعشرين من رجب وفي نصف شعبان»[٢٤] .

وكان يقدم للقراء والخطباء والحضور ، بعد انتهاء الختمة ، أجود أصناف الطعام في الافطار والغداء والعشاء[٢٥] .

وقد كان والده متنورا ، عنده المام بنواحي المعرفة والثقافة ، وعنده وعي وطني وسياسي ! فقد كان من قراء الصحف ، مشتركا في صحيفة الحزب الوطني اليومية (اللواء)[٢٦] . وقام بواجبه الوطني خير قيام ، اذ انضم الى الحزب الوطني ، وكان عضوا في لجنة الحزب بالقرية[٢٧] .

والحزب الوطني الذي انضم اليه ، من أوائل الأحزاب المصرية نشوءا . حيث أنشأه مصطفى كامل سنة ١٩٠٧ ، وكانت ميوله الوطنية والاسلامية واضحة ، كما كان من أعنف الأحزاب هجوما على بريطانيا ، وقد ضم الحزب عددا من خيرة المصلحين المصريين ذوي الميول الاسلامية ، مثل الشيخ عبد العزيز جاويش ، واستمرت هذه الميول واضحة لدى الحزب الى فترة طويلة ، حيث تخلى عنها فيما بعد[٢٨] .

لقد كان والد سيد حزبيا نشيطا ، حيث جعل من بيته مركزا سياسيا هاما تعقد فيه الاجتماعات السياسية الوطنية ، العلنية العادية منها ، والسرية الخطيرة التي لا يحضرها الا المختصون ! .

وعلاوة على ذلك ، كانت الدار مركز تثقيف جماهيري ، حيث تأتيها الجموع لتستمع للأحاديث السياسية والوطنية ، ولتقرأ جريدة الحزب الوطني اليومية ، حيث تطلع على آخر الأخبار المحلية والعالمية ، وتستفيد من التحليلات السياسية[٢٩] .

وقد حدثنا سيد عن دور والده في التحضير لثورة سنة ١٩١٩ في القرية وعن الاجتماعات التي كانت تعقد في دارهم تمهيدا لها :

---

(٢٤) طفل من القرية : ٧٥ .
(٢٥) انظر وصف الختمة وما يجري فيها في : طفل من القرية : ٧٥ ــ ٧٩ .
(٢٦) الاتجاهات الوطنية ١ : ٩٣٠ .
(٢٧) طفل من القرية : ٣٧ و ١٤٥ .
(٢٨) الاتجاهات الوطنية : ٢ : ٤١٤ ــ ٤١٦ .
(٢٩) طفل من القرية : ١٤٦ ــ ١٤٧ .

«كان ذلك في نهاية الحرب العظمى الماضية ، وكان بالمدرسة ناظر شاب يتقد وطنية ، ولما كان والد الطفل عضوا في لجنة الحزب الوطني ، ومشتركا في صحيفته اليومية ، فقد كان منزلهم مثابة للوطنيين من رجال القرية ، ولهذا كان الناظر الشاب كذلك ، الذي انعقدت صداقة حميمة بينه وبين والده • وفي هذه الاجتماعات كانت تدور أحاديث يحضر بعضها الصبي (سيد قطب) وبعضها كان سريا لا يعلم عنه أحد شيئا(٣٠) ».

ويحدثنا سيد عن أثر هذه الاجتماعات على نفسه ، وما تلقيه في حسه وروعه :

«وكان يبدو أن هناك شعورا معينا يختمر ، يذكر الآن ذلك كله ، ويدرك أنه وهو طفل ، كان يتوقع في حسه — مع هؤلاء الرجال — شيئا غامضا لا يدري ما هو ولا كيف يقع ، ولكن شيئا ما سيحدث ، والسلام • وكانت الاجتماعات السريةالتي تعقد في منزله ، والأبواب مغلقة ، والأصوات تجري همسا • كانت هذه الاجتماعات تلقي في روعه هذا الشيء الغامض الذي لا يدريه»(٣١) •

كانت علاقة والده بربه قوية متينة ، فقد كان متدينا ، يقيم الصلاة في كل وقت ، ويصليها في المسجد الجامع ، وكثيرا ما كان يصطحب طفله — سيد — معه • وعندما كبر سيد ، ووصل العاشرة من عمره صار يذهب الى المسجد وحده ، ويحرص على أداء الصلاة جماعة فيه(٣٢) •

وقد أدى والده فريضة الحج ، وكان الصغار يلقبونه بـ (عمي الحاج) والكبار بلقب (الحاج) • وهذا دليل على قوة العقيدة في نفسه ، ومسارعته الى مرضاة ربه ، فما كان يؤدي فريضة الحج في زمنه الا القليل من الأثرياء الذين عمر قلوبهم الايمان بالله •

وقد كان كثير الصدقة في سبيل الله ، على الفقراء والمساكين في القرية ، ومنهم من كان يجلس معه في البيت ، يأخذون نصيبهم من الطعام ، أو الحبوب في المواسم •

---

(٣٠) طفل من القرية : ١٤٥ — ١٤٦ •

(٣١) المرجع السابق : ١٤٦ •

(٣٢) المرجع السابق : ١٢٠ •

كما كان يتصدق على العمال الذين يعملون في أراضيه ، فيعطيهم أجرا يزيد عن أجور زملائهم الذين يعملون عند الآخرين • ويقدم لهم طعاما أجود من طعام الآخرين كذلك •

كان يقيم حفلات (الختمة) في البيت عدة مرات في العام ، حيث يجتمع قراء القرية ، يقرءون القرآن مقابل أجرة مادية يدفعها لهم ، ووليمة فخمة يضعها أمامهم • وكان يجمع القراء في المنزل طوال شهر رمضان يقرءون القرآن ، وينفق عليهم من الأموال الكثير ، ويقدم لهم أطايب الطعام ، ويبتغي بهذا كله وجه الله •

كان يعيش كل يوم والآخرة في حسابه ، هي المسيطرة على حركاته وسكناته ومواقفه وأعماله • وخير ما يصور لنا هذا سيد ، فقد أهدى له كتابه «مشاهد القيامة في القرآن» ومما جاء في اهدائه قوله :

«لقد طبعت في حسي – وأنا طفل صغير – مخافة اليوم الآخر ، لم تعظني أو تزجرني ، ولكنك كنت تعيش أمامي ، واليوم الآخر في حسابك، وذكراه في ضميرك وعلى لسانك ••• كنت تعلل تشددك في الحق الذي عليك ، وتسامحك في الحق الذي لك ، بأنك تخشى اليوم الآخر • وكنت تعفو عن الاساءة وأنت قادر على ردها ، لتكون كفارة لك في اليوم الآخر • وكنت تجود أحيانا بما هو ضرورة لك ، لتجده ذخرا في اليوم الآخر ••••

وان صورتك المطبوعة في مخيلتي ، ونحن نفرغ كل مساء من طعام العشاء فتقرأ الفاتحة ، وتتوجه بها الى روح أبويك في الدار الآخرة • ونحن أطفالك الصغار نتمتم مثلك بآيات منها متفرقات ، قبل أن نجيد حفظها كاملات»(٣٣) •

ولا شك أن هذه السمات البارزة في شخصية والده ، والتي ذكرها سيد هنا ، قد أثرت فيه كثيرا ، ورسخت في نفسه وشعوره ، ورسمت ملامح شخصيته ، وكان لها صلة مباشرة بالمواقف التي وقفها في حياته ، مواقف العزة والثبات ، والاستعلاء والكرامة •

---

(٣٣) مشاهد القيامة في القرآن : ٥ باختصار •

# أمـــه

لقد كانت أم سيد قطب من أسرة رفيعة من أسر القرية ، ذات مكانة مرموقة فيها ، نظرا لثروتها الواسعة التي جمعها والدها ، ونظرا لدراسة اثنين من اخوانها في الأزهر الشريف ، حيث جمعت بهذا بين الوجاهة العلمية والوجاهة الاجتماعية ٠

كان لها اخوة أربعة ، اثنان منهم نالا قسطـــا من العلم ، وكـــان لأحدهما ــ أحمد حسين عثمان ــ أثر كبير على سيد ٠ عندما سكن معه في القاهرة(٣٤) ٠

ورغم أن ثروة الأسرة في القرية قد بيعت عن آخرها ٠ الا أن أمه لم تجزع ، فقد اتصفت بالايمان والثقة والعزة والكرامة ٠ وكان لأسرتهـــا فضل كبير في غرس هذه الصفات في نفسها ، ووالدها رجل أزهري ثري تقي ٠ وأخواها تعلما في الأزهر كذلك ٠

كانت تحب سماع القرآن وتخشع عند تلاوته ، وتحث والدها سيد على أن يقرأ لها القرآن ٠ وتتسمع من وراء «الشيش» للقراء يرتلون القرآن في المنزل ٠ وقد صور لنا سيد هذه السمة فيها ، عندما أهدى اليها كتابه (التصوير الفني في القرآن) قائلا :

«لطالما تسمعت من وراء (الشيش) في القرية ، للقراء يرتلون في دارنا القرآن ، طوال شهر رمضان ٠ وأنا معك ــ أحاول أن ألغو كالأطفال ــ فتردني منك اشارة حازمة ، وهمسة حاسمة ، فأنصت معك الى التراتيل ، وتشرب نفسي موسيقاه وان لم أفهم بعد معناه ٠ وحينما نشأت بين يديك، بعثت بي الى المدرسة الأولية في القرية ، وأولى أمانيك أن يفتح الله علي فأحفظ القرآن ، وأن يرزقني الصوت الرخيم فأرتله لك كل آن ٠

ولقد رحلت عنا ــ يا أماه ــ وآخر صورك الشاخصة في خيالي ، جلستك في الدار أمام المذياع ، تستمعين للترتيل الجميل ، ويبدو في

---

(٣٤) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب ٠

قسمات وجهك النبيل ، انك تدركين - بقلبك الكبير وحسك البصير - مراميه وخفاياه[٣٥] ٠

اذا كانت هذه حالتها عند سماع القرآن ، فلا بد انها كانت صوامة قوامه ، تقية بارة !!

كانت كريمة تكثر من الصدقة في سبيل الله ، وتقوم باعداد الطعام بنفسها للقراء الذين يقرءون القرآن في المنزل كما كانت تعده أيضا للعمال الاغراب ، الذين يعملون في حقول الاسرة ٠ وتجهد نفسها في هذا كله ، وهي راضية النفس لأنها تتقرب الى الله بهذا العمل ، وترجو ما عنده[٣٦] ٠

كانت حريصة على أن تغرس في نفوس أبنائها الصفات الايمانية التي اتصفت بها ، وأن تربيهم عليها ، كي يتمثلوها في تصرفاتهم وسلوكهم ومواقفهم ٠ وكانت عنايتها بسيد فائقة ، فهو الابن البكر ، وهو محط آمالها ومعقد رجائها ، لذلك حرصت على أن تبني شخصيته على الايمان ، والعزة والكرامة والمروءة ، وتحمل المسؤولية !!

كانت تريد منه أن يكون رجلا حتى قبل أوانه[٣٧] ٠ لذلك راح يهرب من كل مظاهر الطفولة في طفولته ، ويعزو السبب الى ( الكبرياء التي اودعتنيها منذ الطفولة فجعلتني أهرب من كل مظاهر الطفولة[٣٨] ٠

وعندما توفيت أمه سنة ١٩٤٠[٣٩] ٠ كان مما رثاها به قوله : «اماه ٠٠٠من ذ الذي يقص علي أقاصيص طفولتي كأنها حادث الأمس القريب ، ويصور لي أيامي الأولى فيعيد اليها الحياة ، ويبعثها مرة أخرى في الوجود ؟

لقد كنت تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد ، منذ ما كنت في المهد صبيا ٠ وكنت تحدثينني عن آمالك التي شهد مولدها مولدي ، فينسرب في خاطري أنني عظيم ، وأنني مطالب بتكاليف هذه العظمة ، التي

---

(٣٥) التصوير الفني في القرآن : ٥ ٠
(٣٦) طفل من القرية : ١٩٢ ٠
(٣٧) انظر حديثها له في « طفل من القرية » : ٢٠١ - ٢٠٨ ٠
(٣٨) الاطياف الاربعة : ١٦٦ وقد وردت في الاطياف « اودعتيها » ويبدو أنه تصحيف ٠
(٣٩) الاطياف الاربعة : ١٦٨ ٠

هي من نسج خيالك ووحي جنانك ، فمن ذا يوسوس الي بعد اليوم بهذه الخيالات الساحرة؟ ومن ذا يوحي الي بعد اليوم بتلك الحوافز القاهرة[٤٠]؟

اذا كان هذا ما أوحت به اليه ، واذا كان هذا ما أملته فيه ، فلا غرابة اذن في المواقف العظيمة التي وقفها ، والتكاليف الباهظة التي دفعها ، حتى هانت عليه حياته ، وبذلها في سبيل ما يعتقد . وان لأمه أثرا عظيما ملموسا على هذه المواقف . ولقد صدق ظن أمه فيه ، فقد عاش سيد قطب عظيما ومات عظيما وما زال تلاميذه يتحسسون مواطن العظمة فيه ، ويسيرون على خطاه ! !

---

(٤٠) الاطياف الاربعة : ١٦٧ .

# اخوتـــه

تزوج والده زوجتين ، الأولى أنجبت أولادا ، أشار سيد الى أحدهم في كتابه (طفل من القرية)(٤١) ·

والثانية ـ أم سيد ـ أنجبت أولادا ، عرفنا منهم خمسة : ابنان وثلاث بنات · وهم : نفيسة وسيد وأمينة ومحمد وحميدة ·

**نفيســـة :**

وهـي المولودة الأولى ، تكبر سيد بثلاثة أعوام(٤٢) ولا نعرف عنها الكثير وقد اشار لها سيد في كتابه ( طفل من القرية ) دون ذكر اسمها(٤٣)· ولم يكن لها اشتراك في الأعمال الأدبية كباقي اخوتها · وقد قدمت أغلى ما تملك في سبيل الله · حيث استشهد ابنها (رفعت بكر شافع) الطالب في كلية الهندسة بجامعـة القاهرة ، وذلـك عندما زج جمال عبـد الناصر بالألوف مـن أفراد جماعة الأخوان المسلمين في السجون ، عام ١٩٦٥ ، وجرت لهم مذابح رهيبة فيها · وقد لقي هذا الشهيد ربه ، عندما كان الزبانية يعذبونـه في مكتب شمس بدران ـ وزيـر الحربية يومئذ ـ وكـان سيد يحب هـذا الشاب كثيرا ، بل كان أحب أولاد أختـه اليه · للشبه الكبير بينهما · كمـا سجن شقيقه عزمي ، وعذب تعذيبا شديدا ، أوشك أن يموت منه، · وقد نالت نفيسة نصيبها من السجن والتعذيب ولم يرحم الطغاة ضعفها وشيخوختها ، حيث كان عمرها يزيد على الخامسة والستين ، ولم يخرجوها من السجن الا بعد استشهاد ولدها رفعت(٤٤) ·

**سيــــد :**

وهو أول مولود ذكر ، أنجبته أمه ، حيث كان له أخ أكبر منه ، الا أنه غير شقيق له ، وقد خصصنا هذا الكتاب للحديث عنه ودراسة شخصيته !

---

(٤١) طفل من القرية : ٣٣ ، ١٥٦ ، ٢٠٧ ·

(٤٢) المرجع السابق : ٢٠٢ ·

(٤٣) المرجع السابق : ٢٠٤ ·

(٤٤) مذابح الاخوان في سجون ناصر لجابر رزق : ١٣٣ ـ ١٣٤ ·

## أمينـــة :

كانت تصغر سيد[٤٥] • وعاشت في القرية لفترة من الزمن ، ثم انتقلت الى القاهرة ، وتزوجت • وكانت لها ثقافة أدبية واسعة • ولها مشاركة في الأعمال الأدبية • وكان فن القصة هو أكثر فنون الأدب اجادة له ، حيث نشرت في المجلات الأدبية عددا من القصص الهادفة ، وتنبع قصصها من التصور الأسلامي للأدب والحياة • كما شاركت امينة اخوتها في كتابهم المشترك ( الأطياف الأربعة ) بقصص منها •

وقد عرف بها سيد في مقدمة (الأطياف) قائلا : «تلك الفتاة الهادئة (أمينة) انها ساربة في الماضي لا تكاد منه تعود ، انها شاعرة ، ثروتها من التصورات أجزل مـن ثروتها في التعبير ، انها مستغرقة في حلـم : بالمستقبل الذي لا تملك وبالماضي الذي لن يعود»[٤٦] •

ونعرف لها مجموعتين منالقصص المطبوعة :

« في تيار الحياة » مجموعة أقاصيص ، ضمت اثنتي عشرة أقصوصة ، وقد أهدت هذه المجموعة الى أخويها سيد ومحمد ، ومما جاء في الاهداء قولها :

«يا شقيقي الحبيبين ! اليكما أهدي هذه الأقاصيص ، ان في بعضها صرخات في التيه ••• قبل أن تبدو لعيني معالم الطريق المأمون •• وفي بعضها الآخر خطوات متعثرة في منحنيات الطريق الطويل • فتقبلاهـــا مني •• ريثما أتحسس المعالم والسمات ، وأدرب قدمي على مشـــاق الصعود[٤٧] •

ومن اهدائها هذا يتجلى لنا أنها وان لم تبد لعينيها معالم الطريق المأمون في ذلك الوقت ، فقد سارت خطوات متعثرة في منحنيات الطريق الطويل ، وأنها بهذا السير وهذا التعثر سوف تتحسس المعالم والسمات للطريق اللاحب الطويل ، والذي دربت قدميها على مشاق صعوده • وقد صعدت هذا الطريق فيما بعد وتحملت مشاقه وأهواله ، وأخذت نصيبها

---

(٤٥) طفل من القرية : ٢٠٢ •

(٤٦) الاطياف الاربعة : ٨ •

(٤٧) في تيار الحياة لامينة قطب : ٣ •

من المحنة والابتلاء ، فأدخلت السجن وعذبت وصبرت ، وخرجت منه أقوى ايمانا من قبل ٠

المجموعة الثانية من أقاصيصها (في الطريق) وهو يشابه اسم كتاب شقيقها سيد (معالم في الطريق) ٠

**محمــد :**

لقد بقي سيد هو الولد الوحيد عند والديه ، ما يزيد على ثلاثة عشر عاما الى أن ولد شقيقه محمد في أبريل (نيسان) سنة ١٩١٩[٤٨] ٠ وقد قضى محمد طفولته في القرية ، وانطبعت في مخيلته صورها ومشاهدها ، وتأثرت نفسه بمناظرها وتفتحت مشاعره وأحاسيسه على جمالها وبهائها ٠ وكثيرا ما كان يذهب الى الحقول والبساتين الخضراء ، يجري فيها ويتفؤ ظلال أشجارها ، ويرهف سمعه لشدو بلابلها ، وزقزقة عصافيرها ، ويقطف لنفسه من زهورها ، ويستروح نسيم عبيرها ! ٠

ولما استقر شقيقه سيد في القاهرة ، ارتحل اليها مع أمه وأختيه ، وبعد أن أنهى دراسته الثانوية التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ٠ وقد كان يرغب في أن يدخل قسم اللغة العربية وآدابها ، ولكن شقيقه أراد له أن يلتحق بقسم اللغة الانجليزية[٤٩] ٠ وقد حصل محمد على الليسانس في اللغة الانجليزية ٠ كما حصل على دبلوم التربية وعلم النفس ٠ وبعد التخرج التحق محمد بوظيفة في وزارة التربية والتعليم ٠

وقد سار محمد في طريق الدعوة الى الله ، وتحمل تكاليفها بصبر وثبات ، حيث أدخل سجون الطغاة في مصر ، مرتين ، الأولى في عام ١٩٥٤ ، والثانية في مذبحة الاخوان عام ١٩٦٥ ، حيث كان أول المعتقلين ، وقد لاقى من التعذيب صنوفا عديدة ، حتى أشيع أنه قد قتل ٠ وزادته المحنة ايمانا وثباتا ، وفجع في السجن بشقيقه ، وصنو روحه سيد ، وقد ترك استشهاده جرحا عميقا في نفسه ، ولكنه صبر واحتسب ٠ وطالت محنته في السجن ، ثم أفرج عنه ، وتعاقدت معه جامعة الملك عبد العزيز في مكة ، حيث يعمل الآن مدرسا فيها ٠

---

(٤٨) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب ٠

(٤٩) مقدمة سخريات صغيرة لمحمد قطب : ٤ ٠

غرس سيد في نفس شقيقه محبة الادب وفنونه ، فمارس محمد كتابة المقالـة ، وعرفته المجلات الأدبية التي كانت تصدر في الثلاثينيـات والأربعينيات ، مثل الأسبوع والرسالة ، والثقافة ، وغيرها ، ونشر فيها كثيرا من مقالاته • كما نظم محمد الشعر ، ويغلب على شعره النبرة العاطفية ، ويتجه به الى نفسه ، يحللها ويستنطقها ، ويستفهم منها عن سر الوجود والحياة ، ونشر كثيرا من قصائده في مجلات الرسالة والثقافة وغيرها(٥٠) •

وبينما تتلمذ سيد على الكاتب الكبير عباس العقاد ، كان محمد ــ على شدة اعجابه بالعقاد ــ يرى أن الكاتب الساخر ابراهيم عبد القادر المازني أحب اليه من باقي الأدباء المعاصرين(٥١) •

والأستاذ الحقيقي لمحمد هو شقيقه سيد ، الذي ترك لمساته واضحة على شخصيته وحياته ، وقد أهدى محمد أول مؤلف مطبوع له ــ سخريات صغيرة ــ الى شقيقه سيد • وجاء في الاهداء قوله :

(الى أخي الذي علمني كيف أقرأ وكيف أكتب ، وحباني برعايته ، منذ طفولتي ، فكان لي والدا وأخا وصديقا ••• اليه أهدي هذا الكتاب ، لعلي أستطيع أن أفي بشيء من الدين العظيم)(٥٢) •

وبعدما اتجه سيد الاتجاه الاسلامي ، وانضم الى جماعة الاخوان المسلمين انضم شقيقه محمد الى الاخوان بعده بشهور في سنة ١٩٥١(٥٣)•

وبدأ محمد بتأليف مجموعة من الكتب الاسلامية هي :

١ ــ الانسان بين المادية والاسلام : وهو أول مؤلف اسلامي له ، نشره في سنة ١٩٥١ ، واعتبره الأصل لبعض كتبه الاسلامية التي تلته •

٢ ــ شبهات حول الاسلام •

٣ ــ في النفس والمجتمع •

---

(٥٠) لمعرفة بواعثه على قول الشعر ، والصارف له عن انشاده بعد ذلك ، انظر كتابه ( منهج الفن الاسلامي ) : ٩ ــ ١١ •

(٥١) مقدمة سيد لسخريات صغيرة : ٥

(٥٢) سخريات صغيرة : ٣ •

(٥٣) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •

٤ ـ قبسات من الرسول ·
٥ ـ معركة التقاليد ·
٦ ـ منهج التربية الاسلامية ·
٧ ـ منهج الفن الاسلامي ·
٨ ـ التطور والثبات في حياة البشرية ·
٩ ـ دراسات في النفس الانسانية ·
١٠ ـ جاهلية القرن العشرين ·

والكتب الثلاثة الأخيرة ، هي أنضج كتبه ·

وبعد محنته عام ١٩٦٥ ، انقطع عن التأليف فترة تزيد على عشر سنوات وقد أعد الآن عددا من البحوث الاسلامية وهي :

١ ـ دراسات قرآنية[٥٤] ·
٢ ـ منهج التربية الاسلامية / الجزء الثاني ·
٣ ـ كيف نكتب التاريخ الاسلامي ·
٤ ـ مفاهيم ينبغي أن تصحح ·
٥ ـ المستشرقون والاسلام ·

وأسلوب محمد سلس مشرق يخاطب الفطرة ، ونغماته وايقاعاته هادئة ، ويجيد التحليل ومناقشة الخصوم ، حيث يبسط فكرة الخصم ، ثم يفندها ويدحضها من وجهة نظر الاسلام ·

وهو متأثر بشقيقه سيد في كل شيء ، «ولا يعني هذا أن نبخس محمدا حقه ، فنزعم أنه لم يقل جديدا بل كان شارحا ذكيا فحسب ، لا ، لقد قال الكثير من الجديد المفيد ، وهذا ظاهر لا يحتاج الى ايضاح ، ولكن نهجه الفكري وتصوراته التي شكلت خلفيات مباحثه ، ما هي الا الثمرة الناضجة التي أنبتتها شجرة أخيه الشهيد · رحمه الله»[٥٥] ·

ولو لم يكن لسيد الا أنه خرج أخاه هذا ، وسلمه الراية من بعده لكفاه · ان سيد كان يعد أخاه ليخلفه من بعده ، وكان يأمل أن يكون

---

(٥٤) وقد ظهر حديثا · حيث طبع سنة ١٩٧٨ ·
(٥٥) سيد قطب · لبركات : ٢٠ ـ ٢١ ·

مكملا له • فعندما أصدر أول ديوان له وهو «الشاطيء المجهول» أهداه الى محمد ، ومما جاء في اهدائه قوله :

أخي أنت نفسي حينما أنت صورة — لآمالي القصوى التي لم تشارف
تمنيت مـا أعيا المقادير ، انمـا — وجدتـك رمزا للأماني الصوادف
فأنـت عزائي في حيـاة قصـيرة — وأنت امتدادي في الحياة وخالفي(٥٦)

وكأني بسيد قطب ، عندما قال هذه الأبيات ، كان يحاول أن يستشف الغيب ببصيرته النافذة ، وانها لكرامة لسيد ، جاءت في صورة أمنية له •

وقد حقق محمد أمنية أخيه ، وقد مد الله في عمره ، فخلفه ، واعتبر امتدادا له في حياته ! •

ويعتبر الأستاذ محمد قطب الآن في طليعة الدعاة الاسلاميين ، والمفكرين الملتزمين ، والمربين الحركيين • وقد شارك في العديد من المؤتمرات الاسلامية داخل البلاد الاسلامية وخارجها ، وقدم البحوث الهادفة الجادة ، وألقى المحاضرات الاسلامية الكثيرة التي استمع لها الآلاف من الشباب الاسلامي •

**حميـــدة :**

هي صغرى الأطياف الأربعة ، عرف بها سيد في مقدمة الأطياف قائلا : «تلك الصبية الناشئة – حميدة – انها موفوزة الحس أبدا ، متفزعة من شبح مجهول ، انها تعبد الحياة وتخشاها ، انها تتلفت في ذعر كلما تفرست في المجهول»(٥٧) •

عاشت في القرية فترة من حياتها ، ثم التحقت بشقيقها سيد في القاهرة عندما استقرت العائلة كلها عنده ، وأتمت دراستها في القاهرة ، ولهـا اهتمامات أدبية ، عرفنا منها الحيز الذي كتبته في (الأطياف الأربعـة) وكتبت المقالات في المجلات التي كانت تصدر في مطلع الخمسينيات ، مثل مجلة (المسلمون) و (الاخوان المسلمون) •

---

(٥٦) مقدمة سيد لسخريات صغيرة : ٤ ـ ٥ •
(٥٧) الاطياف الاربعة : ٧ •

وبعد محنة الاخوان المسلمين سنة ١٩٥٤ ، قامت حميدة مع مجموعة من الأخوات المسلمات المجاهدات ، بمهمات عظيمة ، في رعاية أسر المجاهدين المعتقلين ، وكانت الساعد الأيمن للمجاهدة « زينب الغزالي » ، كماكانت حلقة الوصل في التنظيم الاخواني بينه وبين شقيقها سيد الذي كان داخل السجن ، تحمل تعليماته وتوصياته للتنظيم • وكان نصيبها من الابتلاء والتعذيب في محنة الاخوان عام ١٩٦٥ كبيرا • وهي الوحيدة من آل قطب التى حكم عليها بعقوبة محددة – باستثناء شقيقها الشهيد – حيث حكم عليها بالسجن عشر سنوات مع الأشغال الشاقة ، قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر بين السجن الحربي وسجن القناطر(٥٨) •

(٥٨) مذابح الاخوان في سجون ناصر : ١٣٤ •

## نشأتــه

في هذا العصر الذي وصفنا عاش سيد قطب ، وفي هذه القرية الجميلة الهادئة ، نشأ ودرج ، وفي أحضان تلك الأسرة المستقرة المطمئنة المهتدية تربى ، وبين هؤلاء الأخوة الأبرار قضى فترة من العمر لا تنسى ٠

لقد كان أثر القرية وما فيها من جمال ، واضحا على نفسيته ، ويظهر ذلك من كثرة ذكره لها وأشادته بمحاسنها وجمالها ، بل انه ألف أحد كتبه وهو ( طفل من القرية ) ليبين كثيرا من مزاياها ، حيث رسم فيه صورا رائعة لها ٠

هذه القرية الجميلة الهادئة الحالمة ، ذات المناظر الطبيعية الفاتنة التي طالما أجال سيد قطب طرفه في ربوعها ، ينقل ناظريه من سحر الى فتنة ، ومن فتنة الى سحر ، فمن منظر الفيضان والمياه تغمر وجه الأرض ، وترتفع الى أكثر من متر ، والخيالات والرؤى التي كان يسبح بها سيد حينما ينظر الى الماء ، الى مشهد الأرض السمراء التي تتكشف عن مياه الفيضان ٠ الى حركة العمال يبذرون فيها الحب ، بسواعدهم المفتولة ، وبشرتهم السمراء التي لوحتها أشعة الشمس ٠ الى لوحة النبات والزهور المختلفة الألوان ، الى الأشجار المختلفة الأحجام والالوان والثمار ٠٠٠ تلك المناظر الجميلة الخلابة الممتعة ، قد تركت آثارا في نفس سيد قطب ، حيث كانت نفسه تتأثر من كل واحدة منها فتضيف بذلك المزيد الى رصيدها من الجمال ٠ فاذا كانت عيناه تقع كل يوم على مالا يعد من هذه المشاهد الفاتنة ، لأنه كثيرا ما كان يقوم بنزهات ممتعة الى حقول أسرته، فيجري ويقفز ويمرح ، ويلاطف من يشتغلون فيها ، وكثيرا ما كان يرافق لداته وخلانه في نزهاتهم الخلوية الى أحضان الطبيعة ، سواء في النهار الضاحي ، أو الليل المعتم الساجي ٠ اذا تصورنا مشاهداتـه هـذه ، تصورنا رصيدا ضخما من المشاهد والمناظر مذخورا في مخيلته ، وعرفنا سر أحلامه ورؤاه ٠

هذا عن المشاهد الساحرة التي كانت تقع عيناه عليها كل يوم ٠ فماذا عن الأصوات الموسيقية التي كانت تطرق سمعه ؟

لا شك أنه كان في نزهاته التي وصفنا ، يسمع تغريد الطيور ، وزقزقة العصافير ، وشدو البلابل ، التي كانت ترف من غصن الى غصن

فتصفق الغصون لشدوها طربا ، فكان سيد يطرب لألحانها الموسيقية ، وتتخدر مشاعره وأحاسيسه لايقاعها الساحر ٠

ومن الأصوات التي طرقت سمعه ، وأثرت في نفسه ، وساعدت على بناء شخصيته القوية القويمة ، مواويل العمال الغرباء ، الذين كانوا ينشدونها في عز واباء ، فيسمعها سيد مسحورا مخدرا ، وكلما تعبوا وكفوا طالبهم بالمزيد ، فاستجابوا له : «كانت أغاني هؤلاء الناس الشجية ، التي تقطر بالمرارة والأسى في رجولة وتجمل ، تستجيش نفس الصبي الصغير وأحاسيسه ، فيستمع اليها شبه مسحور وتجيش في نفسه الصغـــيرة انفعالات لا يدريها ولا يحاول التعبير عنها ٠٠٠ ولكنه أبدا يحن اليها ، وينتظرها من العام للعام ٠ ويستكثر من انشادها ويستزيد ، ان صمت القوم من التعب والاعياء ٠٠٠ وهم في كل مرة يجيبونه الى ما يطلب : فهو ابن سيد البيت الصغير ، ثم هو صديقهم فردا فردا»(٥٩) ٠

وطرق سمعه ، أصوات النساء في القرية وهي (تعدد : أي تتحزن بصوت مسموع)(٦٠) وتردد منظومات حزينة ، والدموع تسح من عيونها بغزارة ، فتؤثر في نفسه ، وتسكب الحزن في قلبه ٠ وطرق سمعه صراخ النساء وهي تبكي وتردد كلمات الفجيعة ، اذا فجعت واحدة منهن بزوجها أو ابنها أو أحد أقاربها ، أو بقرت بطون بهائمها ، من قبل لصوص القرية ، كذلك طرق سمعه أغاني المحبين من الشباب ، ومواويلهم التي ينشدونها في انفعال ولهفة ٠

- هذه المناظر الجميلة التي رآها سيد ، وهذه الأصوات المختلفة البواعث والايقاعات والتأثيرات ، التي سمعها سيد في كل آن ، وأحدثت في نفسه مختلف المشاعر ، هذا كله أخذه سيد من قريته ، وكان له أثر واضح على نفسه وحسه ومشاعره ووجدانه ومخيلته ، وقد ساعدت هذه الأمور كلها على نمو فكرة التصوير والتشخيص في نفسه وكتاباته على السواء ٠

هذا عن أثر قريته بمناظرها وايقاعاتها وايحاءاتها على سيد قطب ٠

أما والداه فقد كان اثرهما واضحا في مختلف نواحي شخصيته : واننا نحس لمساتهما التربوية واضحة فيه ٠ لقد غرسا في نفسه الكثير :

---

(٥٩) طفل من القرية : ١٨٥ ـ ١٨٦ ٠

(٦٠) المرجع السابق : ٢٠١ ٠

غرسا في نفسه الايمان والطهر والعفاف : والده الذي كان يرتاد المساجد للصلاة ، ويدفع الحقوق لأصحابها ، ويسير ومخافة اليوم الآخر نصب عينيه ، ويختم نهاره بالفاتحة • ووالدته التي كانت تؤدي حق الله عليها ، وتنصت الى القرآن بخشوع • والولائم المتعددة التي تقام في بيتهم كل عام ويتلى فيها القرآن • هذا كله ساعد على غرس المعاني والحقائق الايمانية في قلبه ، فدفعته – وهو طفل صغير – الى المحافظة على الصلاة في المسجد ، والى حفظ القرآن وهو لما يكمل المرحلة الابتدائية •

وغرسا في نفسه محبة المساكين ونصرة الضعفاء ، ودفع الظلم عن المظلومين : والده الطيب الكريم ، الذي كان يستقدم العمال الأغراب للعمل في حقوله ، ويعاملهم كما يعامل أفراد العائلة في الطعام والشراب ، ويعطيهم من الأجر أكثر ما يعطي أصحاب الأراضي الآخرين • ووالدته التي كانت تتقرب الى الله بقيامها على طعامهم بنفسها ، والتي كانت تتصدق على فقراء القرية • هذا كله أثر في نفسه • فوقف نفسه لمناصرة المظلومين• فالعمال الذين يكرمهم والده – ومع هذا – كان هو (المحامي) لهم ، يأخذ لهم من بيته زيادة على استحقاقهم •

وكان يصادقهم ويجالسهم ، ويستفيد الكثير منهم • اطلع على أحوالهم وأسرارهم • وعرف الكثير عنهم • عرف خصائص حياتهم ، وطبيعة أكلهم، ومورد دخلهم ، وحياتهم الاقتصادية • عرف كل هذا وهو طفل صغير ، ولكنه ترك في نفسه أثرا واضحا ، يحدثنا عنه قائلا :

«وعلم أشياء وأشياء ، لم يتبين عمق آثارها في نفسه ، وقسوة وقعها على حسه ، الا وهو يسترجعها الآن في الحين بعد الحين ، فيشعر في قرارة نفسه بالخجل ، ويحس لنفسه ولشعبه بالازدراء • انه سارق ••• سارق لهؤلاء الغرب وأمثالهم من الملايين الكثيرة التي تنبت الذهب في الوادي • وتجوع ••• سارق ••• ! ولو كان في الوادي قانون عادل لقاده الى السجن ، قبل أولئك الكثيرين الذين يحسبهم القانون لصوصا ومجرمين[٦١] ! هذا هو الشعور الذي ظل يعاوده أبدا ، كلما جلس يتناول

---

(٦١) اعتبر نفسه سارقا لان اكله اطيب وارفه من اكلهم ! فما هي نظرته الى اللصوص من الكبراء والزعماء يا ترى ؟!

طعاما دسما ، أو فاكهة لذيذة أو حلوى أنيقة ، أو يتمتع بأيسر مباهج الحياة بين ملايين المحرومين»[٦٢] !

وغرسا في نفسه الاباء والعزة ، والمروءة والشمم : كان يرى العزة التي يقفها والده فتؤثر في نفسه • ولقد طبعته والدته على هذه المعاني منذ صغره وأعدته اعدادا خاصا ليكون رجلا • غرست في نفسه الكبرياء التي يقول عنها : « الكبرياء التي اودعتنيها منذ الطفولة ، فجعلتني أهرب من كل مظاهر الطفولة[٦٣] • ويقول في رثائه لها : «لقد كنت تصورينني لنفسي كأنما أنا نسيج فريد منذ ما كنت في المهد صبيا ، وكنت تحدثينني عن آمالك التي شهد مولدها مولدي ، فينسرب في خاطري أنني عظيم ، وانني مطالب بتكاليف هذه العظمة»[٦٤] •

ولذلك كان يأبى على نفسه أن تقف موقف ذل أو هوان ، أو يأتي بفعل ينقص من قدره في أعين الناس • فعندما اضطره الخوف الى الهرب من المدرسة في أول يوم ذهب اليها •• «أدرك ما في فعلته من غضاضة ـ وكان على صغر سنه يدرك هذه الغضاضة ـ فلم يستطع أن يواجه أهل البيت بفعلته ـ لا خوفا فقد كان آمنا من الضرب ـ ولكن حياء من الفعلة التي لم تكن تليق»[٦٥] !

وعندما تحذره أمه من السير في طريق مظلم خطر ليلا خوفا عليه ، يكون هذا التحذير كافيا لأن يقتحم هذا الطريق الخطير في الليل البهيم ، وهو طفل صغير ! وذلك لأن تحذيرها أثار كبرياءه ، وجرح عزته واعتداده بنفسه ، وعندما سار في الطريق الخطر أحس بالرهبة ، وسيطر الخوف عليه ، ولما مر عليه رجل من أهل القرية ، تصنع الشجاعة ، وأنكر الخوف ، واصطنع عذرا يتفق واعتداده بنفسه ، لأنه رأى في اعترافه بالخوف أمام الرجل ، مهانة وغضاضة ، وهو لا يريد لكبرياءه أن تجرح أو تخدش[٦٦] •

---

(٦٢) طفل من القرية : ١٩٦ ـ ١٩٧ •
(٦٣) المرجع السابق : ١٦٦ •
(٦٤) المرجع السابق : ١٦٧ •
(٦٥) المرجع السابق : ٢٩ •
(٦٦) انظر تفصيل الحادثة في ( طفل من القرية ) : ١٢١ ـ ١٢٣ •

هذه الحادثة تدلنا على ما تمتع به من العزة والكرامة والشهامة منذ صغره ، وقد لازمته هذه الصفات في مختلف مراحل حياته ، فلم يعهد عليه موقف ذل أو هوان في مدرسة أو كلية ، أو عمل قام به ، أو وظيفة التحق بها ، أو صراع أدبي أو سياسي أو اجتماعي قاده • رغم الضغط الذي تعرض له والمساومات التي أجريت معه •

وغرسا في نفسه الحيوية والحركة والعمل الجاد لاصلاح الوطن ، وكان للندوات السياسية التي تعقد في بيته وهو صغير ، والتي قرأ للحضور فيها الجريدة اليومية ، أثرها على نفسه • كما كان للاجتماعات السياسية السرية المغلقة التي تعقد في بيته كذلك ، أثرها الواضح أيضا •

وقد ورث عن والده السياسي –عضو لجنة الحزب الوطني في القرية– الاهتمام بالسياسة ، ومتابعتها والانغماس فيها • فها هو يقرأ الجريدة السياسية كل يوم ويثقف نفسه بما جاء فيها ، وتتفتح مواهبه السياسة بالاطلاع على تحليلاتها • وقد خاض غمار السياسة وهو ما زال في القرية ، فعندما قامت الثورة الشعبية سنة ١٩١٩ واشتركت بها فئات الشعب المصري ، واشتركت قريته فيها ، وكان لوالده دور بارز فيها ، لم يقبل سيد أن يبقى ساكتا والناس يتحركون ، وانما حدثنا عن دوره فيها قائلا :

«وقعت المعجزة على يده هو ، فانطلق في حماسة الثورة وفورتها ، يكتب هو الخطب (!!) ويضمنها أبياتا من الشعر (!!) – يحسبها موزونة وهي متهالكة – ويلقيها في المجامع والمساجد (!!!) حيث نفخت الثورة المقدسة في الجميع ، فصاروا يستمعون لكل هاتف بالثورة ، ولو كان طفلا صغيرا مثله لم يكد يتجاوز العاشرة»[٦٧] •

ولم يتخل عن هذا الاهتمام طيلة حياته • فانضم الى حزب الوفد ، وكان عضوا مؤثرا فيه ، ثم انفصل عنه وانضم الى حزب السعديين ، ثم يئس من الأحزاب القائمة وعمل بمفرده ، وأخيرا وجد ضالته في جماعة الاخوان المسلمين ، التي بقي يعمل من خلالها الى أن لقي ربه[٦٨] •

---

(٦٧) المرجع السابق : ١٥١ •

(٦٨) انظر فصل ( مشاهد من حياة سيد قطب ) من هذا الكتاب •

# تربيتـــه

حرص والدا سيد قطب ، على أن يربياه التربية القويمة ، ليكون انسانا صالحا ، وليحقق الآمال التي يرجوانها منه •

عاش سيد بين أفراد أسرة متماسكة ، يرفرف الحب في سمائها ، ويتمتع أفرادها بالهدوء والأمن والسكينة ، فما كانت تثور المنازعات بين الأب والأم ، ولا يقع الشقاق والخصام بينهما • والاولاد يمرحون ويلعبون، ولا مجال لحقد أو حسد بينهم •

لم يكن والده يستخدم الضرب كوسيلة للتربية ، فقد كان متنورا بعض الشيء ، وعندما اضطر سيد للهرب من المدرسة في أول يوم ، عاتبه أهل الدار ، وتهكم عليه البعض ، الا والده ، فانه (لم يوجه اليه كلمة واحدة • وكان هذا أمر عليه)(٦٩) •

كذلك لم يكن مسموحا له أن يلعب في شوارع القرية وطرقاتها مع الأولاد الآخرين «حفظا لملابسه النظيفة من القذارة ، وحماية لأخلاقه من التلوث بأخلاق أولاد القرية (السيئة) وألفاظهم البذيئة»(٧٠) •

ولا منافاة بين منعه من اللعب في طرقات القرية مع باقي الأولاد ، وبين خروجه في نزهات خلوية وحيدا أو مع أهله أو مع لداته من الأولاد ، لأن أسرته كانت تراقب نشاطاته وتوجهها نحو بناء شخصيته القويمة المستقيمة ! •

نتيجة لهذه التربية ، نشأ سيد نشأة صالحة مستقيمة ، فرأيناه يحرص على أداء الصلاة في المسجد ، ويحرص على حفظ القرآن ، ويكون قدوة لباقي شباب القرية •

وعندما اهتم سيد بالكتب في القرية ، وعرف باقتنائه كتابين لهما رواج عند أهل القرية – كتاب أبي معشر الفلكي وكتاب شمهورش – أقبل الجميع عليه طمعا في معرفة الحظوظ ، أو عمل الرقى والتعاويذ والتمائم •

---

(٦٩) طفل من القرية : ٣٣ •

(٧٠) المرجع السابق : ٢٨ •

وكانت نساء القرية تفضل التعامل معه على التعامل مع الرجال الآخرين الذين يملكون أمثال الكتابين لأسباب منها : «انه لا يتناول أجرا على الخدمات التي يقوم بها لهؤلاء ، ومنها أنه صبي يدخل البيوت وتقابله النسوة والفتيات بلا تحرج ، ودون أن يثير وجوده بينهن تساؤلا كالذي يثيره وجود من يتعاطون هذه الأعمال من الكبار ، ومنها أن السيدة أو الفتاة لا تتحرج أن تفضي برغباتها وأسرارها ومخاوفها لصبي لم يبلغ الحلم ، ولا تدعو سنه الى الخجل منه»(٧١) .

ورغم اتصال سيد المستمر - نتيجة لأعماله تلك - بنساء القرية ورغم طبيعة الأعمال التي يقوم بها ، الا أن تربيته المنزلية أبعدت نوازع الجنس والفساد عن خياله : «ولقد كان صغيرا لم تثر في نفسه نوازع الجنس بعد ، وتربيته المنزلية تجعل في نفسه كثيرا من الحشمة والحياء حتى لو ثارت بعض هذه النوازع»(٧٢) .

ولما انضم لمدرسته سبع طالبات صغيرات - لم يتجاوزن العاشرة - راح بعض التلاميذ الكبار في المدرسة يعاكسونهن بالكلمات والحركات والأصوات . «أما هو فان حياءه الشديد ، وتقاليده العائلية ، قد أمسكت به بعيدا عن هذه الحركات ولكن هذا لم يكن معناه أنه أقل رغبة من الآخرين في لفت النظر اليه ... انما كانت وسيلته الى ذلك مما يتفق مع نشأته ، فأخذ جانب المدافع عن كرامة البنات حيثما وجه اليهن اعتداء»(٧٣) .

وكان سيد حييا منذ صغره ، ويشمئز لأي منظر مناف للأخلاق ، وقد كان في القرية «مجذوب» يقضي معظم أوقاته عاريا بشكل مؤذ ، وكان سيد يستحي من منظره ويستنكره أمام أهالي القرية(٧٤) .

وكان لتربيته العائلية الطاهرة ، أثر في استقامته بعدما كبر وذهب الى القاهرة . فعندما خطب سيد فتاته ، وفوجيء مرة برؤيتها في بيتها في

---

(٧١) طفل من القرية : ١٤١ .
(٧٢) المرجع السابق : ١٤١ .
(٧٣) المرجع السابق : ٥٤ .
(٧٤) المرجع السابق : ١٥ .

حالة لا تليق ، حدثنا عن نفسه أثناء ذلك الموقف قائلا : (كانت تربيته الأولى في بيئة محافظة متطهرة · وكان قد انصرف في حياته الى نوع من الجد لا يسمح له بالعبث ، وكان الشعر والفن قد صانا خياله من التلوث ··· وكان هذا كله يبعده عن المرأة ويصيبه بلون من الربكة والاضطراب حين يلقاها وجها لوجه أيا كانت طبقتها وسنها ، فلما ووجه مفاجأة بالفتاة التي يحبها شبه عارية ، كان ذلك مضاعفا لخجله وارتباكه)(٧٥)·

وعندما اتصلت خطيبته به تلفونيا في مكتبه وحوله زملاؤه ، ارتبك وأخذته الحيرة ، وفي نهاية المكالمة قال لها : (سأكون عندكم في الخامسة · وفي هذه اللحظة تنبه الى أنه بين زملائه ، فأراد في محاولة ساذجة أن يبعد عن نفسه الريب وعنها هي أولا ، وان لم يعلم أحد من تكون ! قال : اخبري بابا أنني سأحضر في هذه الساعة)(٧٦) !

(٧٥) اشواك : ٦٣ ـ ٦٤ ·
(٧٦) المرجع السابق : ١٧ ·

# وصفـــه

كثيرا ما يرسم الشخص في مخيلته ، صورة شاخصة ، للشخص من العظماء ، وبخاصة الادباء من كتاب وشعراء ، ويظن ان هذه الصورة المتخيلة تنطبق على صاحبها تماما ، وهو لم يرسمها الا بعد أن يسمع عن هذا العظيم ، أو يقرأ عنه ، أو يقرأ له ويتمعن في أسلوبه •

وكثيرا ما يفاجأ هذا الشخص ، بعدم انطباق الصورة على شخصية صاحبها ، وذلك عندما يشاهده في الواقع ، وعندها يمحو من مخيلته صورته الاولى ويحتفظ مكانها بصورته الجديدة •••

وهذا ما حصل للمعجبين بسيد قطب ، الذين لم يسبق لهم أن شاهدوه بل قرأوا مقالاته النقدية في الصحف والمجلات ، وتابعوا معاركه الادبية على صفحاتها ، واطلعوا على قصائده الشعرية العاطفية فيها ، أو قرأوا بحوثه الادبية والفكرية الاسلامية المتنوعة ، ورسموا نتيجة لهذا الاطلاع صورة متخيلة له •

من هؤلاء علي الطنطاوي ، الذي شده وبهت عندما قابل سيد قطب للمرة الأولى في دار مجلة الرسالة في مصر (وأحلف أني شدهت ، وكنت ارتقب أن يكون هذا الشاب أي انسان الا سيد قطب ، وكنت استطيع أن أتخيل سيد قطب على الف صورة الا هذه الصورة ، وازددت يقينا ان من الخطأ البين ان تحكم على شخص الكاتب بكتابته ، او تعرف الشاعر من شعره )[٧٧] • كما فوجيء مرة اخرى عندما اهدى اليه مؤلفه الجديد ( التصوير الفني في القرآن ) لانه على حد قوله : ( لم أتخيل سيد قطب الا مقارعا محاربا ،ولم اعرفه الا كاتبا مجادلا مناضلا • يهاجم مهاجما ومدافعا ومحايدا •• )[٧٨]( •

ومنهم ابو الحسن الندوي الذي رسم له في مخيلته صورة خيالية يقول عنها : ( كنت اتخيله اديبا في العقد الرابع من عمره ، فارع القامة عريض ما بين المنكبين قوي البنية )[٧٩] •

---

(٧٧) الرسالة     السنة الثالثة عشرة     المجلد الثاني — عدد ٦٤٨ ديسمبر ١٩٤٥ صفحة : ١٣١٣ •

(٧٨) المرجع السابق •

(٧٩) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي : ٩٧ •

ومنهم محمد علي قطب الذي يحدثنا عن صورة سيد المتخيلة في ذهنه والتي زالت عندما قابله ( والحقيقة التي اريد ان اثبتها هنا هي ان شيئا واحدا قد خاب رجائي معه ، ذلك ان مطالعتي لسيد من مؤلفاته ، أوحت لي أن صاحبها من ناحية الشكل ضخم الجسم عملاق البدن ، قوي النبرة حاد الصوت ، اذا تحدث سمعه كل الناس ، أبيض البشرة كبياض السريرة )[٨٠] .

فما هي صورة سيد قطب يا ترى ؟ وما هو وصفه ؟

كان سيد قطب رجلا أسمر اللون ، لوحت بشرته شمس الصعيد الحارقة .

كما كان متوسط الطول ، معتدل الجسم ، لا هو بالسمين ولا بالنحيف، وقد كان ضعيف البنية ، ناحل البدن[٨١] حيث انهكت جسمه الامراض التي صاحبته منذ صغره ، وما كانت تفارقه الا ليقع في براثنها من جديد ، وقد تركت آثارها واضحة على بدنه ، وكان لمحنته التي طالت ! حيث غيب في السجون ، وقضى الوقت الطويل على أرضية الزنانين الباردة ، وحرم من الاستمتاع باشعة الشمس الدافئة ، وللسياط ووسائل التعذيب المختلفة التي تعرض لها ، كان لهذا كله اثره الواضح على بدنه الناحل . يقول محمد علي قطب عندما رآه بعد اعتقاله الاول : « وجدته يشكو كثيرا من الامراض ، ولا طاقة للبدن ابدا مهما كان قويا ان يحتمل النفس الكبيرة :

واذا كانت النفوس كبارا تعبت في مرادها الاجسام

لقد وجدته وقد نالت منه الايام ، فبدت آثارها على وجهه تغضنا ، وفي جبهته اخاديد عميقة ، وفي عينيه حمرة ، وفي شعره الاسود القاتم شيبا »[٨٢] .

هذا واسلوب سيد قطب في الكتابة لا يدل على مظهره ، فهو في الكتابة كما يقول علي الطنطاوي ـ بحق ـ مقارع محارب ، وكاتب مجادل مناضل ،

---

(٨٠) سيد قطب لمحمد علي قطب : ١٧ .

(٨١) انظر وصفه في مذكرات سائح : ٩٧ ، وسيد قطب : ١٧ والرسالة السنة الثالثة عشرة المجلد الثاني : ١٣١٣ .

(٨٢) سيد قطب لمحمد علي قطب : ٢١ ـ ٢٢ .

يهاجم مهاجما ومدافعا محايدا • ويتجلى هذا الاسلوب في مقالاته الادبية التي خاض من خلالها معاركه الادبية والنقدية ، كما يتجلى في مؤلفاته التي أعدها بعد هذه المرحلة من حياته ، فهو في كتبه هذه ثائر مناضل مجادل ، عنيف مهاجم ، وفي كتبه ( العدالة الاجتماعية في الاسلام ) و ( معركة الاسلام والرأسمالية) و ( في ظلال القرآن ) و ( معالم في الطريق ) مصداق ما نقول • بل ان صفة الهجوم لازمة له ، حتى اعتبر بانه أول من قاد الفكر الاسلامي من مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم •

أقول رغم ان هذا هو طابع اسلوبه ، الا أن مظهره العام ـ عند اللقاء به ـ يدل على العكس من هذا تماما ، فهو كما يقول علي الطنطاوي ـ عندما قابله ، حيث وجده ـ « لطيفا هادئا ، تبدو عليه سيما المسالمة والموادعة والايناس »[٨٣] • ولذلك يفاجأ من يراه ، ولا يكاد يصدق ان هذا الشخص **الهادىء المسالم هو نفسه الذي تصدر عنه هذه المقالات والكتب ( ولا يظهر** بادىء ذي بدء انه هو صاحب الاسلوب القوي في الموضوعات الدينية )[٨٤] كما قال عنه الندوي بحق •

وتزول الغرابة والمفاجأة عندما نعلم أن العبرة ليست بضآلة الجسم أو ضخامته ، اذ لا أثر لهذا على اسلوب الكاتب ، وانما العبرة بالروح التي يحملها الكاتب بين جنبيه ، ولا شك بان جسم سيد الناحل الصغير قد ضم بين جوانحه روحا ثائرة ، هي التي صدرت عنها تلك المؤلفات ، التي زلزلت عروش الطغيان ، ورسمت معالـم الطريق للمجاهديـن السائرين الى الله !!

---

(٨٣) الرسالة : عدد ٦٤٨ صفحة ١٣١٣ والاسبوع المجلد الثالث عدد ٣٥ صفحة ٨ •
(٨٤) مذكرات سائح للندوي : ٩٧ •

# الفصل الثالث

## مشاهد من حياة سيد قطب

### دراسته في القرية

كان في قريته منهجان للتعليم : منهج التعليم الحكومي الذي تشرف عليه وزارة المعارف والمتمثل في المدرسة ، ومنهج التعليم الديني الازهري ، الذي يدرس فيه عادة رجال اما تخرجوا من الازهر ، او تعلموا القراءة والكتابة وحفظوا القرآن ، ويسمى الرجل منهم ( خطيبا ) وتسمى مدارسهم ( كتاتيب ) ويعتمدون في اجورهم على آباء الاولاد الذين يدرسون عندهم ·

وعندما كبر سيد وناهز السادسة من عمره فكر أهله في أن يبدأ حياة التعليم ولكن أين يدرس ؟ انقسموا الى فريقين : (فريق يؤيد ذهابه الى الكتاب ليحفظ القرآن ويفوز بالبركة · وفريق يرى ارساله الى المدرسة لانها أرقى وانظف ، والقرآن يعلم فيها الى جانب العلوم الأخرى ) ، واخيرا انتصر فريق المدرسة واخبروه بالقرار فتلقاه بالقبول ، ولكن بغير حماسة ظاهرة ، فقد كان اروح لنفسه أن يظل في الدار يلعب مع اخته التي كانت تكبره قليلا[1] ·

وتمت تهيئته للمدرسة ، وجيء له بملابس جديدة جميلة مميزة عن باقي ملابس الطلاب · وذهب به أبوه في اليوم الاول اليها[2] ·

وبما أن المدرسة كانت في حاجة الى تأليف قلوب الاهالي ، فانها لم تتبع النظام المعروف في تقسيم التلاميذ حيث يقسمون تبعا لدرجة العلم والمعرفة ، فتم تقسيمهم حسب السن[3] ·

وكانت مدة الدراسة في المدرسة خمس سنوات : السنة التحضيرية التي تحضر الطالب للسنة الاولى ، ثم السنوات من الاولى حتى الرابعة ،

---

(١) طفل من القرية : ٢٢
(٢) المرجع السابق : ٢٢ ·
(٣) المرجع السابق : ٤٤ ·

وبعد السنة الرابعة يتخرج الطالب من المدرسة ليتابع دراسته في مدرسة المعلمين[٤] .

وطلب والده من ناظر المدرسة أن يوضع -وهو لم يتعلم الكتابة- في السنة الرابعة ولا سيما أن ابن خالته فيها ، ويحسن أن يجلس معه ليستأنس به . ولكن الناظر وقد انس به شيئا من التنور والمعرفة ، صارحه في الأمر ، وبين له أن مصلحة الطفل تقتضي أن يوضع في السنة التمهيدية . ليستفيد ويسير مع الدراسة سيرا طبيعيا ، فاقتنع والده برأي الناظر !

وصادف في اليوم الاول لذهابه الى المدرسة مجيء مدرس الرياضة - وهو أحد الجنود القدامى - ليعطي الطلاب التمارين الرياضية ، وقد سمع سيد من ابن خالته ومن غيره من الطلاب اخبارا عن قسوة هذا المدرس على الطلاب وضربه لهم . « وقد كان ما يسمعه عنه من قبل كافيا لاثارة الرعب في قلبه الصغير . ولكن التلاميذ الشياطين استغلوا حداثته وعدم معرفته بهذا الشأن وراحوا يخوفونه بما لا تحتمله اعصابه من المبالغات .. »[٥] ولذلك - وبعد انتهاء الحصة الثانية - هرب سيد قطب من المدرسة خوفا من ذلك المدرس .

مضى على هروبه من المدرسة شهر وبعض شهر ، وحزنت والدته كثيرا عليه لانه بهروبه قد ضيع الآمال التي تعلقها على نجاحه في الدراسة . وراح أخوه الأكبر - وهو ليس بشقيقه - يتهكم عليه ، وسكت أبوه اكتفاء بتأنيب ضميره . وأمام هذه العوامل كلها ، قرر سيد بنفسه العودة الى المدرسة بدون مراسيم ولا مظاهر ، وبكر الى بيت ابن خالته ذاهبا معه ، وفرح المدرسون لمقدمه ، كما شاع الفرح في كيان أمه[٦] .

كان يشرف على ثقافته وتربيته في السنة التحضيرية فراش المدرسة الوحيد ( العم ابراهيم ) نظرا لعدم وجود العدد الكافي من المدرسين ، ولم يستفد سيد منه شيئا ، ولما كان المدرسون يحبونه لان والده دائم الضيافة لهم ، ولانه كان يحضر لهم في جيبه كميات من السكر والشاي كل صباح. فقد طلب من الناظر أن يلحق بالفصل الذي يضم السنة الاولى والثانية ،

---

(٤) طفل من القرية : ٤٤ .
(٥) المرجع السابق : ٢٧ .
(٦) المرجع السابق : ٣٣ - ٣٤ .

فوافقه على طلبه ، كما وافقه على أن يذهب في بعض الأحيان الى السنة الرابعة عند ابن خالته ، أما اذا جاء المفتش فلا بد أن يجلس في السنة التحضيرية مدة وجوده ٠

وكان الناظر والمدرس – وهما الهيئة التدريسية في المدرسة !!! – يعنيان بالتدريس له على حدة داخل الفصل ، ويكتبان له الحروف الابجدية ثم الكلمات ثم الجمل على لوحه الذي يحمله ، ويتركانه لمحاكاتها ، وكان يتقدم يوما بعد يوم وهو يتلقى العلم في شبه درس خصوصي(٧) ٠

وهكذا نرى أن سيد قطب قد أحيط بجو خاص في المدرسة ، ولقي عناية واهتماما كبيرين من المدرسين ، وقد ساعد هذا كله على استيعابه السريع وعلى تفتح ملكاته العلمية ، وعلى نبوغه المبكر في هذا المجال ٠

وحينما كان سيد في السنة الثانية ، جاء للمدرسة مدرس جديد مؤهل علميا ، فكان لا بد من أن يستغنوا عن شيخ الكتاب الذي لم يحمل شهادة علمية ، ولم يستطع تدريس الحساب والمواد الثقافية الأخرى ٠

وعندما تم الاستغناء عنه ، أشاع في القرية أن الحكومة تريد محو القرآن ، بعدم تحفيظه في مدارسها ، ولذلك فصلوه من التدريس وهو حامل القرآن !

وتأثر الناس بالاشاعة ، وأخرج عدد كبير منهم اولادهم من المدرسة وادخلوهم ( كتاب الشيخ ) ليحفظوا القرآن ٠ وراح الشيخ يقنع باقي الاباء بضرورة التحاق أولادهم ( بكتابه ) وكان ممن مر عليهم والد سيد قطب وقد حدثه بالأمر ، ولم يتأثر بكلامه كثيرا ٠٠٠ « ولكنه كان خجولا ومجاملا فلم يود أن يجرح شعور ( سيدنا ) – ابن سيده – ووعده بان يكون الطفل منذ الصباح الباكر في ( الكتاب ) »(٨) ٠

ورغم معارضة والدته في هذا القرار الجديد ، لأنها تعلق الآمال على بقائه في المدرسة ، الا أن والده وعد ، وما يجوز أن يعود الرجال في وعودهم بحال !!

---

(٧) طفل من القرية : ٣٥ – ٣٦ ٠

(٨) المرجع السابق : ٣٧ – ٣٨ ٠

واضطر سيد الى الذهاب الى كتاب الشيخ ٠٠٠ « ولا يذكر أن قلبه الصغير قد عرف من قبل مثل الهم الذي عرفه في ذلك ليوم ٠ ولا أن صدره قد ضاق وحرج واكتأب كاليوم ايضا ٠٠٠ »(٩) ٠

ورغم أن الشيخ استقبله استقبالا خاصا ، بالحفاوة والبشر والبشاشة، وأجلسه بجواره على فروته ، الا أن نفسه لم تنفتح لشيء ، لأنه لم يجد في الكتاب ما يشرح صدره ، وراح يقارن بين مدرسته الجميلة الانيقة في كل شيء ، وبين هذا الكتاب الذي يتصف بالوساخة في كل شيء(١٠) !!

« على أية حال قد امتلأت نفسه اشمئزازا من كل ما حوله ، وأحس هناك بغربة مريرة ذليلة ٠٠ وحينما عاد الى المنزل كان قد صمم على الا يعود أبدا الى هذا المكان القذر ، مهما أصابه من التهديد والتبكيت ، وأسر بهذه الرغبة الملحة الى أمه فاغرورقت عيناها بالدموع »(١١) ٠

وذهب في اليوم التالي الى المدرسة مبكرا ، وراح يقص على التلاميذ فيها ما شاهده في الكتاب ، واخبر ناظر المدرسة بقصته ، ورجاه أن يقنع والده ببقائه فيها ، وهكذا كان !

وقد أثرت هذه الحادثة في نفسه كثيرا ، وارتفعت المدرسة ( بما فيها ومن فيها في عينه درجات وآلى على نفسه أن يكون داعية المدرسة المكافح دونها ضد الكتاب )(١٢) ٠

وقد تزعم سيد قطب جبهة من تلاميذ المدرسة ضد أولاد الكتاتيب ٠ جبهة للمفاخرة بكل شيء ٠ يفاخر ببناء المدرسة وفنائها واشجارها وأواني الشرب فيها ، ومقاعدها والادوات الكتابية التي تصرف للتلاميذ فيها ، يفاخر اولاد الكتاتيب بهذا كله ، ويقارن بينه وبين وضع كتاتيبهم السيء في هذا المجال(١٣) ٠

---

(٩) طفل من القرية : ٣٨ ٠

(١٠) انظر وصفه للكتاب وما فيه في ( طفل من القرية ) : ٣٨ ـ ٣٩ ٠

(١١) المرجع السابق : ٣٩ ٠

(١٢) المرجع السابق : ٤١ وهذا رد على من زعم انه تلقى تعليمه في الكتاب وانه أثر كثيرا في حياته !

(١٣) انظر مقارنته بين المدرسة والكتاب في ( طفل من القرية ) : ٤١ ـ ٤٣ ٠

والميزة التي تميز الكتاب على المدرسة ، هي أنه يهتم بتحفيظ القرآن حيث يتخرج التلاميذ منه يحفظونه ٠٠ ولم تكن المدرسة تعنى بتحفيظ القرآن كله ٠ وفكر سيد قطب ـ زعيم فريق المدرسة ـ في الطريقة التي تنتصر فيها المدرسة على الكتاب في هذا الأمر ٠ وقاده تفكيره الى أن يحفظ هو القرآن !! وراح سيد قطب ـ بعصامية نادرة ـ يحفظ القرآن بنفسه ، وجمع بين دروس المدرسة وواجباتها وبين حفظ القرآن ومراجعته : « وانه ليرهق نفسه وصحته المرهقة ، ويسهر الى منتصف الليل ، ليعيد في كل ليلة جميع ما سبق له حفظه من القرآن ، وذلك بجانب الدروس الاخرى ٠ فما يكتمل العام حتى يكون قد حفظ ثلث القرآن حفظا جيدا يباهي به من يتحداه »(١٤) ٠

وأتم سيد قطب ـ بهمة عجيبة ـ حفظ القرآن كاملا في ثلاث سنوات ٠ ابتدأ حفظه وهو في السنة الثانية الابتدائية ، واتمه في نهاية السنة الرابعة الابتدائية ، وراح يباهي به ، ويتحدى طلاب الكتاتيب في اجراء المباريات بينه وبينهم ، وكثيرا ما فاز عليهم ، واحس بنشوة جارفة بهذاالانتصار ٠

وقد زاد حب مدرسيه له ـ لحفظه القرآن ـ وارتفع في أعينهم درجات ، كما ازداد حب اهله له وبخاصة والدته التي كانت هذه هي أغلى أمانيها ٠

أنهى سيد قطب دراسته في المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة ، ولكنه ما يزال صبيا لم يكمل الحادية عشرة من عمره ٠ وسنه هذا لا يؤهله لدخول مدرسة المعلمين كباقي زملائه كبار السن ، وكان يتمنى لو يكون في مثل سنهم ليتم قبوله !!

ولكن سيد لم يغادر المدرسة بعد أن أنهى السنة الرابعة اذ « كم كان شاقا على نفسه ان يغادر وطنه هذا الصغير ، وان يبتعد عن رفاقه ولداته الذين يحبهم ويحبونه ٠٠ وكم كان عزيزا على المدرسين أن يفرطوا فيه ، وهو حجتهم الاولى على نجاح المدرسة في تحفيظ القرآن ٠٠٠ وما كان أسرع ما احتالوا لذلك فقيدوا اسمه في السنة الرابعة بعد مضي شهر من العام التالي على انه مستجد ! وهكذا عاد الى المدرسة الحبيبة ليقضي بين جدرانها عاما آخر »(١٥) ٠

---

(١٤) طفل من القرية : ٤٣ وهذا رد آخر على من زعم انه حفظ القرآن في الكتاب ٠

(١٥) طفل من القرية : ٤٥ ٠

دخل سيد المدرسة عام ١٩١٢ – لانه كان في السادسة من عمره –، وتخرج منها عام ١٩١٨ ، اذ بقي فيها ست سنوات ، وقد كان عمره اثني عشر عاما ، وكان الأصل أن يغادر القرية الى القاهرة لاكمال دراسته ، ولكنه لم يتمكن من ذلك لأن ثورة الشعب عام ١٩١٩ قد اشتعلت نيرانها ، وانقطعت بسببها المواصلات ، وكان عليه أن يبقى في القرية حتى تهدأ الثورة وتعود الامور الى حالتها الطبيعية ·

بقي سيد في القرية عامين آخرين ، وغادرها الى القاهرة عام ١٩٢١ وكان عمره آنذاك اربعة عشر عاما(١٦) ·

هذا عن دراسته النظامية في مدرسة القرية ·

ولكن سيد قطب لم يكتف بهذه الدراسة النظامية ، بل زاد عليها ، حيث راح يثقف نفسه بنفسه ، فها هو قد أتم حفظ القرآن في ثلاث سنوات وعمره لم يتجاوز العاشرة ، وقد أفاده حفظ القرآن كثيرا – وبخاصة وهو في السن المبكرة – اذ اتسعت آفاقه ، وازدادت ثقافته ، وقوم لسانه ، وقوي بيانه ، وحسن اسلوبه ، وشفت روحه ، وتفتحت مداركه ، وقد ترك ذلك اثرا واضحا على شخصيته ونفسيته واسلوبه فيما بعد ·

وأضاف سيد قطب الى ثقافته المدرسية وحفظ القرآن ، ثقافته الخاصة والتي دفعه اليها حبه للقراءة ، واهتمامه بشراء الكتب · اذ كان يأتي الى قريته ( عم صالح ) حاملا معه كتبا متنوعة الموضوعات والاتجاهات ، ففيها قصص العرب كأبي زيد والزير سالم ، ومنها كتب التراجم والسيرة ، ومنها كتب البطولة ، والكتب الدينية والكتب البوليسية وكتب الثقافة العامة ، وكتب السحر والتنجيم والتمائم والتعاويذ(١٧) · وكان سيد قطب ( زبونا ) ممتازا عند ( عم صالح ) وكان هذا الاخير يحتفظ له بأجود الكتب وأغلاها قيمة · فاذاعجزت ميزانيته عن شراء كتاب استعاره منه مقابل اجرة ، أو طلب منه أن يحتفظ له به ، الى ان يوفر ثمنه !!

فاذا غادر ( عم صالح ) القرية ، حدثت فيها حركة ثقافية ، حيث يتبادل سيد مع زملائه التلاميذ المثقفين الكتب التي اشتروها ، فما ينتهي الموسم الا ويكون سيد قد قرأ جميع الكتب الموجودة في القرية ·

---

(١٦) طفل من القرية : ٢١٧ ·

(١٧) المرجع السابق : ١٢٧ – ١٢٩ ·

وبعد أن كثرت عنده الكتب ، صنع لها مكتبة ضخمة !! حيث ملأت صفيحة كاملة ، وقد حوت مكتبته كتبا عديدة ، ذات مواضيع مختلفة ، ومن بين الكتب التي ضمتها ، كتاب ابي معشر الفلكي في التنجيم ، وكتاب شمهورش في السحر !!!

وقد ضمن له هذان الكتابان ( شهرة ذائعة وصيتا كبيرا — على صغره — في بيوت القرية ، وعند كثير من نسائها خاصة ، وكذلك عند فريق من الشبان )[18] ۰ و « كان يحضر من المدرسة فيجد كثيرا من التوصيات لطلبه من عدة بيوت ، وبعضها كان يرسل رسولا يترقبه ليحضر به ، وبخاصة بعد أن عرف الجميع أنه ( مشغول ) بالكثير من هذه الدعوات ، والحق أنه كان يحس بنشوة عجيبة والطلبات تتوالى عليه ، والابواب جميعها تفتح له » [19] ۰ وكان عمله في البيوت هو قراءة الطالع ومعرفة الحظوظ وعمل الرقي للمحبة بين الازواج ۰

وبهذا اشتهر سيد قطب ( بالكتب وبالقراءة في أوساط المثقفين بالقرية فارتفع في أعينهم درجات ، وأخذ الجميع يتنبئون له بالمستقبل الزاهر !!! »[20] ۰

وقد تمتع سيد قطب بهمة قوية وجلد عجيب على القراءة والاطلاع ، سواء كتب المدرسة ودروسها ، أم الكتب الثقافية الخارجية التي كان يستعيرهااو يشتريها، وقد اكسبه هذا محبةمدرسيه وتقديرهم له ، فتوقعوا نبوغه ۰۰۰ وكان من هؤلاء ناظر المدرسة الذي أعجب بذكائه ، ولفت نظره معلوماته وثقافته ، فأعاره كتابين أحدهما كتاب تاريخ لمحمد الخضري، والثاني ديوان لشاعر وطني يسمى ثابت الجرجاوي وكانا جديدين عليه ، اذ لم يوجد في مكتبته مثلهما ، ولم يسبق له أن قرأ كتابا بموضوعهما ، وقد قرأهما في وقت ، كانت الروح الوطنية قد استيقظت في نفوس أبناء الأمة ، وفي نفسه هو كذلك ، فأعجب بهما ، اذ وجد فيهما كلاما يغذي هذه الروح التي استيقظت على الجو العائلي الذي يعيش فيه — حيث تعقد في بيته الاجتماعات السياسية — وعلى الجو العام الذي كان مليئا بتيارات وطنية خفية تستعد للانفجار ، تلك التي سبقت ثورة عام ١٩١٩ ۰

(١٨) طفل من القرية : ١٣٩ ۰
(١٩) المرجع السابق : ١٤١ ۰
(٢٠) المرجع السابق : ١٣١ ۰

وبما انه وجد فيهما هذه المادة ، فقد تصور أنه لا يوجد لهما نظير ، وان صاحبهما ــ الناظر ــ لن يمنحهما له ، لذلك احتفظ بهما في صورة أخرى عجيبة ( جمع من جميع كراساته في السنوات الماضية الاوراق البيضاء منها ، فصارت له كراسة ضخمة من الورق الابيض . أما المداد والاقلام فموجودان ... واخذ في صبر ودأب عجيبين ينقل الديوان بيتا بيتا الى هذه الكراسة وينقل مقدمة كتاب التاريخ الأثرية ... وانه ليعجب اليوم لنفسه كيف استطاع ان ينهض بهذا العمل ، ولكن الاعجب منــــه انه حفظ هذا الديوان حفظا جيدا ، وظل يذكره بعدها سنوات وسنوات )[٢١] .

تدلنا هذه الحادثة على همته واجتهاده ، وجده ومثابرته ، وذاكرته العجيبة ، كما تدلنا على اهتماماته الوطنية التي رافقته منذ الطفولة .

ولن ننسى مشاركة سيد قطب والده ببعض اعماله السياسية ، حيث كان يقرأ الجريدة اليومية للذين يحضرون الى منزله ، ويشارك في بعض الاجتماعات السياسية التي تعقد في بيته ، كما لن ننسى مشاركته في الثورة التي قامت في طول البلاد وعرضها بخطب من انشائه وشعر من نظمه ، وهو لم يكد يتجاوز العاشرة [٢٢] !!!

---

(٢١) طفل من القرية : ١٤٩ .

(٢٢) المرجع السابق : ١٥١ .

## دراسته في دار العلوم

بعد أن تخرج سيد قطب من مدرسة القرية في السنة الثانية عشرة من عمره ـ وكان ذلك عام ١٩١٨ ـ وجهته والدته للدراسة في القاهرة • وكان عليه أن يسافر اليها ، ولكن الظروف اضطرته أن يبقى في القرية عامين آخرين ، وذلك بسبب الثورة التي عمت البلاد وانقطعت بسببها المواصلات واضطربت الأحوال ، تلك هي ثورة الشعب المصري ضد الاحتلال البريطاني عام ١٩١٩ ، والتي اشترك فيها سيد قطب بجهده المتواضع في القرية[٢٣] •

وبعد أن أخمدت الثورة ، وفي عام ١٩٢١ ، غادر سيد قطب القرية الى القاهرة وكان عمره اذ ذاك يزيد على أربعة عشر عاما •

وقد أحيطت رحلته الى القاهرة بهالة فخمة : « وكان كل شيء حول رحلة الفتى يوحي بأن له مهمة عظيمة : حتى لكأنه ذاهب الى فتح عكا ••• ! »[٢٤] وغادر القرية بصحبة أحد أقربائه الذي يدرس في كلية الحقوق • غادرها وسط دموع والديه وحزنهم الشديد على فراقه •

نزل سيد قطب في القاهرة • في بيت خاله ( احمد حسين عثمان ) وكان قد تخرج من الازهر ، واشتغل بالصحافة والتدريس ، وكان يكتب في الصحف بتوقيع ( احمد الموشي ) نسبة الى قريته ( موشة ) وكان يسكن في ضاحية الزيتون ، احدى ضواحي مدينة القاهرة[٢٥] •

بقي سيد قطب في بيت خاله حوالي اربع سنوات لا نعرف فيها شيئا عن دراسته أو أعماله ، أو حياته •

التحق بمدرسة المعلمين الاولية في القاهرة ، عام ١٩٢٥ ، وكان لا يلتحق بهذه المدرسة الا من تجاوز الخامسة عشرة من عمره[٢٦] • وكانت الدراسة فيها ثلاث سنوات ، يتخرج الطالب بعدها ، ليعمل مدرسا في المدارس الحكومية ، وكانت شهادتها تسمى ( الكفاءة ) وهي تعادل الدراسة الاعدادية أو المتوسطة في الوقت الحاضر •

---

(٢٣) طفل من القرية : ٢١٧ •
(٢٤) المرجع السابق : ٢١٨ •
(٢٥) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •
(٢٦) طفل من القرية : ٤٤ •

لم يكتف سيد قطب بهذه الشهادة التي حصل عليها ، ولو أراد أن يعمل بعدها مدرسا في المدارس وان يحصل على راتب حكومي دائم ـ وبهذا يحقق امنية امه التي اعدته لهذه المهمة ـ لتم له ذلك • ولكنه وجد في نفسه رغبة في الاستزادة من العلم والدراسة ، وطموحا الى ما هو اعلى واسمى ، وكان لا بد ان يستكمل دراسته •

التحق في عام ١٩٢٨ في ( تجهيزية دار العلوم ) ، وهي مدرسة خاصة بكلية دار العلوم ، تؤهل الطالب فيها للدخول في الكلية ، ومدة الدراسة فيها سنتان ، ويتلقى الطالب فيها منهجا دراسيا ، يعتبر مقدمات للموضوعات التي تدرس في الكلية من أدب وجغرافيا وعلوم وتربية وغيرها •

درس فيها سيد قطب سنتي ١٩٢٨ و ١٩٢٩ ، وهما تماثلان الصف الاول والصف الثاني الثانوي الان(٢٧) !!!

التحق في عام ١٩٣٠ في كلية دار العلوم ، وبقي فيها اربع سنوات ، حيث تخرج منها عام ١٩٣٣ ، وكان عمره سبعا وعشرين سنة • وقد حصل منها على شهادة الليسانس في الاداب ، مع دبلوم في التربية •

درس فيها علوم العربية من نحو وصرف وعروض وبلاغة وأدب ونقد ، وعلوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه ، كما درس التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع وعلم التربية ، والرياضيات والفيزياء والفلسفة(٢٨) •

ورغم هذه الدراسات المتنوعة التي تلقاها سيد في الكلية ، الا أنها لم تشبع نهمه الى العلم والثقافة ، ولم تلب حاجاته واشواقه ، وكان حانقا على هذا المنهج ، ويرى أن كلية الاداب التابعة لجامعة القاهرة أفضل منها، وتقدم زادا خيرا منها يحدثنا عن هذا قائلا : « لقد كنت وانا طالب شديد الحنق على دار العلوم شديد النقمة على تقصيرها في حق الثقافات الادبية وكنت اتخيل ان هناك على الضفة الاخرى للنيل(٢٩) وفي مدرجات الجامعات عالما آخر من الثقافة الواسعة وكان هذا التخيل يزيد نقمتي على المدرسة التي لا تلبي حاجة نفسي ••• ومضت أيام واختلطت بابناء الضفة الاخرى

(٢٧) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •
(٢٨) مع سيد قطب لفضل الله : ٤٦ •
(٢٩) تقع كلية الآداب في الجيزة على ضفة النيل الغربية • وتقع دار العلوم على ضفته الشرقية •

وقرأت ما يكتبون ، فالحق أقول لك يا دكتور[٣٠] لقد علمت انني ظالم لنفسي ولمعهدي ، وقد هدأت ثورتي وزالت حدتها[٣١] ·

كان من أسباب عدم رضاه عن ثقافة دار العلوم تقصيرها في تدريس اللغات الاجنبية ( لا يحسب احد اننا راضون كل الرضا عن ثقافة دار العلوم ، فلا ريب أن جهل المدرس باللغة الاجنبية يقص اجنحته عن التحليق وعن متابعة آخر البحوث العلمية والنفسية لتجديد نفسه ومعلوماته ) · ( ولا ريب كذلك أن دراسة الأدب ناقصة في هذه المدرسة ، ومثلها دراسة التربية وعلم النفس )[٣٢] ·

لم يكتف سيد قطب باعلان عدم رضاه عن مناهج الدراسة في الكلية واظهار حنقه عليها ، وانما خطا خطوة ايجابية عملية ، وكانت خطوة عجيبة حقا ، ان تصدر منه وهو الطالب في الكلية الخاضع لهذه المناهج ، تمثلت هذه الخطوة في ما حدثنا هو عنها قائلا : « ولقد سبق لي أن صرحت بها وانا طالب في المدرسة منذ ست سنوات وقد قدمت بها اقتراحات ضمنتها برامج كاملة للدراسة بالمدرسة الى صاحب العزة ناظرها ، واقترحت أن تكون المدرسة تجهيزية خاصة ، تدرس بها اللغة الانجليزية منذ أول سنة ، وتتوسع في دراسة العربية وعلوم الدين ، فتهيء بذلك للقسم العالي ، على أن تستمر دراسة الانجليزية في هذا القسم ويتوسع في دراسة اللغة العبرية وفي علوم التربية ، ويخلق درس النقد الفني بجانب تاريخ ادب اللغة الذي يدرس الآن ، وتزاد سنوات الدراسة بالقسم العالي الى ست سنوات ، تنتهي بتقديم رسالة ، ويستقل مجلس ادارتهـا بتسيير نظامها »[٣٣] ·

ولقد كانت مقترحات جريئة جدا ، وان لم يؤخذ بها ، الا أنها زادت من اعتباره في نفوس مدرسيه ·

لم يكن سيد قطب في دار العلوم مجرد طالب عادي كباقي زملائه الطلاب، وانما كان قوة وحيوية ونشاطا ، وتفكيرا وتخطيطا ، وانكبابا على البحث والمطالعة وجرأة وشجاعة نادرتين ·

---

(٣٠) الدكتور طه حسين ·
(٣١) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر : ٦٥ ·
(٣٢) المرجع السابق : ٦٣ ·
(٣٣) المرجع السابق : ٦٤ ·

كان سيد قطب معروفا اثناء دراسته في الكلية بآرائه النقدية ، حيث كان يتزعم الجماعات الادبية التي ترى رأيه ، من ذلك رأيه في أدب واسلوب مصطفى صادق الرافعي ، الذي يذكره لنا زميله في الكلية محمد رفيق اللبابيدي قائلا : ( أنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل ، وأعرف انه رأي غير تقليدي ، فلقد كنت في دار العلوم، وكانت حلقة الاخوان تضم قطبا، وكنا دائما على طرفي نقيض ، فجماعة منا مع الرافعي واخرى عليه ، وكان على ما أذكر الاخ قطب لسانها )(٣٤) .

كما عرف بانتاجه المتجدد الجوانب ، كالشعر ، وكتابة المقالات الادبية أو النقدية ، أو التربوية أو الاجتماعية ، والتي كان ينشرها في الصحف والمجلات كما عرف بمحاضراته التي كان يلقيها في المجامع الادبية ، وببحوثه التي أعدها أو في طريقه الى اعدادها ، أو في نيته اعدادها .

وكان محبوبا من قبل الطلاب والمدرسين في الكلية ، حيث نال اعجاب الجميع .

ومن أعز أصدقائه الذين درسوا معه في الكلية الدكتور عبد العزيز عتيق وفايد العمروسي ، وجمعت بين الثلاثة صداقة متينة ، وعاشوا معا حياة أدبية متصلة ، وهم بعد طلاب في الكلية ، وبعد أن تخرجوا منها(٣٥) . وكان الثلاثة شعراء مبدعين ، ويشعرون أنهم متميزون فنيا عن باقي زملائهم ، وان عندهم من المواهب ما ليس عند غيرهم ، فكانوا لا يفارقون بعضهم ، يجلسون معا يستمع بعضهم قصائد بعض ويتندرون على غيرهم(٣٦) .

وعندما نشر عبد العزيز عتيق أول ديوان له عام ١٩٣٣ وكان لا يزال طالبا في الكلية وهو ( ديوان عتيق ) قدم له سيد قطب مقدمة جيدة ، بين فيها انه أعرف الناس بشخصية صاحب الديوان ، وبتصرفاته في الحياة وبأفكاره وخواطره ودراسته(٣٧) . وعندما نشر سيد قطب أول ديوان له ( الشاطيء المجهول ) عرف به صديقه فايد العمروسي ، وحلله تحليلا جيدا في مجلة دار العلوم(٣٨) .

---

(٣٤) الرسالة السنة السادسة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٢٦١ صفحة ١١٠٥ .
(٣٥) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب .
(٣٦) انظر : المقتطف . المجلد الثمانون الجزء الخامس ٢١ مايو ١٩٣٢ صفحة : ٦٢٦ .
(٣٧) الرسالة : السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٧ ـ ص ١٠٨٦ .
(٣٨) دار العلوم ـ السنة الاولى ـ العدد الرابع : ٢٢٠ ـ ٢٢٥ .

نعرف من أبحاث سيد قطب وهو طالب في الكلية ، بحثه الذي أعده وألقاه محاضرة فيها ، وهو في السنة الثالثة ، ثم نشره تحت عنوان ( مهمة الشاعر في الحياة وشعراء الجيل الحاضر ) وهو أول مؤلف طبع له • وقد اعتبره مقدمة لبحث كامل في موضوعه ( مهمة الشاعر في الحياة )[٣٩] •

وقد كان عنده وهو ما زال طالبا في السنة الثالثة في الكلية عدد من البحوث جاهزة للطبع ، ( واذا كانت الظروف لا تهيء اليوم الا طبع هذا المبحث الصغير دون غيره مما بين يدي ، فأنا أطمع في فرصة قريبة اكثر توفيقا )[٤٠] • وهذه البحوث الجاهزة للنشر ، والتي أعدها وهو ما زال على مقاعد الدراسة ، تدلنا على ما تمتع به سيد قطب من همة عالية ، ودأب متواصل ، وصبر على معاناة البحث ، كما تدلنا على نتاجه الغزير المختلف الموضوعات • وقد وعد باخراج بحث جديد عن شوقي بعد ان اختلف مع استاذه محمد مهدي علام ، حول شاعريته : ( وان كان رأيي في شوقي كله ، بعد دراسة كاملة شاملة لكل ما أنتجه (!!)[٤١] لا يختلف كثيرا عن تعليقي على الامثلة المختارة • وبهذه المناسبة اعد بان اكتب نتيجة دراستي لشوقي في محاضرة أو كتاب آخر يتسع للبحث والدراسة والاستقصاء ، ويكون رأيي اذ ذاك مؤيدا بكل ما أنتجه شوقي بلا استثناء)[٤٢] • وهذا يدلنا على قدرة سيد قطب العجيبة على التفكير في البحوث واختيارها ، وأخذ نفسه بالشدة والعزيمة حتى ينتهي من اعدادها •

كان سيد قطب موضع اعجاب وتقدير اساتذته وزملائه الطلاب في الكلية ، ومن اساتذته الذين عرفناهم الدكتور مهدي علام ، استاذ التربية في الكلية ، وكان معجبا بتلميذه الى حد كبير ، فقد قال في تقديمه لكتاب ( مهمة الشاعر في الحياة ) : «ولئن كنت قد قدمت المحاضر ( سيد قطب ) بانه طالب يسرني ان يكون احد تلاميذي ، فانني اقول اليوم ـ وقد سمعت محاضرته ـ انه لو لم يكن لي تلميذ سواه لكفاني ذلك سرورا وقناعة ،

---

(٣٩) مهمة الشاعر في الحياة : ٧ •

(٤٠) مهمة الشاعر في الحياة : ٧ •

(٤١) درس شوقي دراسة شاملة ، واطلع على كل نتاجه ونقده وقومه وهو ما زال طالبا في السنة الثالثة في الكلية •

(٤٢) مهمة الشاعر في الحياة : ١١ • ولكنه عدل عن نشره ، وكم من البحوث اعدها للنشر ثم عدل عنها في آخر لحظة !

واطمئنانا الى انني سأحمل امانة العلم والادب من لا اشك في حسن قيامه عليها »(٤٣) .

وقد ذكر الدكتور علام في تقديمه ان من أسباب محبتهم لسيد وتقديرهم له : قوة شخصيته وجرأته في قول ما يعتقد حتى لو خالف فيه اساتذته : « يعجبني في كاتب هذه المحاضرة جرأته الحازمة التي لم تسفه فتصبح تهورا ، ولم تذل فتغدو جبنا ، وان هذه الجرأة الرشيدة التي دعته الى الاستقلال بالرأي في بحثه ــ حتى ولو خالفنا في بعض ما نعتقده من الآراء الادبية ــ لهي التي تجعله احب الى قلوبنا )(٤٤) .

وبعد أن أشار الى تواضع سيد قطب ، ختم الدكتور علام تقديمه بقوله : « وقصارى القراء أن أقول لهم : انني اعد سيد قطب مفخرة من مفاخر دار العلوم ، واذا قلت دار العلوم فقد عنيت دار الحكمة والادب »(٤٥) .

لم تكن اهتمامات سيد في دار العلوم اهتمامات أدبية أو ثقافية فقط ، فقد كان له نشاط بارز في المجالين السياسي والاجتماعي ! ونشير الى واحد مما قام به في هذه الفترة . فعندما افتتحت الحكومة المغربية سفارة لها في مصر عام ١٩٣٨ ، وعينت المكي الناصري سفيرا لها . قال سيد قطب « ولقد كان لي من قبل حظ معرفة الرجل الوطني العامل الذي يشرف اليوم على بيت المغرب بأقسامه الثلاثة ، اذ كان يدرس بمصر عام ١٩٢٩ ، وكانت وجهتنا اذ ذاك مع نخبة من اكرم الاخوان المصريين والشرقيين ان نؤلف جمعية للطلبة من هؤلاء وهؤلاء ، تمكن من الروابط بين الجميع ، وتعمل للمستقبل في توثيق العلاقات ، وتسهل للطلبة الشرقيين وسائل العلوم والراحة في مصر . وكان الاستاذ المكي الناصري اشد المتحمسين للفكرة وكنا نجتمع ــ غالبا في داره للمباحثات في تحقيق هذا الأمل الكريم»(٤٦) .

---

(٤٣) مهمة الشاعر في الحياة : ٩ .
(٤٤) المرجع السابق : ٩ ــ ١٠ .
(٤٥) المرجع السابق : ١٠ .
(٤٦) الرسالة ــ السنة السادسة ــ المجلد الثاني : عدد ٢٨٢ : صفحة ١٩٣٧ .

# سيد قطب في وزارة المعارف

عمل سيد قطب فور تخرجه من دار العلوم في وزارة المعارف ، مدرسا في مدارسها ، واستمر في التدريس ست سنوات : سنة في بني سويف ، واخرى في دمياط وسنتين في مدارس القاهرة ، والسنتان الاخيرتان استقر فيهما في مدرسة حلوان الابتدائية في ضاحية حلوان احدى ضواحي القاهرة وهي الضاحية التي استقر فيها مع اخوته فيما بعد .

ولم ينقطع وهو في التدريس في بني سويف ودمياط والقاهرة ، عن مراسلة المجلات الادبية ، ونشر مقالاته وقصائده فيها .

انتقل بعد التدريس موظفا في الوزارة ، حيث عمل في التفتيش فترة قصيرة ثم في مراقبة الثقافة العامة ، وبقي في عمله فيها مدة ثماني سنوات من عام ١٩٤٠ الى عام ١٩٤٨ ، حيث اوفدته الوزارة الى امريكا(٤٧) .

أثناء عمله في مراقبة الثقافة ، اسندت اليه الوزارة اعمالا اخرى عرفنا منها انتدابها له للتفتيش في الصعيد لمدة شهرين(٤٨) . وانتدابه سكرتيرا فنيا للجنة الاستشارية للكتب والمجلات في الوزارة(٤٩) .

بعد عودته من امريكا عمل مع المستشار الفني للوزارة ، وكان بالاضافة الى عمله في الوزارة ، يلقي محاضرات في كلية دار العلوم ، ثم انتدب للتدريس في الكلية(٥٠) .

قبل قيام الثورة بقليل استقال سيد قطب من وزارة المعارف نهائيا ، لأنه لم يتمكن من العمل فيها وسط جوها الكئيب ، ولانه ووجه بحرب شرسة من قبل أعوان أمريكا في الوزارة حيث خيب ظنهم في بعثته لامريكا(٥١) .

لم يكن سيد قطب في الوزارة مجرد موظف عادي ، يقوم بوظفيته بطريقة روتينية، وانما كان المفكر الجرىء ، يفكر بعمل الوزارة ومناهجها ووسائلها،

---

(٤٧) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب .

(٤٨) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٨١ : ٧٩٦ .

(٤٩) مجلة الكتاب . المجلد الثالث : ٣٣٤ .

(٥٠) اثبت هذا الاستاذ يوسف العظم في دراسته عن سيد قطب التي هي تحت الطبع .

(٥١) بحث الدكتور عبد الله عزام عنه الذي هو قيد التحرير .

ويضع الخطط التي يراها لمسيرتها ، ويقوم بالدراسات ، ويعد التقارير ، ويقدم المقترحات ، يقوم بهذا كله في جرأة وشجاعة ، ولو ادى الى غضب رؤسائه ، اذ لم يكن همه كسب رضاهم والتزلف اليهم ، والحرص على الترقيات والزيادات ، وانما كان همه قول ما يرى انه الحق ، والاهتمام الجدي بعمله ، والتفكير المضني في رفع مستوى الاجهزة في الوزارة ، وتحسين خدماتها ·

من تلك المقترحات التي قدمها ، المقترحات التي أشرنا اليها عند حديثنا عن دراسته في دار العلوم ، والتي قدمها الى ادارة الكلية حيث بقي مصرا عليها حتى بعد أن عمل في الوزارة[٥٢] ·

ومنها معارضته لفكرة طه حسين في تكثيف اللغات الاجنبية للطالب في المرحلة الابتدائية والاعدادية ، والتي يعزوها الى ( الثقافة الفرنسية التي ثقفها الدكتور واكتظاظ البرنامج الفرنسي بالمواد ) وقدم البرنامج الذي يراه بقوله : « وانا شخصيا انكر كل برنامج يكلف التلميذ من السابعة الى سن العاشرة أن يشتغل بالدراسة النظرية اكثر من اربع ساعات في اليوم بحال من الاحوال ، وانكر كل برنامج يكلفه من سن الحادية عشرة الى السادسة عشرة أكثر من ست ساعات · أما ما عدا ذلك ، فللرياضة البدنية وللفنون الحرة وللقراءة الشخصية »[٥٣] ·

ومنها اقتراحاته التي قدمها لاصلاح دروس البلاغة والصرف والاملاء[٥٤] ·

ومنها مشروع الترجمة الذي أعده وقدمه للوزارة ، حيث وضع فيه خطة عامة للترجمة · وقد اهتمت به فترة من الوقت ، ثم أغفلته[٥٥] ·

ومنها اقتراحه الذي قدمه للوزارة بخصوص مكتبات المدارس : ( لقد اقترحت مرة على وزارة المعارف أن تزيل الغبار عن سمعتها في اسواق الوراقين · وهي سمعة لا يسر الوزارة أن تعرفها · ورائحة لا يريحها أن

---

(٥٢) نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر : ٦٤ وصفحة ٩٠ من هذا الكتاب ·

(٥٣) نقد مستقبل الثقافة في مصر : ٥٠ ·

(٥٤) المرجع السابق : ٥٥ ـ ٥٦ ·

(٥٥) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الاول : عدد ٦١٨ : ٤٦٦ ·

تشمها ، لقد اقترحت عليها أن تنشيء الف مكتبة فرعية صغيرة في المدن والقرى الكبيرة ، ولا يكلف انشاء الواحدة منها اكثر من مائة جنيه ) • وقد فصل اقتراحه بشكل يضمن للكتاب الجيد الرواج وذكر اسباب عدم الاخذ به : « لانه يحرم بعض دور النشر المحظوظة من الاستيلاء على اكبر مبلغ من ميزانية الكتب في وزارة المعارف ، ويحرم بعض ذوي النفوذ من الاتجار بنفوذهم في سوق الوراقين ، ويحرم بعض ذوي الشفاعات من المؤلفين أن يستمتعوا بالربح الحرام »(٥٦) •

وفي عام ١٩٤٣ أرسلته الوزارة الى الصعيد في مهمة تفتيشية ، وطلب منه رئيسه ـ المستشار الفني للوزارة ـ الدكتور طه حسين ان يقدم عند عودته « تقريرا شاملا عن دراسة اللغة العربية في المدارس على اختلافها » وأن يفصل اقتراحاته « في اصلاح هذه الدراسة بصفة عامة »(٥٧) • وعندما عاد قدم تقريره الشامل ورسم فيه خطة لتغيير دراسة اللغة العربية ، ووضع اسسا سليمة لتقوم عليها من جديد • ولكن تقريره رفض ، وفشلت الخطة(٥٨) •

وفي عام ١٩٤٧ قدم الى وزير المعارف الدكتور عبد الرزاق السنهوري خطة شاملة لتغيير نظام دراسة التاريخ كي يقام على أساس سليم ، وفشلت الخطة(٥٩) •

وعندما اوفدته الوزارة الى امريكا عام ١٩٤٨ ليدرس نظام التعليم هناك في مختلف الجامعات والمعاهد ، وبعد أن عاد للوزارة قام بمحاولات لاصلاح جهازها • أشار الى بعضها قائلا : « ألم احاول عشرين مرة ـ بعد عودتي من البعثة الى أمريكا ـ أن أنشيء لوزارة المعارف ادارة فنيـــة صحيحة ، تقيم نظم التعليم ومناهجه على أساس سليم ، ففشلت في هذه المرات فشلا ذريعا لان المراد في هذه المرة كان اصلاحا في الصميم »(٦٠) •

---

(٥٦) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الاول : عدد ٩٤١ : ١٦ يوليو ١٩٥١ : ٧٩٩ •
(٥٧) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني : عدد ٦٨١ : ٢٢ يوليو ١٩٤٦ • ٧٩٦
(٥٨)(٥٩)(٦٠) الرسالة • السنة العشرون • المجلد الاول • عدد ٩٩٥ تاريخ ٢٨ يوليو ١٩٥٢ • صفحة ٨٣٧ •

ويبدو أن لفشله في هذه المقترحات التي قدمها ، ارتباطا مباشرا في استقالته من الوزارة في آخر الامر · حيث وجه اتهامه الى كبار الموظفين في الوزارة · ومما جاء فيه : « ان التعليم لكي يؤدي مهمته هذه يحتاج الى تعديله من اساسه ··· ومما يؤلم النفس ان هذا التعديل لا يحتاج الى مال غير الذي ننفقه ، وقد لا يحتاج الى رجال غير الذين يزاولون اليوم مهمة التعليم · ولكنه يحتاج فقط الى ايمان بهذا التعديل الشامل والى عقليات قليلة ناضجة تشرف على التنفيذ · أم لعلني أمام عقدة العقد ؟ وأنا احسبها من الهين اليسير ؟؟ » ثم يحدد تهمته قائلا : « لقد أفلح الاستعمار في تطعيم عقلية وزارة المعارف بالميكروب الثابت ··· انه يبدو دائما في صورة كبار الموظفين !! »(٦١) ·

حتى المعاهد الثقافية التابعة للوزارة في الخارج فشلت في اداء مهمتها ، وقد ضرب سيد قطب مثالا عليها « المعهد الثقافي المصري في لندن ، فانه ما يزيد على أن يعلم اللغة العربية لبضعة عشر يهوديا معظمهم قد اشتغلوا فيما بعد جواسيس على العرب في حرب فلسطين ، وبضعة عشر انجليزيا ممن يعدون انفسهم لخدمة الاستعمار الانجليزي في الشرق العربي ! وهذه المهمة تستغرق جهود رجل مصري مثقف كالدكتور عبد العزيز عتيق ، كم كانت احدى كليات الجامعات المصرية في حاجة اليه هنا لاستكمال اساتذتها !! »(٦٢) ·

لم يكن سيد قطب وهذه شخصيته ، وهذه مواقفه ، وهذه مقترحاته ودراساته وتقاريره ، وهذه محاولاته ومشاريعه ، لم يكن بهذا كله ليرضي رؤساءه في الوزارة كباقي زملائه الموظفين ، وبخاصة اذا علمنا انه كثيرا ما يتغير وزراء المعارف بتغيير الوزارات · حيث يأتي وزير من حزب آخر غير حزب الوزير السابق فيتنافس كبار الموظفين الى كسب ود الوزير الجديد باعتناق مبادئه ، أو التزلف اليه · وهكذا يجهدون أنفسهم في علاقاتهم مع هؤلاء الوزراء المتشاكسين !! ، وقل مثل هذا في علاقة كبار موظفي الوزارة بصغار الموظفين ·

(٦١) الرسالة السنة العشرون · المجلد الاول : ٩٩٥ : ٢٨ يوليو ١٩٥٢ صفحة ٨٣٧ ·

(٦٢) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني : عدد ٩٦٥ تاريخ ٣١ ديسمبر ١٩٥١ ـ صفحة ١٤٧٠ ·

ولكن سيد قطب الذي تأنف نفسه مواقف الذلة والهوان ، أو التزلف والتذبذب ، أو تغيير الآراء بتغير الظروف • والذي تميزت شخصيته بالقوة والشجاعة والجرأة والالتزام ، سيد قطب بهذه الصفات أسخط عليه رؤساءه وتميزت علاقته معهم بالمشاكسات ، وجرت عليه – هذه الصفات – كثيرا من المضايقات !! وكان يتقبلها بارتياح لانها ضريبة العزة والشجاعة !!

كما كان للمقالات السياسية التي يكتبها في الصحف والمجلات اثر على صلته برؤسائه ، حيث انه موظف رسمي ، والموظف يحظر عليه الكتابة السياسية • وابداء رأيه في القضايا الوطنية ، ولذلك وجهوا اليه انذارات لكتابته تلك • واثبتوها في اضبارته(٦٦) •

ففي ابان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٣ ، جرت عليه صفاته التي ذكرناها ومقالاته السياسية التي كتبها ، غضب وزير المعارف آنئذ ، وقال : « لا بد أن يفصل هذا الموظف أو ينفى من الأرض ، او يشرد فيها • وحدد التهمة بأنه يعمل لحساب المعارضة ، وانه يتحدث لاصدقائه عن بعض الوزراء منتقدا لهم ، وانه اداة لخطة حزبية ضد الحزب الحاكم ، كما اخبرته بذلك ادارة الامن العام » بالاضافة الى كتابته السياسية في المجلات• وأمام تهمة الوزير وقراره ، قرر سيد قطب أن يستقيل من الوزارة ، لانه لن يخضع لاهواء الوزراء ، ولم يقلع عن الاستقالة الا بعد الحاح من رئيسه المباشر الدكتور طه حسين ، الذي تمكن من اقناع الوزير بالعدول عن قراره والاكتفاء بنفي سيد قطب الى الصعيد لمدة شهرين تحت شعار التفتيش فهو يقوم بجولة تفتيشية في الظاهر ، بينما هو منفي في الحقيقة(٦٤) •

هذه الحادثة التي كشف سيد قطب النقاب عنها واحدة من حوادث عديدة مشابهة لم نطلع عليها ، تبين علاقته بالوزراء من ناحية ، وبرؤسائه المباشرين من ناحية أخرى كما تبين أي موظف كان !!

كذلك ايفاده في بعثة الى امريكا ، لم يكن في الحقيقة الا عملية سياسية المتخلص منه(٦٥) •

---

(٦٣) الرسالة – السنة الرابعة عشرة – المجلد الثاني : عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦ صفحة ٧٩٦ •

(٦٤) انظر تفصيل هذه الحادثة في ( الرسالة ) السنة الرابعة عشرة المجلد الثاني : عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦ : ٧٩٦ – ٧٩٧ •

(٦٥) انظر مبحث ( سيد قطب في امريكا ) من هذا الكتاب •

## ـ سيد قطب مع العقاد

كان عباس محمود العقاد اشهر حامل لراية التجديد الادبي في مصر وقد بدأ يظهر نتاجه الادبي منذ صغره ، وراح يكتب في الصحف والمجلات منذ اوائل هذا القرن ـ العشرين ـ وكون مع زميليه عبد الرحمن شكري وابراهيم المازني جماعة (الديوان) ويعتبر العقاد رائد النقد الادبي في مصر ، حيث ظهرت مقالاته النقدية في وقت مبكر ، جمعها بعد ذلك في كتب اشهرها :

( ساعات بين الكتب ) و (مطالعات) و ( مراجعات في الآداب والفنون ) كما نشر عدة دواوين شعرية مثل ( وحي الاربعين ) و ( اعاصير مغرب ) ، واختص بعد ذلك بدراسة الشخصيات من الشرق والغرب .

هذا وقد تتلمذ عليه عدد من الادباء الشبان ، ومن اشهر تلاميذه : سيد قطب وعبد الرحمن صدقي ومحمد خليفة التونسي وعبد الفتاح الديدي وطاهر الجبلاوي .

بدأت صلة سيد قطب بالعقاد في وقت مبكر ، عندما سكن عند خاله ( أحمد حسين عثمان ) ، لان خاله كان على صلة بالعقاد ، حيث كانا عضوين في حزب الوفد الذي اسسه سعد زغلول ، وكان بينهما تزاور ، لانهما يسكنان في ضاحيتين متجاورتين ، العقاد في ( مصر الجديدة ) وأحمد حسين في ( الزيتون ) . وكثيرا ما كان سيد قطب يرافق خاله في زياراته تلك(٦٦) : واعجب سيد بشخصية العقاد القوية ، كما اعجب بفكره وادبه وعقليته ، وبمكتبته الكبيرة التي ضمت مختلف الكتب والمجلات العربية والاجنبية .

وتحول الاعجاب الى تلمذة وتأثر فكري وادبي ، وراح سيد قطب يقرأ من مكتبة استاذه بشغف كبير ، يلتهم ما فيها التهاما ، ليشبع حاجاته النفسية والادبية ، ويلبي اشواقه وتطلعاته الفنية ، واستفاد سيد الكثير من مكتبـــة العقاد وتزود بزاد عظيم من الثقافة والمعرفـــة ، وتفتحت امامه آفاق ادبية وفنية جديدة .

---

(٦٦) كما اخبرني الاستاذ محمد قطب .

وكما استفاد من مكتبة استاذه ، استفاد منه هو ومن نظراته في الادب والشعر والنقد والفن ، ومن شخصيته القوية ، وشموخه واعتداده بنفسه وتعاليه ، وتبنى سيد آراء استاذه المختلفة • كما تأثرت شخصيته به ، ورأينا فيها بعض صفات استاذه !

وقد شمل تأثير العقاد عليه حياته السياسية الاولى ، فرأينا سيد قطب عضوا في حزب الوفد ، ويبدو أن خاله واستاذه هما اللذان اثرا عليه من هذه الناحية • واستمر سيد مع حزب الوفد مدة طويلة ، منذ ان بدأ الدراسة في القاهرة الى ان شكل زعيمه مصطفى النحاس الوزارة بطلب من الانجليز في شباط عام ١٩٤٢ بعد ان حطمت الدبابات الانجليزية ابواب قصر عابدين ، وقد افقد هذا الحادث ثقة سيد بالحزب ، وتخلى عنه بعد ذلك ، لينضم الى حزب الهيئة السعدية ـ وهو الحزب المنشق عن الوفد ـ الذي لم يمكث فيه اكثر من سنتين • اعتزل بعدها الاحزاب نهائيا(٦٧) •

احتضن العقاد تلميذه سيد قطب ، وفتح امامه ابواب الصحف والمجلات التابعة لحزب الوفد ، السياسية منها والادبيه ، وهي التي كان العقاد يشرف على تحريرها أو يسهم في الكتابة فيها ليعطيها شهرة كبيرة مثل ( البلاغ ) و ( البلاغ الاسبوعي ) و ( الجهاد ) ، وغيرها •

فظهرت فيها مقالات سيد الغزيرة وقصائدة وتحليلاته الادبية والاجتماعية !

اشتهر سيد في الاوساط الادبية كتلميذ للعقاد ، وراح بعضهم يلمزه بهذه التلمذة ، واعترف سيد بتلمذته عليه ، واشاد بها ، واعتبرها مصدر قوة له لا نقطة ضعف ضده • فهو يخاطب الدكتور أحمد أمين قائلا « لقد كنت مريدا بكل معنى كلمة مريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين »(٦٨) • ويقول لابي الحسن الندوي ( لا شك اني تلميذ من تلاميذ العقاد في الادب والاسلوب الادبي ، وله علي فضل في العناية بالتفكير اكثر من اللفظ ،

---

(٦٧) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •

(٦٨) الثقافة السنة الثالثة عشرة • عدد ٦٦٣ : ٨

وهو الذي صرفني عن تقليد المنفلوطي والرافعي .. )(٦٩) ويبين لاحمد فؤاد الاهواني صلته بالعقاد « وحتى العقاد نفسه ، وصلتي بشخصه معروفة ، وصلتي بادبه اوثق مرات من صلتي بشخصه ـ ولو فهم الكثيرون غير هذا »(٧٠) .

كان سيد قطب يخشى على شخصيته ان تذوب في شخصية العقاد ، فعندما اصدر العقاد ديوانه ( وحي الاربعين ) عام ١٩٣٣ ، تحدث عنه سيد قطب في محاضرة القاها في ( رابطة الادب الحديث ) ابتدأها باعترافه بصداقته للعقاد ، واتبع يقول ( ولست اخشى من هذه الصداقة ـ على اشدها ـ ان تؤثر في رأيي لان لي صداقة أخرى اقوى من هذه الصداقة ، وهي صداقتي لضميري لا بل صداقتي لشخصيتي وحرصي عليها ان تفنى في أية شخصية أخرى )(٧١) .

ولما عرف سيد طريقه ، ورسم بنفسه معالمه ، بعد احد عشر عاما من كلامه هذا زال عنه خوف الفناء في شخصية العقاد وقال ( انني لم اعد احرص اليوم على مقاومة الفناء في الشخصيات الاخرى . لانني عدت اكثر اطمئنانا لعدم الفناء ، واني لاعترف اليوم ان صيحتي يومذاك اندا كانت صيحة الخائف الذي يحدث نفسه في الظلام وينفي عنها الأوهام ليشعر بالاطمئنان !

لقد كنت اتحدث يومها عن العقاد . وكانت شخصية العقاد هي الشخصية الوحيدة التي اخشى الفناء فيها ـ كنت احس هذا بيني وبين نفسي ـ ولقد ظلت هذه الخشية الى وقت قريب جدا ، حينما بدأت اشعر انني قد تخلصت . وانني انتفع بالعقاد ولكنني لا اقلده . وان لي طريقا ألمح معالمه واستشرف آفاقه وانني اتذوق بحسي وانظر بعيني واسمع باذني ، وان كان للعقاد فضل التوجيه في الطريق العام(٧٢) .

---

(٦٩) مذكرات سائح في الشرق العربي ٩٦ .
(٧٠) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة المجلد الثاني : عدد ٦٨٣ : ٨٧٤ .
(٧١) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني : عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤ صفحة ١٠٨٧ .
(٧٢) المرجع السابق ـ صفحة ١٠٨٨ .

درس سيد استاذه دراسة عميقة فاحصة ، وتزود بمختلف وسائل المعرفة والثقافة التي تعينه على معرفة كنه الرجل وسبرغوره • وقد حدثنا عن دراساته التي توصل بها الى معرفته قائلا ( ولقد رقيت الى محاولة استيعاب العقاد ـ وافلحت الى مدى ـ على درج من دراسات شخصية جمة ، ليست دراسة الادب العربي ولا اللغة العربية الا أولى خطواتها • دراسات تشمل كل ما نقل الى اللغة العربية ـ على وجه التقريب ـ من الاداب الافرنجية : قصة ورواية وشعرا • ومن المباحث النفسية الحديثة : نظريات العقل الباطن والتحليل النفسي والمسلكية •• ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ، ومن مباحث علم الاحياء ـ بقدر ما استطعت ـ وما نشر عن دارون ونظريته ، ومن مباحث الضوء في الطبيعة والتجارب الكيماوية ، ومما استطعت ان افهمه عن اينشتاين والنسبية وعن بناء الكون وتحليل الذرة وعلاقته بالاشعاع(٧٣) •

وقد عقب الدكتور محمد رجب البيومي على كلام سيد بقوله « هذا بعض ما أهل به سيد قطب نفسه ليدرس العقاد ، واذا كان العقاد جبار الثقافة دون نزاع فأنه قد أورث تلميذه شرها للمعرفة لا يحد ، وهو صادق حين يذكر هذه الفروع الدقيقة في اطلاعاته ، لانه يزور استاذه في مكتبته الخاصة ويرى سعة معارفه فلا بد ان يجاريه ما استطاع ! ويا لها من همة !(٧٤) •

وبعد ان درس استاذه بوسائله التي ذكرها ، اعجب به الى حد التعصب واحبه الى درجة الغيرة ( فانا لا انكر انني شديد الغيرة على هذا الرجل شديد التعصب له ، وذلك نتيجة فهم صحيح لادبه ، واقتناع عميق بفكرته )(٧٥) •

نتيجة لهذا التعصب الشديد والغيرة الشديدة ، راح سيد قطب يصدر احكاما على استاذه العقاد ، ويصفه باوصاف يظهر فيها الغلو

---

(٧٣) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الاول ـ عدد ٢٥٧ تاريخ ٦ يونيو ١٩٣٨ ـ صفحة ٩٣٧ •

(٧٤) الثقافة السنة الخامسة ـ عدد ٥٣ فبراير ١٩٧٨م ، صفحة ٥٤ •

(٧٥) الرسالة ـ السنة السادسة ـ المجلد الاول : عدد ٢٥١ تاريخ ٢٥ ابريل ١٩٣٨ ، صفحة ٦٩٢ •

والمبالغة وعدم الموضوعية ، وهذا ليس بغريب ، فان شدة التعصب تنسى صاحبها الاتزان وشدة الغيرة تعمي صاحبها عن ابصار نبوغ وقدرات الاخرين • ولقد بقي سيد قطب ــ رغم استقلاله بشخصيته ــ لفترة طويلة لا يرى في سماء الادب الا العقاد ، ولا يلمس الا جوانب من عبقرية العقاد ، ولا يتذوق الا شعر العقاد فهو اديب العالم وهو فيلسوف العالم ، وهو اشعر شعراء العالم ، ولا غرابة ان تصدر عن سيد قطب مثل هذه الاحكام ( فان حبك الشيء يعمي ويصم ) •

عندما اطلق الدكتور طه حسين على العقاد لقب ( امير الشعراء ) بعد وفاة أحمد شوقي ، راح سيد قطب يعلن على صفحات المجلات ان هذا اللقب غير لائق به ! ( ورأيي ان هذا اللقب غير لائق بالعقاد ، لان المسافة بينه وبين شعراء العربية في هذا العصر اوسع مما بين السوقة والامراء ) • ويغالي سيد في حكمه على شعر العقاد بانه اشعر شاعر في لغة العرب في القديم والحديث ( قد يكون هناك كتاب يتقاربون مع العقاد ، ولكن ليس هناك شعراء في لغة العرب يتقاربون مع العقاد • ولقد كنت هممت باصدار بحث عن الشعراء المعاصرين ، ونظرت في ادب جميع الشعراء الاحياء ــ وانا من بينهم ــ ولكن عاقني عن اصداره انني لم اجد نقاط اتصال بين العقاد الذي سأكتب عنه اولا وبين جميع الاخرين من الشعراء ، الفرق هائل جدا )[٧٦] •

العقاد في عين سيد قطب ليس شاعر العربية الأوحد فحسب ، بل هو لا يدانيه في شعره شعراء العالم اجمع (ونحن لا ننصف الرجل حين نقول ان الاوتار التي يوقع عليها الحب في نفسه لم تجتمع قط لشاعر عربي ، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود • نحن لا ننصفه حين نتحدث عن اللغة العربية وحدها ، ولكننا نقول ذلك مؤقتا ، لانها اللغة التي نستطيع الحكم على آدابها حكما نملك ادلته كلها ، ونجزم فيه بالصواب • والا فبين يدي معربات كثيرة لشعراء من الغرب مشهورين معروفين ( كبيرون وشيلي والفريد دى موسيه وفيكتور هوجو ) لا ارى فيها من تعدد الجوانب الصادقة الاصيلة ما اراه في غزل العقاد وشعره عامة)[٧٧] •

---

(٧٦) الرسالة ــ المصدر السابق ــ ٦٩٤ •

(٧٧) الرسالة ــ السنة السادسة ــ المجلد الثاني : عدد ٢٦٨ تاريخ ٢٢ اغسطس ١٩٣٨ ، صفحة ١٣٨٠ ــ ١٣٨١ •

لا شك ان هذه الاحكام المبالغ فيها والتي اصدرها سيد قطب على استاذه العقاد ، اضرت بسيد قطب نفسه ، حيث شن عليه النقاد ــ وحق لهم ــ حملة في المجلات ، واضرت باستاذه العقاد كذلك ، وكأني به ــ وهو الذي لا يعجبه الا المديح والاطراء ــ قد تأثر منها ٠ وادرك الغلو والمبالغة فيها !

وقد خاض سيد قطب معارك ادبية دفاعا عن استاذه العقاد ، بين فيها نواحي نبوغه وعبقريته ، وكان اعنفها تلك التي خاضها على صفحات مجلة الرسالة حول العقاد والرافعي ، وطالت المعركة بحيث استغرقت اكثر شهور عام ١٩٣٨ ، بدأت طلائعها في العدد (٢٥١) بتاريخ ( ٢٥ ابريل ١٩٣٨ ) وانتهت بالعدد (٢٨٠) بتاريخ ١٤ نوفمبر ١٩٣٨ ٠ وكانت المعركة طاحنة كان خصمه فيها تلاميذ الرافعي من كبار الادباء ، مثل محمود شاكر ، والدكتور محمد أحمد الغمراوي ، ومحمد سعيد العريان ، واسماعيل مظهر ، وعلي الطنطاوي ، وعبد الجليل المحجوب ! والغريب ان سيد قطب ادار المعركة وحده ، امام هؤلاء جميعا ، ادارها بشجاعة وقوة وحدة واعتداد برأيه وباستاذه ، وقد لفت اليه الانظار في قوة وانبهار ، حيث أعجب الناس والادباء منهم بخاصة برجل يقود المعركة منفردا ضد عدد من ذوى النباهة من الادباء ، وينتصر عليهم في النهاية !

وقد تحمل سيد تبعة دفاعه عن العقاد ، وتبيينه لمزاياه ، تحمل تكاليف هذا كله راضيا ، فهو قد كلفه ــ على حد قوله ــ ( التعرض لغضب الكثيرين من ذوى النفوذ في هذه الوزارة ، وفي كل وزارة ، ومن بينهم كثير من رؤسائي في وزارة المعارف نفسها ) و ( خصومة الادباء من المدرسة القديمة والحديثة على السواء ) و ( خصومة كثير من ناقصي الرجولة ــ وهم اعداء العقاد الطبيعيون ــ وكثير من ناقصي الثقافة الذين لا يفهمون العقاد )[٧٨] ٠

ولم ينتفع مع هذا بنفوذ العقاد ٠ ذلك الانتفاع ( الذي يبدو غير مفهوم حينما كنت اناصر العقاد وهو خصم الوزارات القائمة ، وأوقع على ما اكتبه بامضائي الصريح في احرج الاوقات )[٧٩] ٠

---

(٧٨) الرسالة ــ السنة السادسة ــ المجلد الثاني : عدد ٢٨٠ ، ١٤ نوفمبر ١٩٣٨ ، ١٨٦٥ ــ ١٨٦٦ ٠

(٧٩) المصدر السابق : ١٨٦٦ ٠

وراح سيد قطب يرقب كتب استاذه العقاد ، فما ان يصدر كتاب منها حتى يتناوله بالشرح والتحليل والنقد ، ويجعل حديثه عن الكتاب مناسبة للحديث عن صاحبه وبيان مزاياه ونبوغه وعبقريته !

سيد قطب تلميذ للعقاد ، ولكنه ليس نسخة أخرى منه ! ولو قارناه بتلميذ آخر للعقاد وهو ( محمد خليفة التونسي ) لتميزت شخصيته ، فالتونسي ( لم يكن اكثر من تلميذ ذكي يحسن ما يقوله استاذه فحسب )[٨٠] ، وكذلك تلميذ العقاد الآخر عبد الرحمن صدقي ( فانه نسخة طبق الاصل عن العقاد )[٨١] ويظهر الفرق بين التلميذين هذين وبين سيد قطب ، عندما ننظر في اعمال سيد وآثاره التي خالف فيها استاذه !

فسيد قطب عندما أمن من ذوبان شخصيته في شخصية العقاد ، صرح قائلا « انني انتفع بالعقاد ، ولكنني لا اقلده • وان لي طريقا المح معالمه واستشرف آفاقه • وانني اتذوق بحسي وانظر بعيني واسمع باذني »[٨٢] •

وتبعا لاستقلاله ، خالف العقاد في بعض آرائه ( انني اختلفت معه في بعض الاحيان ، على تعريف الشعر وتذوقه ، وعلى النظرة الى العاطفة واطوارها ، ولكنه اختلاف الرأي والاحساس الذي لا بد ان يقع بين شخصية وشخصية ، متى تبلورت الشخصيتان ، وظهرت معالمهما كاملة ، ولو كانتا شخصيتي التلميذ والاستاذ )[٨٣] •

كانت مخالفته له في وقت مبكر جدا ، ففي اول مقالات سيد النقدية على صفحة الاهرام ، عندما اصدر العقاد ديوانه ( هدية الكروان ) ، كتب سيد قطب عنه يقول : ان هدية الكروان تمثل « منتهى النضوج الفني عند العقاد وانها سلمت من بعض اشياء كانت تغض من الجمال الفني الكامل

---

(٨٠) سيد قطب لبركات : ١٠ •

(٨١) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •

(٨٢) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤ : ١٠٨٨ •

(٨٣) الرسالة السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٨٣ تاريخ ١٦ اغسطس ١٩٤٦ : ٨٧٤ •

لبعض شعر العقاد ، وهي ما اسميته ( قسوة القالب ) وعنيت به ان يحتجب الشعور الطليق في ثوب اضيق واقسى مما يلائم هذا الشعور الطليق »(٨٤) ٠

وعن اثر هذا النقد الهادىء على العقاد قال « وهو كذلك لا يسلم بقسوة القالب في بعض شعره ٠ ولا يبيح لي ان اوجه هذا النقد ، لان منشأه هو قصوري عن فهم شعره ، وان على الناقد ان يرتفع الى مستوى الشاعر ، وليس على الشاعر ان يهبط لمستواه ٠ وكان العقاد مهتاجا ٠ ولكنني كنت هاديء الاعصاب »(٨٥) ٠ وبقي ــ رغم هدوء اعصابه ــ على موقفه لم يغيره ، بل رد على العقاد قائلا ( ان الناقد الذي يكتب محاضرة عن ديوان « وحي الاربعين » فيفهم دقائقه فهما يرضى عنه العقاد ٠ لا يقصر عن فهم « هدية الكروان » وهي اسهل من وحي الاربعين ! وافترقنا وفي نفس العقاد شيء احسه ولكنني آسف له ٠ وان كنت لا انوي التاثر به )(٨٦) ٠

وراح سيد يخالف استاذه في كثير من آرائه ، وينشر مخالفته له على صفحات المجلات الادبية ، وفي كتابه ( كتب وشخصيات ) أماكن عديدة لهذه الآراء(٨٧) ٠

بدأ سيد في بداية عام ١٩٤٦ ــ بعد ان الف كتابه « التصوير الفني في القرآن » ــ يبتعد تدريجيا عن مدرسة العقاد الادبية ، وينتقد آراءها في الادب والفكر والحياة ٠ ونورد فيما يلي مثالا لانتقاده الجاهر لهذه المدرسة ! قال اثناء حديثه عن قضية اللفظ والمعنى ــ القضية المعروفة في الادب العربي ــ « ثم عرضت هذه القضية مرة أخرى في العصر الحديث في معرض الجدل بين مدرسة شوقي وحافظ المعنية بالايقاع الموسيقي والجمال اللفظي ومدرسة العقاد وشكري المعنية بالصدق الشعوري

---

(٨٤) الاسبوع ــ المجلد الثالث ــ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ صفحة ٢٢ ٠ وانظر « على المحك » لمارون عبود : ٢٦٠ ــ ٢٦٣ ٠

(٨٥) الاسبوع ٢٢ ــ ٢٣ ٠

(٨٦) الاسبوع ٢٣ ٠

(٨٧) انظر ( كتب وشخصيات ) صفحات ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ٠

والتدقيق المعنوي ، وقيل كلام كثير في معرض الجدل ليس كله صوابا بطبيعة الحال ، ونحن في هذه المناسبة لا نتردد في ان نرد الى الايقاع الموسيقي والجمال التعبيري اعتبارهما ــ ولكن على اساس آخر غير الاساس الذي يفهمه الشوقيون والتعبيريون على العموم(٨٨) ٠

وبقي سيد يبتعد تدريجيا عن مدرسة العقاد في الادب والحياة الى ان خرج منها نهائيا ليكون مدرسة ادبية جديدة على اسس جديدة ، ونظرة جديدة للادب والحياة !

وتجلى هذا الخروج في مقالة كتبها في مجلة ( الكتاب ) ينقد فيها ديوانا لاحد ابناء المدرسة العقادية ــ أحمد مخيمر ــ قال فيها « لقد آن ان نفهم الشعر على ضوء جديد ، بعدما قطعنا كل هذه المراحل وبعدما اجتزنا كل تلك التجارب ٠ آن ان نفهم الشعر لا على طريقة مدرسة شوقي وحافظ والمنفلوطي ، ولا على طريقة العقاد وشكري والمازني ٠ فكلتاهما مرحلتان من مراحل التطور قامتا بدوريهما في النهضة ، وآن ان يخلفهما فهم للشعر جديد »(٨٩) ٠

تحدث عن مدرسة العقاد قائلا « وقامت اخراهما على اساس ان الشعر صورة حياة وخلجات نفوس وسمات شخصيات وحقائق شعور ، وهذا كله صحيح ٠ ولكن هذه المدرسة عند التطبيق العملي لفهمها الشعر كانت طاقتها الشعرية اقل من تصورها للشعر ، فجاء نتاجها الشعري في عمومه ناقص الحرارة غير مكتمل الشاعرية ، وظلت ــ الا قليلا ــ تمتح من تصورها الواعي للشعر ٠ قبل ان تفيض من شعورها الكامن في الضمير(٩٠) ٠

وتحدث عن تجربته مع هذه المدرسة قائلا « ولست انكر فتنتي فترة طويلة من العمر بهذه المدرسة كفكرة ، وفتنتي بنتاجها الادبي كشعر ، وتأثري بها الى الحد الذي انفقت فيه شطرا من حياتي وانا اقول الشعر لا افرق فيه بين الفكرة الجميلة الشعرية اعتنقها مذهبا ، والاحساس الجميل الشعري ينبض به شعوري ويعيش انفعالا غامضا في ضميري ٠٠

---

(٨٨) كتب وشخصيات : ٤٧ ٠

(٨٩) الكتاب المجلد الخامس ــ الجزء الثاني ــ فبراير ١٩٤٨ ، صفحة ٢٤٨ ٠

(٩٠) المرجع السابق : ٢٤٨ ٠

ولم اجد نفسي الا منذ عامين اثنين (١٩٤٦) انتبه الى الفارق الاصيل بين الفكرة الجميلة والشعور الجميل • واجد للشعر مذاقا آخر ، غير ما سبق لي ان احسسته في نحو خمسة عشر عاما أو تزيد »[٩١] •

وهكذا انتهى به المطاف الادبي ، بعد حياة طويلة في مدرسة العقاد دامت ما يقرب من ربع قرن ، انتهى به الى مدرسة ادبية جديدة ، هو رائدها واستاذها الاول ، لها اسسها ونظراتها وآراؤها ومنهجها في الشعر والادب والفن والنقد • وكان معه في مدرسته عدد من الادباء ، وكان بمقدور سيد ان يرسي اسس مدرسته الجديدة ، وينميها ويرعاها ، ويمدها بالجديد من نظراته الثاقبة • كان بمقدوره هذا لولا انه تركها لاهتماماته الجديدة ، حيث فتح الله امام عينيه ملامح طريق جديدة ، فسار فيها مفكرا وكاتبا وباحثا ، تلك هي المرحلة الاخيرة من حياته ، وهي اتجاهه الاسلامي •

وقد بين سيد قطب اسبابا اخرى لخروجه من مدرسة العقاد ، غير آرائه الجديدة في الادب والفن والشعر ، منها ما ذكره لابي الحسن الندوى • « ان نفسي لم تزل متطلعة الى الروح وما يتصل بها ، وكنت في صغري مشغوفا بقراءة اخبار الصالحين وكراماتهم ، ولم تزل هذه العاطفة تنمو في نفسي مع الايام • والاستاذ العقاد رجل فكري محض لا ينظر الى مسألة ولا يبحث فيها الا عن طريق الفكر والعقل ، فذهبت أروى نفسي من مناهل أخرى هي اقرب الى الروح • ومن ثم عنيت بدراسة اشعار الشرقيين كطاغور وغيره »[٩٢] •

كما ان من اسباب خروجه على مدرسة العقاد ، هو ضعف العقاد وجبنه في كثير من المواقف السياسية بعدما امتد به العمر في الاربعينيات • يقول « اني كنت اعتقد ان مثل الاستاذ العقاد في عقله الكبير وشخصيته العظيمة لا يخضع للضرورات والملابسات كالحكومة والسلطة ، ولكنه سالمها »[٩٣] •

---

(٩١) الكتاب ٢٤٨ ـ ٢٤٩ •

(٩٢)(٩٣) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي ٩٦ •

جفا العقاد سيد قطب بعد خروجه عليه ادبيا اولا ، ثم فكريا بعد ذلك بل مقته لاتجاهه الاسلامي ، ولم يكن العقاد يطيق الاتجاه الاسلامي المتمثل في حركة الاخوان المسلمين ، بل كان يحاربه بشراسة ، وراح العقاد ينتقد سيد ويتحدث عنه ، ويأسف له ، وكتب في الرسالة مقالة بعنوان ( ارادة الغفلة ) ضد سيد قطب دون أن يذكره بالاسم(٩٤) .

وبعد افتراق طريقيهما ، وبعد ان وقف سيد المواقف الاسلامية الجريئة ضد رجال الحكم العسكري في مصر ، وبعد ان ضحى بالكثير ، صار العقاد يثني عليه ويمدحه ويشيد به في مجالسه الخاصة(٩٥) .

كان للعقاد فضل كبير على سيد قطب ، اذ انه استفاد منه الكثير وبخاصة في حياته الادبية ، ولكن كان له اثر سلبي عليه ، حيث يعزى الى العقاد السبب في تأخير سيد قطب في اتجاهه الاسلامي . لان سيد الذي نشأ نشأته الدينية في القرية ، كان المتوقع له ان يسير في طريق اسلامي واضح ، ولكن اتصاله بالعقاد اوجد عنده ميلا الى الادب والنقد والشعر ، وصارت عنده اهتمامات ادبية وفنية وسيطرت عليه هذه الاهتمامات فترة طويلة من الوقت ، زادت على ربع قرن من الزمان ، وكمنت اهتماماته الاسلامية والروحية طوال هذه الفترة ، ولم تظهر من جديد الا بعد ان اتصل بالقرآن ، ولبى اشواقه الروحية والوجدانية والشعورية واخرج كتاب ( التصوير الفني في القرآن ) . وكان هذا في ايامه الاخيرة في مدرسة العقاد ، عندما اوشكت علاقته به على الانتهاء !

---

(٩٤) كما اخبرني الاستاذ محمد قطب . انظر المقالة في (الرسالة) السنة الرابعة عشرة . المجلد الاول . عدد ٦٦٣ تاريخ ١٨ مارس ١٩٤٦ ، صفحات ٢٨٩ ـ ٢٩١ .

(٩٥) كما اخبرني الاستاذ محمد قطب .

## ... في الصحف والمجلات

بدأت علاقة سيد قطب بالصحف والمجلات في وقت مبكر من حياته ، وساعد على اتصاله بها خاله ( أحمد الموشي ) الذي كان يشتغل بالتدريس والصحافة اذ بواسطته تعرف سيد عليها ، كما ساعد على اتصاله بها علاقته المبكرة بالعقاد ، الذي كان يشرف على عدد من الصحف ويكتب في عدد آخر .

بدأ اشتغال سيد بالصحافة عام ١٩٢١ ، وأول مقال نشره كان عن ( طرق التدريس ) وكان في صحيفة ( البلاغ ) اليومية(٩٦) .

واستمر اتصال سيد قطب بالصحف والمجلات ، اذ كتب فيها عندما كان طالبا في مدرسة المعلمين الاولية ، وفي تجهيزية دار العلوم ، وفي كلية دار العلوم ثم بعد ان تخرج من الكلية وعمل موظفا في وزارة المعارف ، وصار يراسل المجلات وينشر فيها مقالاته وهو في امريكا ، ثم بعد ان عاد من امريكا واستقال من الوزارة ولم تنقطع صلته بالمجلات الا بعد ان ادخل السجن عام ١٩٥٤ .

لم يكن عمله في هذه المجلات على حالة واحدة : فبعضها كان يعمل فيها موظفا يتناول مرتبا شهريا حيث يحرر فيها صفحة ادبية ، وكان عمله في صحيفة ( الاهرام ) وصحيفة ( البلاغ ) من هذا القبيل .

وبعضها كان يكتب فيها المقالات اليومية أو الاسبوعية بدون اجر ، ويكفيه ان تفسح المجلة لمقالته صفحاتها ، ليقرأ الناس آراءه ، وكانت غالبية مقالاته من هذا القبيل ، كمقالاته في مجلات ( الاسبوع ) و (الوادي) و ( كوكب الشرق ) و ( الرسالة ) و ( الدعوة ) و ( الاشتراكية ) وغيرها .

وبعضها كان يتولى فيها رئاسة تحرير المجلة والاشراف عليها ، وكتابة عدة مقالات في العدد الواحد مثل مجلات ( الفكر الجديد ) و ( العالم العربي ) و ( الاخوان المسلمون ) .

---

(٩٦) الاسبوع ـ السنة الاولى ـ عدد ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤ ، صفحة ١٤ .

كانت اول مقالات سيد قطب ظهورا ، في الصحف والمجلات التابعة لحزب الوفد لان خاله كان وفديا ، واستاذه العقاد كان وفديا ، وهو نفسه انضم الى حزب الوفد منذ صغره • كتب في صحف ومجلات الحزب كلها ، وبما ان منها مجلات ادبية واخرى سياسية ، فقد كتب فيها المقالات السياسية والادبية والتربوية ونشر فيها قصائده الشعرية !

في عام ١٩٣٤ حدثنا أحد قرائه عن اول نتاج له قائلا : ( فقد قرأته من ثلاثة عشر عاما شاعرا في صحيفة « الحياة الجديدة » ثم قرأته بعدئذ شاعرا وكاتبا في البلاغ ، ثم ها انا الان اقرأه شاعرا وكاتبا في الاهرام والاسبوع )(٩٧) •

ويخبرنا سيد عن بعض المجلات التي كان ينشر فيها ، حيث نشر ( نثرا ونظما منذ عام ١٩٢٤ بالبلاغ اليومي والاسبوعي وكوكب الشرق والوادي والمصور وسواها من الصحف )(٩٨) •

لم يكن سيد قطب ـ كما قلنا ـ متفرغا لعمله الصحفي ، بل كان يجمع بين الصحافة والدراسة والنشر والنظم ، وهذا ما رفعه في أعين الادباء في تلك الفترة ورأوا فيه همة ونشاطا عجيبين ، وذكاء ونبوغا بارزين ، وتوقعوا له مستقبلا عظيما !

من هؤلاء علي أحمد عامر الذي كتب مقالة في ( الاسبوع ) يبين فيها بعض ملامح سيد قطب ، ويظهر فيها بعض نواحي نبوغه • ويقول متحدثا عن مقالات سيد النقدية والادبية التي ينشرها في الصحف ، ويجد فيها الادباء طلبتهم : « فقد طالما دفعته الدنيا الى ملابسة الرجولة بينما هو في بداية مراحل الشباب • وقد طالما اسرفت حقائق الحياة معه • فآذنت له ان يجمع اعصابه على موازنات في الادب والشعر والنقد • كان قراء الصحف ينصرفون اليها مغتبطين ومؤمنين انهم ملاقون فيها شيخا كشفت تجاريبه وجوه الاشياء جميعا • وكشفت السنون الطويلة له خبايا الناس وطوايا الفنون » •

---

(٩٧) الاسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ • صفحة ٨ •
(٩٨) الاسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد ٤٣ تاريخ ١٩٣٤/٩/١٩ • صفحة ٩ •

ويصوره لنا في عمله اليومي : « ولو انهم أبصروا به تلميذا يقتعد اريكته في حجرة الدراسة باحثا عن ( خبر كان ) منقبا عن ( غزوة احد ) كادحا وراء ( فقه اللغة ) دائبا على مصاولة الشعراء العباسيين لاسلافهم من شعراء امية ·· ولو انهم بصروا به متحفزا يثب الى مكتبه في الليل يستذكر الدرس ، ثم يكتب رسالة الغد الى الصحيفة التي يعمل فيها ، ثم يفشي بين المرحلتين سر نفسه في قصيدة يطويها الى صدره حتى يؤذن لها ان تذوع ·· ولو انهم بصروا به في هذه المشاهد التي يؤلف ما بينها التناقض ·· لانكروا على ابن الخامسة عشرة ان يقول الشعر ، ولانكروا على ابن المدرسة ان يكابد التحرير ·· ولكنه سيد قطب طراز وحده في ادباء الشباب ·· !

ويبين طريقة في الكتابة قائلا : ( في هذا الهيكل الناحل · وفي تلك الابتسامة الخاطفة وفي هذا الرأس الدقيق تأتلف جماعة من القوى الصاخبة ، ولكنها لا تلبس قفاز الملاكمة الا حين يكون ملقيا همه في زمرة من الورق الابيض يجري عليها بقلمه فاذا السطور السوداء رسالات من دخائل الحياة )(٩٩) ·

من المجلات التي كان يكتب فيها في العشرينيات ــ وهو لما يتخرج من الكلية ــ مجلات البلاغ ، والجهاد ، البلاغ الاسبوعي ، والوادي ، والحياة الجديدة ، والاهرام ، والمقتطف وغيرها ·

وفي الثلاثينيات بقي يكتب في هذه المجلات ، واضاف اليها المجلات التي صدرت في هذا الوقت مثل : كوكب الشرق ، وروز اليوسف ، وابوللو ، والامام ، والاسبوع ، والرسالة ، والثقافة ، ودار العلوم ·

وفي الاربعينيات استمر يكتب في المجلات التي بقيت منها مثل : الرسالة والثقافة ، ودار العلوم ، واضاف اليها المجلات التي صدرت في هذه الفترة مثل : الكاتب المصري ، والكتاب ، والسوادي ، كما اشرف في هذه الفترة على مجلتي ( الفكر الجديد ) و ( العالم العربي ) ·

---

(٩٩) الاسبوع ــ المجلد الثالث ــ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ · صفحة ٨ ·

وفي الخمسينيات وبعد عودته من امريكا · بقي يكتب في مجلات : الرسالة والثقافة ، والكتاب ، واضاف اليها المجلات التي ظهرت في هذه الفترة مثل : ( اللواء الجديد ) و (الاشتراكية) و (الدعوة) و (المسلمون) · كما اشرف على مجلة ( الاخوان المسلمون ) ·

كانت كتاباته متنوعة ، اما قصيدة شعرية غنائية ، أو مقالة ادبية ، أو نقدا لكتاب ، أو تسجيلا لمحاضرة القاها ، أو نظرة في الادب والحياة ، أو تعليقا على حوادث سياسية ، أو نقدا لمظاهر اجتماعية ، أو مقالة قصصية ، أو نقدا للفنون والاغاني أو تعليقا على محاضرة أو كلمة لاديب ، أو هجوما على مظاهر شائهة في السياسة أو المجتمع ، أو تهكما بالاستعمار وادواته في البلاد ، أو معركة ادبية ، أو اصلاحا اخلاقيا ، أو دراسة فكرية ، أو دعوة لثورة أو تغيير · وعلى العموم ما ترك سيد قطب رحمه الله مجالا من مجالات الكتابة ـ على كثرتها ـ الاخاض فيها ، وكان فيها ابن بجدتها ، وفارسها البارز ، وعندما تقرأها تقول : كأنه لا يحسن الا القول في هذا المجال · ثم تفاجأ به مبرزا في مجال آخر · وهكذا وبالقاء نظرة فاحصة على المجالات المتنوعة التي خاض فيها على صفحات المجلات العديدة يتبين صدق هذا الكلام ·

كما ان الملاحظ ان سيد قطب كان يخص كل مجلة بمقال يناسب تخصصها سواء كان سياسيا أو اصلاحيا أو ادبيا أو نقديا أو شعريا أو دينيا ·

وهذه المقالات الادبية العديدة اثارت اعجاب الادباء والمطلعين والمراقبين· ففي عام ١٩٣٤ ، وبعد ثلاثة عشر عاما من مسيرته الادبية ، كتب احد هؤلاء وهو علي احمد عامر مقالة في ( الاسبوع ) اشاد فيها بجهود سيد وبنبوغه وهمته(١٠٠) · كما سجل اعجابه بنتاجه المتعدد في هذا الوقت القصير وفي ذلك يقول : ( ولو اننا تناولنا نتاجه في ضوء عمره لدعونا الزملاء جميعهم الى اكتتاب عام يطيب لكاتب هذا الفصل ان يساهم فيه برأسه ! حتى نقيم له تمثالا في حجم صورته ونتوجه بهذه الشهادة :

---

(١٠٠) انظر صفحة ١٠٨ من هذا الكتاب ·

نشهد نحن الموقعين على هذا ان زميلنا سيد قطب من اولئك الذين أربت اقدارهم على اعمارهم ، ولكننا في مصر · مصر المحروسة بلد العقوق )[١٠١] !

واذا كان نتاج سيد قطب الوفير في فترة زمنية قصيرة من بداية حياته ، قد نال اعجاب الادباء والباحثين ، حتى قدم أحدهم هذه الشهادة فكيف بسيد قطب وقد ملأ سمع العربية وبصرها في الاربعينيات والخمسينيات · وقد استقر به المطاف في طليعة ادباء العربية وقادة النقد الادبي ، ثم بدأ مسيرته الاسلامية حتى انتهى الى ان اصبح عملاق الفكر الاسلامي الحركي · كيف تكون الشهادة اذن ؟ وكيف يكون التقدير ؟ ولكن هذا العلامة النابغة نال من الاهمال والاساءة والعقوق ما لم ينله اديب أو مفكر في القديم ولا في الحديث ، حيث ازهقت روحه لانها ابت الخنوع والخضوع ، وعومل معاملة اقسى من معاملة المجرمين ! ولا عجب ( فنحن في مصر المحروسة · بلد العقوق ) !

لقد تمتع سيد قطب بهمة فائقة ، وطاقة عجيبة ، ونفس قوية ، وافكار دانية ، واسلوب محكم ، وصبر دائب ، وقلم مطاوع لا يستعصي ، ولولا هذه الميزات لما استطاع ان يقدم هذا النتاج الوافر الغزير · فها هو في بداية حياته الادبية يتمكن من التوفيق بين الدراسة بمتطلباتها الكثيرة ، ومناقشاته وندواته الادبية مع الاخرين وكتابة مقالاته وارسالها الى الصحف ، ونظم اشعاره ، وتنمية ثقافاته واطلاعاته ، واستمتاعه بخيالاته واحلامه ورؤاه ، ووفائه بواجباته الأسرية والاجتماعية !

وهو في الثلاثينيات يجمع بين وظيفته كمدرس ـ وهي تأخذ من وقته الكثير ـ ووظيفته في مجلة البلاغ ـ وتأخذ كذلك من وقته الكثير ـ ويكتب مقالات مطولة في مجلات اسبوعية منتظمة ، في البلاغ والاسبوع وكوكب الشرق والرسالة ، بانتظام ·

وفي الاربعينيات يكتب مقالات اسبوعية منتظمة في : الرسالة والثقافة ومقالات في مجلات شهرية مثل : الكاتب المصري والكتاب ودار العلوم والمقتطف ، ويشرف على مجلة العالم العربي أو الفكر الجديد ، ويطلع على كل مؤلف جديد في السوق ، أو يتابع افكار أديب بقراءة كتبه

---

(١٠١) الاسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٥ تاريخ ١٩٣٤/٧/٢٥ · صفحة ٨ ·

ومقالاته في الدوريات ، أو يخلو الى نفسه لينظم قصيدة ، أو يعد بحثا من بحوثه الادبية أو الفكرية • بالاضافة الى عمله في وزارة المعارف •

وفي الخمسينيات كان يكتب في مجلات الدعوة والاشتراكية واللواء الجديد ، مقالات ثورية بالاضافة الى مقالاته الشهرية في الكتاب والمسلمون • أو يقوم باعداد بحث فكري ، أو يلقي محاضراته في المجامع والنوادي أو يقوم بواجباته العملية مع جماعة الاخوان المسلمين ، أو يستعير الكتب والمراجع لتنمية ثقافاته ! ويقدر على النهوض بكل هذه الواجبات ! حقا ان هذا لعجيب ولكن :

واذا كانت النفوس كبارا        تعبت في مرادها الاجساد

تعتبر مقالاته المختلفة في المجلات سجلا أمينا لحياته الادبية والفكرية وبالاطلاع عليها نتعرف على مراحل حياته ، وندرك تطور اهتماماته اولا ، وتطور اسلوبه وافكاره ونظراته ثانيا • كما نتعرف على شخصيته ونتلمس ملامحها في مختلف المراحل •

وانها لخدمة عظيمة للادب والفكر ، ولتراث هذا العلامة الجليل ، واعترافا بفضله واستاذيته ، ان يقوم احد الباحثين بتتبع مقالاته تلك في مختلف المجلات التي كانت تصدر ما بين ١٩٢٠ و ١٩٥٤ ، وتصنيفها وترتيبها حسب تاريخ صدورها فانه سيخرج بنتائج جديدة للادباء والمفكرين • وستعينه على دراسة شخصية سيد قطب دراسة وافية من كافة النواحي[١٠٢] •

بعد تتبعي لمقالاته في مجلة ( الرسالة ) من حين صدورها عام ١٩٣٤ الى توقفها عن الصدور عام ١٩٥٢ ، وبتصنيفها حسب موضوعاتها ، وجدتها :

من سنة ١٩٣٣ ـ ١٩٣٧ قصائد شعرية وبعض المقالات الاجتماعية •

في سنة ١٩٣٨ في الاعداد ٢٥١ ـ ٢٨٢ معركته الادبية الشهيرة ضد الرافعي نصيرا للعقاد •

من سنة ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ تركزت على نقد الاغاني والالحان وتخللها بعض القصائد والمقالات الاجتماعية •

---

(١٠٢) ارجو الله ان يعينني على القيام بهذه المهمة •

وفي سنة ١٩٤٣ معركته الادبية ضد الدكتور محمد مندور حول الادب المهموس والادب الخطابي ٠

في سنة ١٩٤٤ مقالات نقدية وبيان لمذاهب فنية كمذهب العقاد والحكيم كما تخللها مناقشات بينه وبين دريني خشبة وزكريا ابراهيم ٠

وفي نهاية عام ١٩٤٤ وبداية عام ١٩٤٥ مقالات نقدية لكتب وقصص ودواوين ومعركة ادبية ضد صلاح ذهني حول القصة وقصص محمود تيمور ٠

في النصف الاول من عام ١٩٤٥ معركة ادبية ضد عبد المنعم خلاف حول كتابه ( التصوير الفني في القرآن ) ٠

من عام ١٩٤٥ ــ ١٩٤٧ اهتمام بالقضايا الوطنية والاحداث السياسية والمشاكل الاجتماعية ، وتركيز عليها مع بعض المقالات النقدية ٠

في الفترة ما بين ١٩٤٨ ــ ١٩٥١ انقطاع عن الكتابة قبل ذهابه الى امريكا بسنة وطيلة وجوده هناك ٠

من عام ١٩٥١ ــ ١٩٥٢ بعد عودته من امريكا اصبح كاتب الرسالة الاول يكتب المقال الاول فيها ، ويهتم بالقضايا والاحداث السياسية والامراض الاجتماعية ويعالجها من وجهة نظر اسلامية وبيان لافكار اسلامية مع بعض المقالات الادبية ٠

خاض سيد قطب على صفحات المجلات معارك ادبية حامية ، بشجاعة بالغة واثبت قدراته الادبية والنقدية الفائقة ، ومن هذه المعارك التي تمكنت من الاطلاع عليها :

١ ــ معركته ضد جماعة ابوللو ، التي خاضها عام ١٩٣٤ على صفحات مجلة الاسبوع بحجة قوية واسلوب محكم ، حتى ان بعض الادباء شك في انها من نتاج سيد قطب نفسه ، فعزاها الى استاذه العقاد ، وزعم انه آثر ان يوقعها باسم تلميذه(١٠٣) ٠

---

(١٠٣) انظر الاسبوع اعداد : ٣١ ــ ٣٦ من السنة الاولى عام ١٩٣٤ ٠

٢ ــ معركته ضد الرافعيين عام ١٩٣٨ والتي أخذت وقتا طويلا ، وسودت صفحات كثيرة من مجلة الرسالة ، وكان فيها وحده ، ضــد جماعة من كبار الادباء ، مما جعل الانظار تتجه اليه مشدوهة(١٠٤) ٠

٣ ــ معركته ضد الدكتور محمد مندور حول الادب المهموس والادب الخطابي على صفحات الرسالة عام ١٩٤٣(١٠٥) ٠

٤ ــ معركته ضد الدكتور طه حسين التي خاضها على صفحات مجلة ( العالم العربي ) التي كان يشرف عليها حول ( الادباء الشيوخ والادبـاء الشبان ) حيث وجه سيد اليهم اتهامات عنيفة صارخة ورد عليه طه حسين في مجلة ( الهلال ) عام ١٩٤٧(١٠٦) ٠

٥ ــ معركته ضد صلاح ذهني في ( الرسالة ) حول الاساليب الفنية في كتابة القصة ، وقصص محمود تيمور عام ١٩٤٤(١٠٧) ٠

٦ ــ معركته ضد عبد المنعم خلاف في ( الرسالة ) حول كتابــه ( التصوير الفني في القرآن ) عام ١٩٤٥(١٠٨) ٠

٧ ــ معركته ضد اسماعيل مظهر وعبد الله القصيمي عند ظهور كتاب الاخير ( هذه هي الاغلال ) عام ١٩٤٧(١٠٩) ٠

٨ ــ مناوشات خفيفة بين الحين والاخر ، بينه وبين بعض الادباء مثل : زكريا ابراهيم ، وعباس خضر ، واحمد فؤاد الاهواني وغيرهم(١١٠)٠

هذا عدا المعارك الادبية الاخرى التي لم اتمكن من الاطلاع عليها !!

اتفق سيد قطب مع يوسف شحاته ــ وهو رجل نصراني ــ على أن يمول هذا الاخير مجلة باسم ( العالم العربي ) وان يتولى هو الاشراف عليها ٠ وقد رسم سيد في الصفحة الاولى من العدد الاول برنامجها ومنهاجها

---

(١٠٤) انظر الرسالة اعداد : ٢٥١ ــ ٢٨٢ من السنة السادسة عام ١٩٣٨ ٠

(١٠٥) انظر الرسالة اعداد : ٥٢٠ ــ ٥٢٦ من السنة الحادية عشرة عام ١٩٤٣ ٠

(١٠٦) انظر العالم العربي عدد ٥ من السنة الاولى عام ١٩٤٧ وفق ١٣٦٦هـ ٠

(١٠٧) انظر الرسالة اعداد : ٥٨٥ ــ ٥٩٤ من السنة الثانية عشرة عام ١٩٤٤ ٠

(١٠٨) انظر الرسالة اعداد : ٦١٦ ــ ٦٥٠ من السنة الثالثة عشرة عام ١٩٤٥ ٠

(١٠٩) انظر الرسالة اعداد : ٧٠٠ ــ ٧٠٢ من السنة الرابعة عشرة عام ١٩٤٦ ٠

(١١٠) انظر الرسالة ٥٠٩ ــ ٥١١ الحادية عشرة عام ١٩٤٣ ، و ٧٠٣ ــ ٧٠٤ من السنة الرابعة عشرة عام ١٩٤٦ ٠

وغايتها وخطة سيرها(١١١) • وراح ينشر فيها التحليلات السياسية حيث حدثنا علال الفاسي عن احدها قائلا : (ولقد عرفته في آخر هذه المرحلة حينما كان يشرف على مجلة العالم العربي ، وقد اخذ مني احاديث عن القضية المغربية عني بنشرها والتعليق عليها ، ثم كتبت بطلب منه بحثا عن السياسة الامريكية ازاء العرب نشر في هذه المجلة ، وكان له اثر كبير في الاوساط الاجنبية اذ ترجمه عدد كبير من المعلقين الانجليز والامريكان(١١٢) •

لم يستمر سيد في عمله في هذه المجلة ، اذ تنحى عنها بعد صدور العدد الرابع منها ، لأسباب لا نعرفها ، حيث نشر رئيس تحريرها الجديد محمد العزب موسى في مفتتح العدد الخامس كلمة تحت عنوان ( ايضاح لا افتضاح ) قال فيها : « كان يضطلع باعباء رياسة التحرير لهذه المجلة الاستاذ سيد قطب يعاونه نخبة من الكاتبين وصفوة من كرام الباحثين ، وعلى يديه ولدت هذه المجلة وقطعت من العمر اربعة اشهر ممثلة في اربعة اعداد • وجدت امور بعد ذلك ، اوجبت ان يستقيل الاستاذ ، أو يتنحى عن المضي في الاشراف على غرس يده ، وموالاة الرعاية لهذا النبت ولم يتم نماؤه بعد »(١١٣) •

ثم اتفق سيد قطب بعد ذلك مع الحاج محمد حلمي المنياوي ـ صاحب دار الكتاب العربي ومن جماعة الاخوان المسلمين ـ على ان يمول مجلة باسم ( الفكر الجديد ) ويكون سيد قطب هو المشرف عليها • « وكان ذا ميول اسماها يومذاك بالاشتراكية » « وكان خط سير المجلة الهجوم على الاقطاع وهو في عنفوانه وتبكيت ( الباشوات ) وهم في اوج المجد والسلطة ، وتحدي الرأسمالية وهي التي تحكم مصر يومذاك »(١١٤) •

غضب عليه الملك فاروق ، على أثر اصداره المجلة وضاق ذرعا به ، وطالب باعتقاله ، بل قيل انه ( دس اليه من يطلق عليه النار ، ولكن اخطأه الرصاص !! ونجا من محاولة الاغتيال )(١١٥) • ولكن رئيس الوزراء وكانت له بسيد قطب صلة عندما كان سيد في حزب الوفد ، أوحى اليه

---

(١١١) انظر بيانه لمنهاج المجلة فيها : العدد الاول ـ ٨ جمادى الاول ١٣٦٦ ص ١ •
(١١٢) الشهيد سيد قطب لطائفة من الكتاب : ١٤ •
(١١٣) العالم العربي ـ العدد الخامس ـ ٢٣ رمضان ١٣٦٦ ـ صفحة ٤ •
(١١٤) مقالة الاستاذ يوسف العظم في ( الشهيد سيد قطب ) ٢٦ •
(١١٥) الدكتور عبد الله عزام في مسودة بحثه عنه •

أن يسافر الى امريكا(١١٦) • واغلقت المجلة بعد صدور اثني عشر عددامنها•

ولما عاد من امريكا ، صار يكتب في ثلاث مجلات ـ بالاضافة الى المجلات الاخرى ـ وكانت مقالاته فيها عنيفة وثورية ، وهي مجلات : ( الدعوة ) التي يصدرها الاخوان المسلمون ، و ( الاشتراكية ) التي يصدرها أحمد حسين زعيم الحزب الاشتراكي و ( اللواء الجديد ) التي يصدرها فتحي رضوان احد شباب الحزب الوطني • وكان اعنفها واشدها مقاله في ( الاشتراكية) واخفها الذي في ( الدعوة )(١١٧) وكثيرا ما كانت الرقابة تمنع صدور المجلة بسبب مقاله أو تصدر وهي خالية بعد حذفه(١١٨) • وكان يحقق معه ثلاث مرات في الاسبوع على مقالاته في المجلات الثلاث ، وقد حاز سيد في هذه الفترة ـ بسبب مواقفه ومقالاته ـ اعجاب الجميع • واعتبر من الممهدين للثوة التي قامت بعد ذلك •

وبعد قيام الثورة ، وقبيل محنة الاخوان المسلمين ، اسند اليه مكتب الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين ، الاشراف على مجلة الاخوان المسلمين ، وقام بعمله بجدارة • الا انها لم تعمر طويلا ، اذ صدر منها اثنا عشر عددا ثم وقعت المحنة(١١٩) •

لقد قدم سيد قطب في المجلات المتعددة التي فتحت صدرها له نتاجا وافرا غزيرا ، متعدد الجوانب منه الادبي والنقدي والشعري والفلسفي والاجتماعي والسياسي والاصلاحي والاسلامي وغير ذلك ، ولو جمع هذا النتاج وصنف تصنيفا ببليوجغرافيا ـ حسب الموضوعات ـ لكان مساويا في حجمه كتبه الادبية المطبوعة !! وان في جمعه ونشره ـ رغم ما به من آراء تخلى عنها صاحبها في اخريات ايامه ـ لخدمة عظيمة للادب والثقافة وللادباء والعلماء ، وكشفا لكثير من مواهب هذا العلامة الجليل ، واضافة جديدة الى المكتبة الادبية والثقافية والسياسية من تراث هذا النابغة ، واظهارا لصفحات منسية مجهولة من سجله الثقافي ، لم يطلع عليها كثير من الباحثين(١٢٠) •

---

(١١٦) انظر صفحة ١٢٠ من هذا الكتاب •

(١١٧) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •

(١١٨) انظر على سبيل المثال الدعوة عدد ٤٨ تاريخ ١٥ يناير ١٩٥١ صفحة ٣ وعدد ٥٠ تاريخ ٢٩ يناير ١٩٥١ صفحة ٣ •

(١١٩) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب •

(١٢٠) ارجو الله ان يعينني على القيام بهذه المهمة ، لا سيما وقد قطعت في ذلك اشواطا !

## المرأة في حياتـــه

أحب سيد قطب مرتين في حياته : المرة الأولى عندما كان في قريته ، وقبل أن يغادرها الى القاهرة ، كانت فتاته تربطها به صلة مصاهرة بعيدة ، حيث كانت ابنة عم زوجة عمه ، وقد أعجبت برجولته وشجاعته ونخوته ، عندما كان يقف مدافعا عن الفتيات حينما يعتدي عليهن أحد طـلاب المدرسة بالكلمـة أو الاشارة ، وكانت تزوره في البيت ، مـع صويحباتها الطالبات بحجة اللعب مع شقيقته الصغيرة · ووقعت محبتها في قلبه كما أحس أنها هي الأخرى تبادله نفس الشعور ·

حدثنا سيد عن أوصافها ، وما حببها اليه قائلا : «كانت خمرية اللون ذات طابع خاص غير مكرر في الوجوه ··· ولم تكن حسب مقاييس القرية جميلة ، فليست بيضاء البشرة ، وليس أنفها دقيقا بالقدر المطلوب ، وليس فمها كذلك (خاتم سليمان) ··· ولكنها هي وحدها من بين بنات المدرسة بل من بين بنات القرية جميعا كانت تبدو في نظره جميلة ، وكان سر جمالها عنده أنها ذات طابع خاص ! وان لم يكن يدرك في ذلك الحين معنى الطابع الخاص»(١٢١) ·

وبعد غيبة ثلاثة أعوام في القاهرة ، كان أول ما قام به في القرية عند وصوله اليها هو : (السؤال عن مصير الطفلة التي فتنته أول مرة · وعلم أنها تزوجت وأنها تزوجت في جهة نائية عن القرية · ورأى نفسه في حاجة لأن ينسحب من الجمع ، ورأى عينيه تتغرغران بالدموع) !

المرة الثانية : عندما شب وتخرج مـن الكليـة ، وعمـل في وزارة المعارف ، وفي أواخر الثلاثينيات ، كانت فتاته بنتا قاهرية ، ملامحها تكاد تشبه بنت قريته ، فهي «لم تكن ممن يحسبهن العرف جميلات ، كان تكوينها الجسدي ـ اذا استثنينا صدرها الفاتن ـ ليس ممتازا ، ولكن كانت هناك في وجهها جاذبية ساحرة ، كانت خمرية اللون واضحة الجبين، وفي عينيها وهج غريب تطل منه اشراقة مسحورة»(١٢٢) ·

---

(١٢١) طفل من القرية : ٥٥

(١٢٢) اشواك : ٤١ ·

وبعد أن أحب سيد فتاته وبادلته هي حبا بحب ، تقدم لخطبتها من أهلها وقد بنى في أحلامه عش الزوجية·وكانت تصغره بعشرة أعوام(١٢٣)·

ولكن في ليلة الخطبة ، وعندما تناول يدها ليلبسها خاتم الخطوبة : «أحس بيدها ترتعش ملتصقة في يده،ونظر فاذا دمعة تند من عينيها»(١٢٤) وأحس بأن أحلامه قد تلاشت اذ طلع عليها نهار الواقع المر المؤلم · وبعد الحاحه في سؤاله عن سر دمعتها ، اعترفت له بأنها قبل أن تتعرف بـه كانت تعيش قصة حب مع ابن جيرانها الضابط في الجيش ·

بعد معرفة هذه الحقيقة تعذب سيد قطب وفتاته عذابا مضنيا ، لا هو يقدر على أن يتزوجها لأنها لم تعد «عذراء القلب» وهو يتطلب (في فتاة أحلامه مفارقات لا تجود بها الحياة ، يتطلب الحورية القاهرية المغمضة العينين ، يتطلب الفتاة العذراء القلب والجسد في زي قاهري)(١٢٥) · ولا هو قادر على فراقها لأن محبتها نقشت على سويداء قلبه وظللت سماء حياته ·

وعاشا سنوات في هذه الحيرة ، وهذا العذاب ، وسارا طويـــلا في الأشواك وكانت تجري فصول مأساتهما في أيام الحرب العالمية الثانية(١٢٦)· واتخذ سيد قطب من حرمانه وعذابه مادة لقصائده الشجية التي راح ينشرها على صفحات المجلات ·

ومن أروع قصائده التي قالها فيها في هذه المرحلة ، قصيدة (الكأس المسمومة) التي قال فيها :

أقـلاك أقـلاك كالشيطان أقـلاك ... أقـلاك كـالسم يسري جد فتاك

أقلاك انـك في نفسي وفي زمنـي ... وفي حياتـي أفعـى ذات أشواك

سممت عيشي وأحلامـي وأخيلتي ... وأنت شيطانـة في سمت أمـلاك

---

(١٢٣) اشواك : ١٠ ·

(١٢٣) المرجع السابق : ١٠ ·

(١٢٤) المرجع السابق : ٧ ·

(١٢٥) المرجع السابق : ٧٠ ·

(١٢٦) المرجع السابق : ٧٤ ·

وعشت أرعاك في قلبي وأنت بـلا      قلب يحس ويرعى كيف أرعـاك
مـن أنت ما أنت اني حائـر قلق      أأنـت أسطورة في كـف أفـاك
أنسى الليالي التي قضيتها قلقـا      وأنـت ساكنـة راض محيـاك
أنسى الدموع التي أرسلتها غدقا      ولست لولا هواك المـر بالباكـي
وكبريائي التي مـا كنت أخفضها      مـن قبـل أو بعد في دنياي لولاك
أنسى وأذكـر أحلامـي وأخيلتي      كـأنهـن نجـوم بـين أحـلاك
وكلهن نسيج الوهـم في خلدي      ولسـن غير احابيـل وأشـواك
أقلاك ؟ ليت ! فاني لست أقلاك      أهواك ؟ ليت ! فاني لست أهواك
أهـوى وأقلـي وأيامـي موزعـة      بين الهوى والقلى كالضاحك الباكي
هذا الرحيق وهذا السم قد مزجا      ولست أروى بكـأس غير ريـاك
هاتي لـي السم صرفا لا يمازجـه      هذا الرحيق فاني لست بالباكي
مللت كـأسك لا ألتذ نشوتهـا      ولا احطمها تحطيم سفـاك(١٢٧)

وبعد معاناة شديدة قرر فسخ الخطوبة ، علمه يسلو ، ولكن لم يزده البعد الا شوقا ، ولم يزده الحرمان الا حنينا ، وكان يحاول ان يعود اليها ولكن «كانت كبرياؤه تأبى عليه أن يعود ، وكانت مرارة الذكرى تطغى على حلاوتها في معظم الأحيان • وكانت تجربته تذكره دائما بالآلام • ولكن هذه التجربة وتلك الكبرياء لم تكن واحدة منهما بمستطيعة أن تصرف طيفها عنه ، أو تمحو صورتها من نفسه»(١٢٨) وبعد فترة ظن انه نسيها : (واحس فيها حقيقة بأن عالمه قد خلا من تلك الأسطورة اللعينة ، ولكنه لم يسترح لهذا الاحساس ، لقد شعر بالفراغ والجفاف وانتابه ما ينتاب المؤمن بعد الالحاد وما يصيب الصوفي بعد الضلال••)(١٢٩) • وقال في هذه الفترة عدة قصائد منها « تطهير الصنم » « وعبادة جديدة » «وحب الشكور » « ونهاية المطاف » •

(١٢٧) الرسالة ـ السنة الحادية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٢٩ تاريخ ٢٣ اغسطس ١٩٤٣ صفحة ٦٦٩ •

(١٢٨) اشواك : ١١١ •

(١٢٩) المرجع السابق : ١١٢ •

ونختار فيما يلي مقاطع من قصيدته (نهاية المطاف) التي يقول فيها :

قد مضى الحلم فحقق في العيـان ... هـل ترى الا خـواء في الزمـان
وتهـاويـل الرؤى يـا ويحهـا ... غالهـا الصحو فماتت منذ كـان
نـم قرير العين ان كنت تنـام ... لفـك الصمت وغشـاك الظـلام
يأمـن الدنيـا ويخلـو للكـرى ... معـدم الكفـين مفقـود الحطـام
قد خلا الهيكـل مـن وحي الصنم ... وغـدا معبـودك الأسنـى حطـم
أتطيـق الأن تحيـا ملحـدا ... أم تـرى تخلـو لشيطـان الندم
ضقت بالخوف ودنيـا الاضطراب ... أتـرى الأمـن هنـا بـين اليباب
ايهـا المنكـوب في احـلى المنـى ... الحيـاة الحـب والحـب العذاب

الى أن يقول :

أيـن أحلامك بالعشـ الجميـل ... أيـن آمالـك بالظـل الظليـل
قـد مضى الحلـم وولى موهنـا ... فاركـن الآن الى الصحو الطويـل
تـم يـا منكود ما كنـت تـروم ... ومشى السلوان في الحب القديـم
نـم قريـر العـين واهنأ بالكرى ... الكرى الميت في القلب العقيم(١٣٠)

وبعد مضي ما يزيد على عام من فسخ الخطوبة ، قرر سيد ارجاعها والاقتران بها ، لأنه لم يطق صبرا على فراقها ، وذهب الى بيتها ، لكنها لم توافقه على رأيه وعللت معارضتها بقولها : «أنت رجل شاعر فلتمض الى عملك الأدبي كفنان ! قال – وقد حسب أنها تتجمل ولا تنوي ما تقول – لا يا سيدتي ٠ ان كان الشعر لا ينضجه الا الحرمان فأنا سأطلق هذا الشعر من الآن»(١٣١) ! ٠

وبعد أن انتهت علاقتهما بالفراق راح سيد يسأل نفسه «تراه أخطأ الطريق فطلب الحورية العذراء في بنت من بنات القاهرة ٠ أم تراه أخطأ الطريق من أوله فطلب حياة زوجية لا تصلح له بحال»(١٣٢) ؟

(١٣٠) الرسالة – السنة الثالثة عشرة – المجلد الثاني عدد ٦٣١ تاريخ ١٦ اغسطس ١٩٤٥ صفحة ٨٤٩ ٠
(١٣١) اشواك : ١٢٣ ٠
(١٣٢) المرجع السابق : ٧٠ ٠

وقد ألف قصته الرومانسية «أشواك» وفيها تسجيل لقصتهما ، وقدمها هدية لها ، وقال في الاهداء : (الى التي خاضت معي في الأشواك فدميت ودميت وشقيت وشقيت ، ثم سارت في طريق وسرت في طريق : جريحين بعد المعركة لا نفسها الى قرار ولا نفسي الى استقرار ...)[١٣٣].

وقد تزوجت هي من بعده ! أما هو فقد قام بعدها بأكثر من محاولة للخطبة فالزواج ، ولكنه لم يوفق في جميعها الى ما يريد[١٣٤] ! ثم أدخل السجن ولقي ربه شهيدا .

---

(١٣٣) اشواك : ٥

(١٣٤) كما اخبرني الاستاذ محمد قطب .

# سيد قطب في أمريكا

كان ايفاده الى أمريكا عملية سياسية للتخلص منـــه أولا ! ثــم للحيلولة دون اعتقاله كما طلب الملك فاروق ! وذلك أن الحرب العالمية الثانية ، وما أحدثته من مآس بين أفراد الشعب المصري ، وشروخ في بنيان المجتمع ، جعلت سيد قطب يميل في مقالاته نحو معالجة هذه المشكلات ، وصار يغلب على تلك المقالات الطابع السياسي والاجتماعي والانتقادي ، وقد تمتع سيد بأسلوب حاد عنيف في هجومه وانتقاده ، وكانت المجلة الجديدة التي اتخذها ميدانا رئيسيا له ـ بالاضافة الى مجلاته السابقة ـ هي مجلة (الفكر الجديد) التي مولها المنياوي وترك لسيد الحرية الكاملة في كتابة ما يريد !

ضاق الملك فاروق ذرعا به ، وأوعز الى رئيس الوزراء باعتقاله ، ولكن رئيس الوزراء كان يحب سيد قطب يوم كان معه في حزب الوفد ، فأوحى اليه أن يخرج من البلاد وطلب من الدكتور عبد الرزاق السنهوري وزير المعارف أن يهيء له وسيلة الخروج ولكن سيد قطب ساءه هذا ولم يوافق على السفر ، واستغرب كيف يضيق به وطنه ويحال بينه وبـين محاولات اصلاحه · حينئذ منع من الكتابة في الصحف · وأغلقت الحكومة مجلة (الفكر الجديد) · وأمام هذا التضييق لم يجد سيد بدا من السفر

وبما أنه كان يعمل في وزارة المعارف في مديرية التفتيش الفني ، لذلك هيئت له مهمة تتناسب مع عمله · فتم ايفاده في بعثة (لدراســة المناهج التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية) كما قال هو[١٣٥] · ولم تكن بعثة دراسية للحصول على الماجستير كما ظن بعض من كتبوا عنه ، وانما كانت بعثة عملية يقوم فيها بزيارة مختلف الجامعات والمعاهد العلمية هناك حيث يطلع على مناهجها الفنية في التربية والتعليم ، ليطبقها على وزارة المعارف عند عودته · كما لم تكن بعثته محددة بزمن معين ، وانما كانت مدتها مفتوحة تنتهي بانتهاء دراساته الميدانية ، فقد كان أمر انهائها بيده هو ، يعود متى شاء[١٣٦] ·

---

(١٣٥) اثبت هذا مصطفى العالم نقلا عن سيد قطب في (الشهاب) السنة السادسة العدد التاسع أيلول ١٩٧٢ صفحة ٨ ·

(١٣٦) افادني بهذه المعلومات الاستاذ محمد قطب ·

وكانوا يهدفون – بالاضافة الى ابعاده عن القاهرة – الى تغيير أفكاره وتثقيفه بالثقافة الأمريكية وتجنيده لخدمة أمريكا ، عندما يعود الى مصر ، حيث كانت أمريكا تخطط لمصر ، وتعد أناسا من قادة الفكر والرأي من المصريين ليكونوا أداة لها في التنفيذ ، ولذلك وضعوا لسيد برنامجا مدروسا لافساده أخلاقيا وفكريا ونفسيا ، ليعود أداة طيعة في أيديهم ، كغالبية المبتعثين اليهم ، ولكن خاب مسعاهم في هذه المرة ، لأن الله رسم له منهجا آخر ، ونقل خطاه فيه ! (ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين)[137] .

غادر سيد قطب مصر الى أمريكا في أواخر عام ١٩٤٨[138] ، على ظهر باخرة عبرت به البحر والمحيط ، وهناك على ظهر الباخرة أومض في قلبه نور اضاء جوانحه قال عنه : (أخذتني نشوة ألقت بي في شعاع من نور اطمأن له قلبي واستراحت له نفسي ، واطمأننت اليه ايما اطمئنان) .

وبعد اغفاءة قصيرة راح يخاطب نفسه : «أأذهب الى أمريكا وأسير فيها سير المبتعثين العاديين الذين يكتفون بالأكل والنوم ، أم لا بد من التميز بسمات معينة ؟! وهل غير الاسلام والتمسك بآدابه والالتزام بمنهاجه في الحياة وسط هذا المعمعان المترف المزود بكل وسائل الشهوة واللذة والحرام ؟! وأردت أن أكون الرجل الثاني وأراد الله أن يمتحنني : هل أنا صادق فيما اتجهت اليه أم هو مجرد خاطرة ؟ .

كان ابتلاء الله له ، بعد دقائق من اختياره طريق الاسلام ! اذ ما أن دخل غرفته (حتى كان الباب يقرع ، وفتحت ، فاذا أنا بفتاة هيفاء جميلة فارعة الطول شبه عارية ، يبدو من مفاتن جسمها كل ما يغري . وبدأتني بالانجليزية : هل يسمح لي سيدي بأن أكون ضيفة عليه هذه الليلة ؟ فاعتذرت بأن الغرفة معدة لسرير واحد وكذا السرير لشخص واحد . فقالت : وكثيرا ما يتسع السرير الواحد لاثنين ! واضطررت أمام وقاحتها،

---

(١٣٧) الانفال : ٣٠ .

(١٣٨) حتى نهاية اغسطس ٤٨ كان في القاهرة اذ تدخل في النصف الثاني من هذا الشهر لاخراج عباس خضر من السجن . انظر الرسالة – السنة السادسة عشرة – المجلد الثاني – عدد ٧٩٠ تاريخ ٢٣ اغسطس ١٩٤٨ صفحة ٩٦٥ .

ومحاولة الدخول عنوة لأن أدفع الباب في وجهها لتصبح خارج الغرفة ، وسمعت ارتطامها بالأرض الخشبية في الممر ، فقد كانت مخمورة)[١٣٩] .

بعد نجاحه في الابتلاء الأول قال : (الحمـد لله • هـذا أول ابتلاء وشعرت باعتزاز ونشوة ! اذ انتصرت على نفسي ، وبدأت تسير في الطريق الذي رسمته لها)[١٤٠] .

هذه الفتاة كانت الوسيلة الأولى في الخطة الأمريكية لاحتوائه • ولكن الله علم منه صدق الاختيار • اختيار جانبه فوفقه لهذا الانتصار .

واصل سيد مسيرته الجديدة ، فراح يقيم الصلاة على ظهر الباخرة ويدعو المسلمين من ركابها لأداء صلاة الجمعة • وقام هو بأداء الخطبة وامامة المصلين[١٤١] ، وعندما وصل الى أمريكا كان مثال المؤمن المتمسك باسلامه.

لم تنقطع المحاولات الأمريكية لاغرائه واغوائه ، اشار سيد الى بعض منها : مثل تلك الفتاة التي قامت بجهد كبير لغوايته ، ولاحقته من جامعة الى أخرى ومن مدينة الى أخرى[١٤٢] • وتلك الفتاة التي ناقشته في معهد المعلمين في مدينة جريلي في كولورادو ، في مسائل جنسية مكشوفة ! وعامل الفندق الذي عرض عليه تلبية ما يريد من نزوات جنسية طبيعية أو شاذة ، وأثاره بالحديث المكشوف عن عينات منها[١٤٣] • والشاب العربي الذي كان يغريه باسماعه قصصا عن مغامراته الجنسية مع الأمريكيات[١٤٤]. والممرضة التي كانت تغريه وهو في المستشفى باسماعه مواصفاتها التي تطلبها في الشخص ليكون عشيقا لها[١٤٥] • والفتاة الجامعية التي تريد أن تمحو من فكره النفور من الرذيلة الجنسية ، وتزعم أنها عمليـــة بيولوجية جسدية لا داعي لاقحامها في المعاني الأخلاقية[١٤٦] • وغير ذلك !

---

(١٣٩)(١٤٠) الشهاب العدد التاسع ـ السنة السادسة ـ أيلول ١٩٧٢ ص ٨ .

(١٤١) أنظر القصة في (في ظلال القرآن) ٣ : ١٧٨٦ دار الشروق .

(١٤٢) انظر الشهاب ـ العدد التاسع ـ السنة السادسة : ٨ .

(١٤٣) الاسلام ومشكلات الحضارة : ٧٥ .

(١٤٤) الاسلام ومشكلات الحضارة : ٧٧ .

(١٤٥) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني عدد ٩٥٩ تاريخ ١٩ نوفمبر ١٩٥١ صفحة ١٣٠٤ .

(١٤٦) الرسالة ـ نفس المرجع : ١٣٠٥ .

ولكن الله ثبته في هذه المواقف جميعها ، لأنه يعده لمهمة كبرى • واستعلى سيد قطب على الاغراء وانتصر على الافساد • وفشلت الخطة التي رسمت له •

وانعكست الآية ، فبدل أن يتأثر هو بأمريكا ويعود داعية لها ، نراه قد وجد ذاته هناك ، ووجد الاجابة على استفساراته عن الحياة وغاياتها ومهمة الفرد فيها ، راح من هناك ينظر في كتاب الله المنظور نظراته الفاحصة الدارسة ، ويقرأ في كتاب الله المسطور – القرآن الكريم – حديثه عن هذا الكون ، فالتقت النظرتان على ذاته ومشاعره ووجدانه ، واستقرت العقيدة في قلبه وغمر النور الرباني حياته وأضاء له طريقه ، فكيف تحول قوى البشرية جمعاء بين فرد وبين هذا النور ؟ وكيف تستطيع أن تكسب لصف الشر فردا فتح الله قلبه على هذه الحقائق ؟ (ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها)(١٤٧) •

راح سيد يراسل أهله في القاهرة ومعارفه وأصدقائه في الداخل والخارج يقص عليهم قصته مع الوجود ، ويحدثهم عن مذاقاته الجديدة، ويرسم لهم ملامح شخصيته الجديدة ، ويخبرهم بنظراته وأحلامه ومشاعره ، وتطلعاته وأمانيه في المستقبل(١٤٨) •

لم يكتف بثباته على مبادئه ، بل راح يدرس المجتمع الأمريكي عن كثب دراسة فاحصة ، ويسجل ملاحظاته ونتائج دراساته • وعندما نشر بعض ملاحظاته هذه فوجيء الناس بها ، وتكشفت لهم أمريكا على حقيقتها • حيث تحدث عن بعض مشاهداته هناك : قسوتهم على الضعيف ووقوف جماعة منهم أمام زميلهم الذي يحتضر وهم يسخرون منه ، وخروج الزوجة بعد وفاة زوجها مباشرة لسهرة جماعية ، وفرح زوجة أخرى لوفاة زوجها لأنه كان مؤمنا على حياته • وكشف عن حقيقة موقف الأمريكيين من الفنون وبعدهم عن الفن الانساني ، وكيفية زيارتهم للمتاحف وتذوقهم للوحات

---

(١٤٧) فاطر : ٢ •

(١٤٨) انظر مقالة ( موسيقى الوجود ) الكتاب – المجلد التاسع الجزء الرابع – ابريل ١٩٥٠ صفحات ٣٢٦ – ٣٢٨ و ( في الادب والحياة ) الكتاب – المجلد العاشر – الجزء الرابع – بريل ١٩٥١ صفحات ٣٨٩ – ٣٩٣ ، و ( اضواء من بعيد ) الكتاب – المجلد التاسع – الجزء الثاني فبراير ١٩٥٠ صفحات ١٤٣ – ١٤٥ •

الفنية المعروضة فيها ، واشترك في عدة نواد كنسية هناك ، في كل مدينة عاش فيها ، لأنها كانت تمثل ناحية هامة من نواحي المجتمع تستحق الدراسة عن كثب ومن الداخل ، وبين لنا الدافع لانشاء الكنائس ، وموقف الشعب منها ، وكشف عن انسياقها مع التيار الماجن،واستخدامها أساليب شاذة لاكتساب الزبائن وتهيئتها الأجواء لارتكاب الفواحش ودعوتها للرذيلة(١٤٩) .

لقد عرى سيد قطب المجتمع الأمريكي ـ المثل الأعلى لكثير من المثقفين في البلاد الاسلامية ـ وأبان عن مباذله ومفاسده ، وانحطاطه الخلقي والاجتماعي والانساني ، وصار : (دائم الشعور باستخسار هذا الشعب الذي يصنع المعجزات في عالم الصناعة والعلم والبحث ، ألا يكون له رصيد من القيم الانسانية الأخرى) ولذلك فهو : (شديد الاشفاق على الانسانية أن تؤول قيادتها الى هذا الشعب وهو فقير من تلك القيم جميعا)(١٥٠) !

كثيرا ما كان يهاجم أمريكا وحضارتها ومبادئها ، أثناء وجوده هناك ويبرز مآسيها وأمراضها ، ويبين بالمقابل ما في الاسلام من خير ، قال : (بعض هؤلاء «الأمريكيين» كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين الى الاسلام ـ في أمريكا في السنوات التي قضيتها هناك ـ وكان بعضنا يتخذ موقف الدفاع والتبرير ٠٠ وكنت على العكس أتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية !٠٠ سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة ، أو أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية ٠٠) ، (وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية وهي حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض في ضوء الاسلام)(١٥١) .

لم يتخل أثناء وجوده هناك عن اهتماماته السياسية ، وتفكيره في بلده وواقعها السياسي السيء ٠ فقد كان يكتب المقالات السياسية في المجلات الأمريكية ٠ منها مقال كتبه في مجلة (Fulcrun) التي تصدر في

(١٤٩) انظر المقالات الثلاث القيمة التي نشرها في (الرسالة) تحت عنوان ( امريكا التي اريت ) السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٩٥٧ صفحات ١٢٤٥ ـ ١٢٤٧ ٠ وعدد ٩٥٩ صفحات ١٣٠٢ ـ ١٣٠٦ ٠ وعدد ٩٦١ صفحات ١٣٥٧ ـ ١٣٦٠ ٠
(١٥٠) الرسالة ـ عدد ٩٦١ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٥١ صفحة ١٣٥٧ ٠
(١٥١) معالم في الطريق : ٢١٥ ـ ٢١٦ ٠

وليس غريبا أن تتنافس على اكتسابه بريطانيا وأمريكا ، لأنهم توقعوا أن يكون له دور مهم في وزارة المعارف ، ويخشون منه على عملائهم فيها ، هذا ما حدث مع الدكتور طه حسين ، اذ عندما أصبح وزيرا للمعارف وكان الانجليز «يعرفون أن ميول الرجل – حسب ثقافته فرنسية – فلما صارت اليه وزارة المعارف ، أدركوا أن هناك خطرا على الثقافة الانجليزية قد يصيبها مع وجود هذا الوزير ، وهنا فقط تذكروا أن طه حسين أديب كبير ، يستحق الدعوة الى انجلترا والضيافة على الحكومة البريطانية والمعهد البريطاني والتكريم بالألقاب الجامعية من جامعات انجلترا فقط عندما صار وزيرا للمعارف · انه الاستعمار يخشى على حبائله في وزارة المعارف أن تتكشف أو تتزعزع»(١٥٦) .

وفي أخريات أيامه هناك ، سيطر عليه الشوق الى مصر ، وراح ينتظر قدومه اليها بفارغ الصبر ، ومما يصور هذا قوله في قصيدته (هتاف روح):

في النفس يا مصر شوق — لخطـــرة في ربـــاك
لضمـــة مـــن ثـــراك — لنفحـــة مـــن جـــواك
لومضـــة مـــن سمـــاك — لهاتـــف مـــن رؤاك
لليلـــة فيـــك أخـــرى — مـــع الرفـــاق هنـــاك
ظمـــآن تهتـــف روحـــي — متـــى ترانـــي أراك ؟ ؟(١٥٧)

وبما أنه لم تحدد مدة معينة لبقائه هناك ، ولم يطلب منه الحصول على شهادة دراسية عليا ، وانما فقط ليطلع على نظم التعليم · فقد رأى سيد أن مهمته قد انتهت · والأرجح أنه علم أن الأسباب التي أبعد من أجلها عن مصر قد خفت ، وانه ان عاد فلن ينال منه أحد ، لا سيما وأن الملك فاروق قد ضعفت سيطرته الفعلية على البلاد عندها قرر العودة الى مصر ، حيث وصلها في ٢٠ أغسطس عام ١٩٥٠(١٥٨) .

---

(١٥٦) معركة الاسلام والرأسمالية : ١٠٠ ـ ١٠١ .
(١٥٧) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الاول ـ عدد ٨٧٧ تاريخ ٢٤ ابريل ١٩٥٠ صفحة ٤٧٢ .
(١٥٨) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٨٩٤ تاريخ ٢١ اغسطس ١٩٥٠ صفحة ٩٥٨ .

# سيد قطب مع جماعة الاخوان المسلمين

بعد أن احتل سيد قطب مركز الصدارة في الأدب والنقد والشعر ، وبعد أن أصبح رائد مذهب أدبي متميز ، رسم الله له طريقا جديدا ، وأعد له مهمة جديدة ، ووفقه وأخذ بيده نحوها • ونقل خطواته فيهـــا تلك هي وجهته الى الاسلام وخدمته له •

دخل سيد قطب عالم الفكر الاسلامي بعد أن اتسعت آفاقه ، وازدادت ثقافته واستقام بيانه ، وسلس أسلوبـه ، وصفت قريحتـه ، وتفتحت شاعريته ، لقد كانت حياته الأدبية مرحلة لا بد منها لحياته الاسلامية ، وأساسا متينا لنجاحه في حياته الجديدة ، تزود منها بالصفاء والبيان والشاعرية والدقة والوضوح • تزود منها بقوة الفكرة ومتانة العبارة ، وشاعرية الأسلوب ، بحيث يؤثر في وجدان القارىء بأسلوبه وبيانه ، فيسير معه شبه مسحور ، ويتلقى عنه الأفكار والقيم والمبادىء التي عبر عنها بهذا الأسلوب السلس الساحر •

لم يكن اتجاه سيد قطب الى العمل الاسلامي قد تكون بين عشية وضحاها ، وانما اتجه اليه تدريجيا وعلى مراحل • وقد ذكر هو نفسه للندوي ــ عند لقائه به ــ مراحل حياته وكيف وصل الى العقيدة الاسلامية أو الايمان بالاسلام من جديد :

«١ ــ نشأ على تقاليد الاسلام في الريف وفي بيته •

٢ ــ ثم انتقل الى القاهرة ، فانقطعت كل صلة بينه وبين نشأتـه الأولى ، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الاسلامية •

٣ ــ ومر بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية الى أقصى حدود •

٤ ــ ثم أقبل على مطالعة القرآن لدواع أدبية •

٥ ــ ثم أثر فيه القرآن وتدرج به الى الايمان»(١٥٩) •

---

(١٥٩) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي : ١٨٩ •

ومن المعروف أنه في القاهرة اتصل بالعقاد ووجهه وجهة أدبية فنية نقدية ، وعاش حياة أدبية لفترة طويلة تقدر بحوالي ربع قرن ، ومع هذا كان سيد يلمس الجدب الروحي والوجداني والشعوري عند أستاذه العقاد ، وينتقده بين الحين والآخر ، ويراه أديب العقل والذهن المجرد ، ولم يشبع العقاد حاجات سيد الروحية العظيمة ، والتي صاحبته طيلة حياته ، لكنها كمنت وتوارت طيلة صلته بالعقاد ، بسبب تأثيره عليه ، وعندما افترق عنه عادت هذه الى الظهور مرة أخرى ،٠وأنبتت بذورها في نفسه وروحه ووجدانه من جديد ٠

فلا عجب اذن أن نراه مع العقاد وقد «تبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الاسلامية» بل أن يمر «بمرحلة الارتياب في الحقائق الدينية الى أقصى حدود» ٠ كما قال للندوي ٠

اتصل سيد قطب بالقرآن ، وراح يطالعه لدواع أدبية ، عندما كان يعد بحثه عن «التصوير الفني في القرآن» وقد قرأه متصلا مرات متوالية، قرأه قراءة دارسة فاحصة ، وهنا التفت – مع اهتمامه بالجانب الفني – الى جوانب أخرى تستحق الدراسة ، فأعد بحثه الآخر عن «العدالة الاجتماعية في الاسلام» وما انتهى منه الا وقد أثر فيه القرآن وقاده الى الايمان من جديد ، ووجد نفسه ، ووجد في القرآن الجواب الشافي على أسئلته التي حيرته ، ونمت بذور العقيدة في كيانه ، واستوت على سوقها ، وراح يغذيها بنظراته المتجددة في القرآن وحياته في ظلاله ٠

وقد أشرنا سابقا الى أنه بدأ حياته السياسية مع حزب الوفد ، وبقي فيه فترة طويلة الى أن وقع حادث فبراير ١٩٤٢ ، عندما انفصل عنه وانضم الى حزب الطليعة الوفدية أو حزب السعديين الذي انشق عن حزب الوفد ، وبقي فيه الى عام ١٩٤٥ ، حيث ترك الأحزاب كلها ٠ وقال :

«هذا القلم ليس لحزب من الأحزاب ، فقد بات صاحبه لا يرى في الأحزاب الا أقزاما بعد أن خلا الميدان من كل جبار ، فهو بهذا يتوجه الى مصر الخالدة وهي أخلد وأسمى»(١٦٠) ٠

---

(١٦٠) الرسالة السنة الثالثة عشرة – المجلد الثاني – عدد ٦٤٨ تاريخ ٣ ديسمبر ١٩٤٥ صفحة ١٣٠٩ ٠

ويقول مبينا سبب تركه الأحزاب ، مصورا شخصيات رجالها : (فلم أعد أجد في حزب من هذه الأحزاب ما يستحق عناء الحماسة له والعمل من أجله ، كلهم سواء أولئك الرجال ! رجال الجيل الماضي • للجميع عقلية واحد لا تصلح لهذا الجيل ــ عقلية انصاف الحلول ــ كلهم نشأوا وفي قرارة نفوسهم أن انجلترا دولة لا تقهر ، وان الفقر مرض مستوطن • وكلهم يؤمن ــ ان كانت قد بقيت لأحدهم طاقة الايمان بشيء ــ ان الله خلق الدنيا في ستة أيام ! هؤلاء جميعا لم يعودوا يصلحون لقيادة الجيل أعصاب منهوكة وقلوب خاوية من الايمان الحار بشعبهم وأمتهم)(١٦١) •

لم يكن لسيد قطب • وقد فقد ايمانه بالأحزاب وتخلى عنها ، لم يكن له أن يجلس في بيته يبكي على وطنه دون أن يتحرك لاصلاح مجتمعه ، والقضاء على مظاهر الفساد فيه • فراح يكتب المقالات السياسية في الهجوم على الاستعمار الانجليزي في المجلات القائمة مثل (الرسالة) وأنشأ مجلتين خصصهما لمحاربة الاقطاع والظلم السياسي والاجتماعي وهما (العالم العربي) و (الفكر الجديد) ولم يمكث طويلا في المجلة الأولى ، وضاق الملك فاروق بمقالاته في المجلة الثانية ، فأغلقها ومنـع سيد من الكتابة •

كان منزله في (حلوان) منتدى عاما ، يقصده الشباب المتلهف عـلى الاصلاح ليستفيد من تجارب سيد ، ويستمع لأحاديثه وندواته وتوجيهاته ولم يكن سيد يفكر في تنظيم هؤلاء الشباب ، ولكنه كان يشعل فيهم نار الثورة • وكانت ثورة اسلامية تدعو الى الاصلاح على أساس الاسلام •

في هذه الفترة كانت جماعة الاخوان المسلمين في قمة نشاطها ، وقد استقطبت مختلف فئات الأمة من مثقفين وعمال ومهنيين ، واستحوذت على اهتمام كبير في الداخل والخارج •

وكان هناك التقـاء في بعض أفكـار سيد قطب مـع أفكار الاخوان المسلمين • فعندما نشر في جريدة (الأهرام) وفي مجلة (دار العلوم) نقده

---

(١٦١) الرسالة ــ السنة الرابعة عشرة المجلد الثاني ــ عدد ٦٨١ تاريخ ٢٢ يوليو ١٩٤٦ : ٧٩٦ ــ ٧٩٧ •

لكتاب « مستقبل الثقافة في مصر » للدكتور طه حسين ، تبنت جريدة (الاخوان المسلمين) هذا النقد ، ونشرته على صفحاتها(١٦٢) ٠

واتصل بالاخوان عن طريق اتفاقه مع الحاج محمد حلمي المنياوي صاحب دار الكتاب العربي ، وعضو مكتب الارشاد للاخوان المسلمين ، حيث اتفق معه على اصدار مجلة (الفكر الجديد) ٠

واتصل ثالثة بالاخوان عندما قدم الى المطبعة كتابه (العدالة الاجتماعية في الاسلام) وقدم له بمقدمة ، ظنت السلطات المصرية أن المقصود بها هم شباب الاخوان المسلمين – الذين كانوا في السجون – فصادرت الكتاب ، مع أنه – للحقيقة – لم يقصد في مقدمته شباب الاخوان(١٦٣) ٠ وانما كان يقصد شبابا لمحهم بعين الخيال ، ويراهم أمنية وحلما ، وهو ما تحققه بعد ذلك في شباب الاخوان ٠

لم توافق السلطات على طبع الكتاب الا بعد حذف الاهداء ، فتم حذفه٠
وحتى ذلك الحين – بعد ذهابه الى أمريكا – لم يكن – على حد قوله : «لم أكن أعط الحركة الاسلامية ولا مرشدها من اهتمامي ما يجعلها على مستوى التنظيمات السياسية أو الدعوات الاجتماعية الأخرى ٠ ولم أكن أتصور أنها تشكل في بؤرة الشعور الغربي شيئا يذكر ، حتى صدمني الواقع من حولي في أمريكا ٠ وهزني هزا ، وفتح عيني فتحا على مالم أفطن اليه من قبل»(١٦٤) ٠

وهذا الواقع الذي أثر فيه ، وفتح عينيه على الحركة الاسلامية ، يتمثل في حادثتين :

الأولى : عندما تم اغتيال الامام حسن البنا المرشد العام لجماعة الاخوان المسلمين على أيدي رجال الملك فاروق ، وبايعاز من الدول الاستعمارية ، في فبراير ١٩٤٩ ، وكان سيد وقتها في المستشفى في احدى

---

(١٦٢) المجتمع عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ صفحة ١٦ ٠
(١٦٣) انظر المجتمع – نفس المرجع – صفحة ١٧ ٠ وقد اكد لي هذا محمد قطب ٠
(١٦٤) المجتمع عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٧٢ صفحة ١٠ ٠

المدن الأمريكية ، فشاهد «مظاهر الفرح والابتهاج بل والشماتة في كل شيء من حولي : في الصحافة ، وفي جميع أجهزة الاعلام ، وفي كافة المنتديات ! كلها تهلل وتهنيء بعضها بعضا بالتخلص من أخطر رجل في الشرق»(١٦٥) .

الثانية : حادثته مع رجل المخابرات البريطانية جون هيوورث دن(١٦٦) حيث دعاه أكثر من مرة الى بيته وراح يحدثه عن أحداث مصر السياسية والاجتماعية والمخاطر التي تنتظرها في المستقبل ، وأخذت جماعة الاخوان المسلمين قسطا وافرا من أحاديثه ، وراح يعرض على سيد قطب تقارير مفصلة ودقيقة عنها ، وعن تحركات حسن البنا وخطبه ونشاطاته ، منذ أن تكونت الجماعة في مدينة الاسماعيلية عام ١٩٢٨ ، الى أن تم اغتياله عام ١٩٤٩ ، وعقب رجل المخابرات على احاديثه بتصوير الخطر الماحق الذي يحل بالبلاد لو نجحت هذه الجماعة واستلمت الحكم حيث توقع مصر في التأخر ، وتحول بينها وبين الحضارة الغربية . وأظهر له أن الأمل معقود على أيدي الشباب المثقفين والمفكرين من أمثاله ، ليحولوا بين هذه الجماعة وبين استلام الحكم . كما نصحه بالكف عن معاداة بريطانيا والهجوم عليها ، لأنها ان خرجت من مصر فستحل أمريكا محلها ، وهي أشد عداء منها(١٦٧) .

وقال سيد قطب : «قلت في نفسي : الآن حصحص الحق ، وأيقنت أن هذه الجماعة على الحق المبين . ولم يبق لي عذر عند الله ان لم أتبعها ، فهذه أمريكا ترقص على جمجمة حسن البنا ، وهذه بريطانيا تسخر أجهزتها وأقلام مخابراتها — حتى داخل أمريكا — لمحاربة الاخوان . فصممت في قرارة نفسي أن أنضم الى الاخوان المسلمين ، وأنا لم أخرج بعد من منزل رجل المخابرات البريطاني(١٦٨) .

---

(١٦٥) المجتمع — عدد ١١٥ — اغسطس ١٩٧٢ صفحة ١٠ .

(١٦٦) أنظر صفحة ١٣٠ من هذا الكتاب .

(١٦٧) اثبت هذه الحادثة الدكتور عبد الله عزام في بحثه الذي يعده عن سيد قطب . كذلك اخبرني بها الاستاذ محمد قطب .

(١٦٨) مسودة البحث الذي يعده الدكتور عبد الله عزام عن سيد قطب .

ولذلك انقطع عن الكتابة في الصحف طيلة وجوده في أمريكا ، وكان بامكانه ان يكتب وأن يرسل مقالاته الى الصحف والمجلات لتنشرها ، ولكنه عزف عن الكتابة ، ويعلل هذا بقوله : «ولعل منشأ هذا العزوف كان هو الرغبة في تحقيق شيء أكبر من الكتابة ، انني على ايماني بقوة الكلمة وامتدادها كنت أحسب أننا في مصر وفي الشرق قد تكلمنا أكثر مما ينبغي وانه آن لنا أن نصنع شيئا آخر وراء الكلام وغير الكلام»(١٦٩) .

وقد فكر سيد وهو في أمريكا في عمل شيء آخر غير الكلام والكتابة ، فكر في أن يبدأ العمل للاسلام بتربية مجموعات من الشباب المثقفين ، تتكون كل مجموعة من خمسة أفراد ولكنه فكر في خطته التي رسمها مليا ، وقال مخاطبا نفسه : (لماذا أبدأ من أول الطريق وقد بدأ غيري وساروا مراحل واسعة في هذا السبيل ؟ أليس الأفضل أن أبدأ من حيث انتهوا وأتابع طريقهم في هذا المجال)(١٧٠) .

صمم بعد عودته من أمريكا أن يدرس عن حسن البنا ، قال : « وقرأت جميع رسائل الامام الشهيد ، ووقفت على سيرته النقية وأهدافه الحقة ، وعلمت لماذا يحارب ولماذا قتل وعاهدت الله على أن أحمل الأمانة من بعده وأواصل السير على نفس الطريق الذي لقي الله عليه»(١٧١) .

وكان سيد قطب معجبا جدا بالامام الشهيد وكان اعجابه يتركز على عبقرية البنا في ناحيتين :

أولا : في البناء النفسي المتوازن لأعضاء الحركة بايجاد النسب المتكافئة بين العلم والروح والحركة من جهة وبين المدارس الاسلامية المتخصصة كالصوفية والسلفية والمذهبية من جهة ثانية .

ثانيا : في البناء التنظيمي للجماعة ، وقد كان هذا البناء هو الأول من نوعه في العالم بالنسبة للعمل الجماعي(١٧٢) .

---

(١٦٩) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ـ ابريل ١٩٥١ صفحة ٣٨٩ .
(١٧٠) الشهاب السنة التاسعة ـ العدد السادس ـ أيلول ١٩٧٢ صفحة ٨ .
(١٧١) المجتمع عدد ١١٥ تاريخ ٢٩ اغسطس ١٩٧٢ صفحة ١١ .
(١٧٢) سيد قطب لبركات : ١٦ وانظر مقاله في ( دراسات اسلامية ) « حسن البنا وعبقرية البناء » طبعة الشروق : ٢٢٥ ـ ٢٣٠ .

عاد سيد الى مصر ، والحظر ما زال مفروضا على الاخوان المسلمين ، ولكن الاخوان كانوا يمارسون نشاطهم العملي رغم عدم التصريح القانوني لهم ، وكانت لهم صحف يكتبون فيها مثل صحيفتي (المباحث) و (الدعوة)· وفتحت الدعوة صفحاتها أمام مقالاته ، وصار يكتب في الصحف الثلاث التي كانت تكافح الطغيان (الدعوة) مجلة الاخوان و (الاشتراكية) مجلة الاشتراكيين ، و (اللواء الجديد) مجلة الوطنيين · وكانت مقالاته من القوة بحيث أزعجت الطغاة وأثرت في قلوب الجماهير ·

وعندما اطمأن صالح عشماوي ـ احد قادة الأخوان المسلمين البارزين ـ الى صدق سيد قطب دعاه الى الانضمام الى الاخوان ، فلبى الدعوة[173] ·

وعندما رفع الحظر عن نشاط الجماعة العلني ، وتم انتخاب المرشد العام الجديد حسن الهضيبي ، كان سيد قطب في مقدمة من بايعه ·

اعتبر سيد قطب نفسه قد ولد من جديد ، وأن تاريخ ميلاده هـو تاريخ انضمامه الى الاخوان المسلمين ، وكان دائما يردد قوله : « لقد ولدت عام ١٩٥١»[174] فاعتبر السنوات الطويلة التي مضت (خمسة وأربعون عاما) من عمره ، وكأنها لم تكن ! ! واتجه بنية صادقة وهمة عالية ودأب عجيب الى خدمـة الاسلام والحركة الاسلاميـة ، وصار يكتب المقالات العنيفة الحادة التي مهد بها لقيام الثورة المصرية ، واعتبر كأنه (ميرابو)[175] الثورة ، وقد أقضت مقالاته مضاجع الطغيان ، وجرت عليه الكثير مـن المضايقات ، ولقد أشفق الكثيرون مـن اصدقائـه وزملائه عليه وراحوا يزينون له الركون والسكوت ، بحجة ان الشعب لم يبلغ درجة من الوعي يتابعه ويدرك ما يريد ، وقد صور سيد على لسان احد زملائه الخطر المحدق به قائلا : «وأنت تجابه قوى جارفة قوى تملك ان تشترى دولا وامما وشعوبا ، قوى مدربة لها عملاء في كل مكان ولها اجهزتها التي مرنت على العمل · · هذه القوى تملك ان تحيلك متهما في اعين مواطنيك تملك ان تجردك من سمعتك ذاتها فتظهرك للناس خائنا ، وتجد ألف شاهـد

(١٧٣) المجتمع ـ عدد ٢١٥ تاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ صفحة ١٧ ·
(١٧٤) دراسة الدكتور عبد الله عزم عنه التي هي قيد التحرير ·
(١٧٥) ميرابو : الرجل الذي مهد للثورة الفرنسية · انظر الشهيد سيد قطب : ٤٦ ·

وألف جهاز من اجهزة الدعاية تهتف بذلك ليل نهار . . انك لست غنيا ولست فتيا . . .(١٧٦) . . وبعد محاورة بينهما قال له زميله : «فهمت . فهمت ، اذن انت تريد ان تموت . «فرد عليه قائلا : «لا يا صديقي انك لم تفهمني بعد. انني ما اردت ان اموت . أؤكد لك انني اريد ان احيا اريد ان احيا حياة طويلة فأنا لم أشبع من هذه الحياة . وأنا لم اتم الا القليل من الواجبات التي ارجو ان اوفق الى النهوض بها . . وامر آخر : اني قد بعدت فترة من حياتي عن الله . واني لارجو ان أعيش حتى انفق من عمري في قربه فترة تعدل كفتي الميزان .

ولكن الموت والحياة غيب من غيب الله ، فلا يجوز ان يكونا في حساب احد يريد ان يؤدي واجبا ، او يغير منكرا ، او يذهب ويجيء(١٧٧) .

وراح سيد بالاضافة الى مقالاته الغزيرة ، يعد البحوث . ويلقي المحاضرات ويعقد الندوات ، ويدير الجلسات ، ويشترك في المناقشات ، وكما كان يجذب القارىء اليه جذبا كان يؤثر في قلوب سامعيه فيتفاعلون معه ، ويسلمون قيادهم اليه . ولقد شهده المركز العام للاخوان المسلمين محاضرا ومتحدثا ، يجتمع عليه العديد من الاخوان يستفيدون من تجاربه ، ويعملون بتوجيهاته وآرائه . كما شهد بيته في حلوان الأفواج من الشباب الاسلامي من المصريين والمغتربين يفدون اليه لحضور ندواته المتكررة التي يقيمها فيه .

وان الناظر في حياة سيد قطب وفي اوجه نشاطه ، وفي نتاجه ليعجب اشد العجب ويتسائل كيف استطاع سيد ان يقوم بهذه الأعمال كلها . وهي تحتاج من الرجل وقتا واسعا ليقوم بها . ان وقته محدود كغيره ، وان يومه لا يزيد عن أربع وعشرين ساعة ، ولكن الله الذي علم منه صدق توجهه اليه ، وجديته في السير اليه ، بارك له في وقته ، وهداه للاستفادة القيمة منه ، وكأن الساعات قد ضوعفت له ! .

---

(١٧٦) دراسات اسلامية : ١٤١ أليس هذا بالضبط ما حدث له عامي ١٩٥٤ و ١٩٦٥ ؟ لقد كان ينظر في المستقبل وحوادثه بنور الله !

(١٧٧) دراسات اسلامية : ١٤٣ ــ ١٤٤ وهو وان لم يذكر اسمه صراحة ، ولكنه ذكر صفاتا واوصافا تدل عليه . فهو يتحدث عن نفسه .

من أبرز ما قام به سيد في هذه الفترة دعوته الى قيام الكتلة الاسلامية التي تضم جميع الشعوب الاسلامية ككتلة ثالثة تختلف عن الكتلتين الشيوعية والرأسمالية ، وتستقل بنفسها وتثبت ثقلها الدولي ، وتتحرر من سيطرة النفوذين الشيوعي والرأسمالي • وألقى المحاضرات وكتب المقالات شارحا دعوته هذه • وقد تبنى الاخوان المسلمون الدعوة ، ودعوا اليها في وسائل نشرهم ، ولكن الأحداث اللاحقة وأدت هذه الدعوة في مهدها ! •

كان لسيد قطب دور عملي في التحضير للثورة ، وقد بين الضابط محمود العزب هذا الدور بقوله : «ان رائدنا وأستاذنا سيد قطب هو الذي رعا الثورة جنينا فوليدا ، وأمرنا أن نستعد لها» ثم قال : «قبيل الثورة بأيام تلقينا من الأستاذ سيد قطب أمرا ، بأن نكون على استعداد ، وكنت على رأس تنظيم الاخوان المسلمين في بور سعيد ، ولما تلقيت الأمر حضرت الى القاهرة • ومضيت الى منزل الأستاذ سيد ، وكان ذلك في يوم ١٩ يوليو،وكان لديه بعض قادة الثورة منهم البكباشي جمال عبد الناصر! وذكر لي الأستاذ سيد أن أكون أنا ومن معي على أهبة الاستعداد ، وأن يكون الاخوان المسلمون المدنيون على استعداد أيضا • فاذا سمعنا بقيام الثورة كنا حماتها ، وحفظة الأمن في بور سعيد ، وحذرنا من سفك الدماء»(١٧٨) •

ومجيء جمال عبد الناصر مع مجموعة من رجاله الى بيت سيد قطب قبل قيام الثورة بأسبوع يدل على الدور الكبير الذي قام به سيد قطب في التحضير للثورة ، وتجنيده كافة الطاقات لنجاحها كما يدل على مكانته الرفيعة ــ الظاهرة ــ عند رجالها ، حيث يأتمنونه على أدق أسرارها ويدرسون معه خططها وتفصيلاتها ! •

ولما قامت الثورة عام ١٩٥٢ كان سيد قطب موضع احترام واكبار رجالها جميعا اعترافا بجهوده التي بذلها في التمهيد لها • فكان كثير من قادتها يتردد على منزله في «حلوان» وكان هو المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس قيادة الثورة أحيانا • ولقد كان متواضعا لا يعمل للشهرة،

---

(١٧٨) كلمة الحق : السنة الاولى • العدد الثاني • مايو ١٩٦٧ • صفحة ٣٨ •

ويبتعد عن الأضواء ويمتنع عن حضور الحفلات العامة مع أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وقد نشرت له في السنة الأولى للثورة ، بعض الصور التذكارية مع محمد نجيب ومع جمال عبد الناصر ومع غيرهما من رجالات الثورة وقادتها(١٧٩) .

وكمظهر من مظاهر تكريم قادة الثورة لسيد قطب فقد طلبوا منه أن يلقي محاضرة في نادي الضباط بالزمالك وجعلوا عنوانها (التحرر الفكري والروحي في الاسلام) وكان ذلك في شهر أغسطس ١٩٥٢ ، وقبل سيد قطب الدعوة ، وفي الموعد المحدد ازدحم النادي بحدائقه وأبهائه الفسيحة بالحضور من كافة فئات الشعب ، حيث حضرها : «جمع لا يحصى من الشعب وحضر الى النادي أبناء الأقطار العربية والاسلامية الموجودون في مصر ، وكثير من رجال السلك السياسي ، وكبار زعماء الأدب والفكر والقانون والشريعة ، وأساتيذ من الجامعات والكليات والمعاهد . كما حضر الدكتور طه حسين وأحمد لطفي السيد ..»(١٨٠) .

وقد حرص قادة الثورة على حضور هذه المحاضرة ، وكان من المقرر أن يتولى محمد نجيب رئيس مجلس قيادة الثورة تقديم سيد قطب الى الحضور ، وتقديم محمد نجيب – قائد الثورة – سيد قطب دليل آخر على سمو منزلة سيد ورفعة مكانته عند قادة الثورة .

الا أن عذرا عارضا اضطر محمد نجيب الى التخلف ، فأناب عنه نائبه جمال عبد الناصر وبعث برسالة مع أنور السادات يعتذر فيها عن الحضور ، وقد تليت رسالته على الحضور ، وقد وصف سيد قطب فيها «بأنه رائد الثورة ومعلمها وراعيها وقائد قادتها ، ورئيس رؤسائها ..»(١٨١) .

وقد استغل قادة الثورة الحفل وجعلوه مناسبة للاحتفاء بسيد قطب والحديث عن مناقبه وتبيين مزاياه . فقدمه الدكتور طه حسين وبين أهم ملامح شخصيته ، وعقب على تقديمه أحمد عبد الغفور عطار ، وتحدث

---

(١٧٩) كلمة الحق – السنة الاولى – العدد الثاني ١٣٨٧ – مايو ١٩٦٧ . صفحة ٣٧ .
(١٨٠) نفس المصدر .
(١٨١) نفس المصدر .

الضابط محمود العزب عن دور سيد قطب في التحضير للثورة ومكانته عند رجالها .

ولما وقف سيد قطب لالقاء محاضرته «أثر في السامعين ، حتى دميت الأكف من التصفيق وبحت الحناجر من الهتاف» وكان طه حسين وأحمد لطفي السيد من أشد المعجبين المصفقين !

ومما جاء في محاضرة سيد قطب عن الثورة قوله : «ان الثورة قد بدأت حقا ، وليس لنا أن نثني عليها لأنها لم تعمل – بعد – شيئا يستحق أن يذكر ، فخروج الملك ليس غاية الثورة ، بل الغاية منها العودة بالبلاد الى الاسلام ...» .

ولقد كان يتوقع – بحسه البصير ، وفراسته الصادقة ، ونظراته النافذة – أن يناله من الأذى والمكروه على أيدي رجال الثورة – رغم تكريمهم له ! – أكثر مما ناله منه في عهد الملكية . قال في محاضرته : «لقد كنت في عهد الملكية مهيئا نفسي للسجن في كل لحظة وما آمن على نفسي في هذا العهد أيضا ، فأنا في هذا العهد مهيء نفسي للسجن ولغير السجن ، أكثر من ذي قبل» ! .

وهنا وقف جمال عبد الناصر ، وقال بصوته الجهوري ما نصه : (أخي الكبير سيد ، والله لن يصلوا اليك الا على أجسادنا جثثا هامدة ، ونعاهدك باسم الله ، بل نجدد عهدنا لك أن نكون فداؤك حتى الموت ... الخ . وصفق الناس تصفيقا حادا متواصلا مع الهتاف المتكرر بحياة سيد قطب ..)(١٨٢) .

ولا نريد أن نعلق على كلمة عبد الناصر هذه سوى أن نذكر أن عبد الناصر هو نفسه الذي أمر بسجنه وتعذيبه ، وأصدر عليه حكما بالسجن مع الأشغال الشاقة خمسة عشر عاما ثم أصدر عليه حكما بالاعدام بعد أربعة عشر عاما كاملة من كلمته هذه .

ومن تقدير رجال الثورة له أنهم عينوه مستشارا لمجلس قيادة الثورة للشؤون الثقافية والداخلية ، ولم يستمر أكثر من عدة شهور(١٨٣) .

---

(١٨٢) كلمة الحق : ٣٨ . وانظر الوصف الكامل لهذا الحفل ، والتلخيص للكلمات التي القيت في مقال الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في نفس العدد ٣٧ – ٣٩ .

(١٨٣) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب .

كما عرضوا عليه بعض المناصب الأخرى ، منها ما ذكره الأستاذ أحمد عطار ، « قرر مجلس قيادة الثورة أن يسند اليه منصب وزير المعارف المصرية – كما أذكر – ولكن سيد قطب اعتذر • ورجوه أن يتولى منصب المدير العام للاذاعة فاعتذر • وأخيرا وافق على أن يكون السكرتير العام لهيئة التحرير ، ولبث فيه شهورا • وما رضي بهذا المنصب الخطير الا ليسعه التخطيط للسياسة العليا •

وبدأ الخلاف مبكرا بين جمال عبد الناصر وزملائه وبين سيد قطب ، وسبب الخلاف اسلامي حيث كان سيد قطب يستحثهم الاسراع بتطبيق الاسلام ، وكانوا يراوغون في هذا الأمر ، فاضطر سيد قطب الى تقديم استقالته من منصبه كسكرتير عام لهيئة التحرير ، ولم تنشر الصحف كلمة عن استقالته • وخلفه في منصبه عبد الناصر نفسه[١٨٤] •

في ٢/٣/١٩٥٣ عقد في دمشق مؤتمر حلقة الدراسات الاجتماعية ، وقد انتدبت لجنة الدراسات الاجتماعية المصرية سيد قطب ليمثلها في هذا المؤتمر • فسار الى دمشق وألقى فيه محاضرة عن «التربية الخلقية كوسيلة لتحقيق التكامل الاجتماعي»[١٨٥] وانتهز الاخوان فرصة وجوده فأعدوا له محاضرة ألقاها في كلية الآداب – جامعة دمشق • «وكانت محاضرة رائعة حلق فيها سيد قطب خلال ساعتين من الزمان يبحث في جمال التعبير القرآني ويضع أيدينا على جوانب الاعجاز ، ولم يكن بيده كتاب ولا ورقة كما يقول محمد الياسين مرافقه مدة وجوده في سوريا[١٨٦] •

وبعد أن انتهى المؤتمر من دراساته ، اتجه سيد قطب الى الحدود الأردنية ليقوم بزيارة الى الأردن • ولكن السلطات الأردنية منعته من الدخول بأمر من قائد الجيش الاردني الجنرال الانجليزي «جون بادوت جلوب» الذي كان يحكم في الأردن كما يشاء[١٨٧] •

---

(١٨٤) كلمة الحق : ٣٩ •

(١٨٥) الشهيد سيد قطب : ٢٩ • وقد نشر محاضرته هذه في ( دراسات اسلامية ) دار الشروق : ٤٨ – ٦١ •

(١٨٦) الشهاب – السنة الرابعة – امعدد الحادي عشر – ١٥ آب ١٩٧٠ • صفحة ٩ •

(١٨٧) الشهيد سيد قطب : ٢٩ •

وفي ١٩٥٣/١٢/٢ عقد في مدينة القدس (المؤتمر الاسلامي) الذي دعت اليه جماعة الاخوان المسلمين ، وشاركت فيه الجمعيات والشخصيات الاسلامية في العالم الاسلامي بهدف دراسة السبل لحماية القدس ، والحيلولة دون وقوع الأقصى في أيدي اليهود • وانتدب مكتب الارشاد لجماعة الاخوان المسلمين في مصر سيد قطب ليمثل الجماعة في هذا المؤتمر • «ولولا أن وفود المؤتمر كانت في زيارة جماعية لحيل بينه وبين الدخول في المرة الثانية ، كما حيل بينه وبين الزيارة الأولى»(١٨٨) •

وكان سيد قطب متواضعا مناضلا في المؤتمر • يصفه علال الفاسي بقوله : (فرأيت من سيد قطب المناضل المتواضع الذي لم يكن يتطلع لشيء من المناصب أو الألقاب ، بل يتأثر حينما يرى بعض أصدقائه يتهافتون عليها • ولقد عملنا معا في اللجنة السياسية التي كنت أترأسها، وصلينا وأعضاء هذه اللجنة بأثر وشاية من بعض شيوخ فلسطين المشهورين ذوي الصلة بكلوب باشا)(١٨٩) •

تم انتخاب سيد قطب عضوا في مكتب الارشاد الجديد لجماعة الاخوان المسلمين ، كما عين رئيسا لقسم نشر الدعوة في المكتب ، حيث أصبح مسؤولا عن نشر الدعوة الاسلامية ، والفكرة الاخوانية ، داخل مصر وخارجها • وقام سيد بعمله على أتم وجه •

ورافق سيد قطب المرشد العام للاخوان المسلمين حسن الهضيبي في احدى جولاته لمنطقة الصعيد في مصر ، وألقى هناك عدة محاضرات ، واطلع على الأحوال البائسة للأهالي من الناحية الاجتماعية والسياسية والانسانية وحزت هذه المآسي في نفسه وآلمته ، وكتب مقالات في مجلة (الدعوة) سجل فيها هذه المظاهر البائسة • وعلق عليها بأسلوبه الثائر الحاد وأحدثت مقالاته دويا في البلاد •

وعندما اصطدم الاخوان مع الحكومة في المرة الأولى في أوائل ١٩٥٤ • واعتقل عدد من قادة الاخوان ، كان سيد قطب في مقدمة المعتقلين ، وبقي في السجن — مع باقي المعتقلين من الاخوان — الثلاثة أشهر الأولى من عام ١٩٥٤ ، وأفرج عن المعتقلين بعدها لخلافات وقعت بين ضباط الثورة •

---

(١٨٨) الشهيد سيد قطب : ٢٩ •

(١٨٩) المصدر نفسه : ١٦ •

وعندما قرر مكتب الارشاد للاخوان ، اعادة اصدار مجلة (الاخوان المسلمين) عهد الى سيد قطب - بالاضافة الى ما عهد اليه من مهمات - الاشراف على تحريرها • وجند طاقات بيته لخدمة الدعوة ، فكتب في المجلة شقيقه محمد ، وعهد الى شقيقتيه (أمينة وحميدة) تحرير الابواب النسائية فيها[190] • وعندما وقع رجال الثورة اتفاقية الجلاء مع بريطانيا عام ١٩٥٤ رأى الاخوان أنها مجحفة لمصر ، وأنها بها لن تحصل على الجلاء الحقيقي ، فانتقدوها بشدة وتولى سيد قطب كتابة ونشر المقالات العنيفة الحادة في نقدها ، فأغلقتها الحكومة • ولم يصدر منها سوى اثني عشر عددا[191] •

وفي الأيام الأخيرة ، وقبل مذبحة الاخوان في نهاية عام ١٩٥٤ ، وبعد أن أدرك سيد قطب ما تبيته الحكومة ضد الاخوان ، انتقل سرا من القاهرة الى مدينة (بني سويف) - التي عمل فيها مدرسا فور تخرجه من الكلية عام ١٩٣٣ - وأصدر هناك نشرة سياسية سرية تفضح المخططات المرسومة للقضاء على الحركة الاسلامية ، وتكشف عمالة رجال الثورة ، وألقى القبض عليه قبل القضية الكبرى التي اتهم فيها الاخوان بمحاولة اغتيال عبد الناصر[192] •

لقي سيد قطب - كباقي اخوانه - ألوانا شتى من التعذيب في السجن لا تضاهيها الا ألوان التعذيب في محاكم التفتيش في أوروبا في القرون الوسطى • ومن هذه الألوان البشعة تسليط الكلاب البوليسية عليه ومطاردتها له لساعات ، بينما تنقض هذه الكلاب المدربة الضخمة على لحمه تنهشه نهشا اذا توقف عن الجري[193] • وقد واجه كل هذا بنفس صابرة وقلب ثابت ، وعزم على المضي في الطريق • واستعلى بايمانه ، وتذوق حلاوة الاتصال بالله وهان عليه كل ما يلاقيه في سبيل الله •

وعندما تقررت محاكمة الاخوان المسلمين عام ١٩٥٤ ، وفي اليوم الذي حددت محاكمته فيه ، جاءه مدير السجن حمزة البسيوني وقال له •

---

(١٩٠) المجتمع - عدد ٢٠٥ تاريخ ٢٧ اغسطس ١٩٧٤ • صفحة ١٨ •

(١٩١) كما اخبرني الاستاذ محمد قطب •

(١٩٢) المجتمع - نفس المرجع : ١٨ •

(١٩٣) انظر على سبيل المثال : الشهاب - العدد التاسع - السنة السادسة - أيلول ١٩٧٢ : ٨ •

(لن نحاكمك لأنك مصدور !) وعرف السبب بعد ذلك لأنه كان مـــن المقرر حضور مندوب عن لجنة حقوق الانسان الدولية ، ويخشون أن يتحدث سيد أمامه بشيء • وفعلا وبعد ذهاب المندوب قدم الى المحاكمة ، وعندما طلب منه الدفاع عن نفسه ، خلع قميصه ليري القضاة والمحلفين آثار التعذيب الوحشية عليه ! وصدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاما «ولكنه اعترض مستهزئا بأن هذا قليل ، فأين حكم الاعدام ؟» وكان في سجنه يردد دائما : (أللهم ارزقني احدى الحسنيين • والشهادة عندي في المقدمة)(١٩٤) •

نقل سيد قطب بعد الحكم عليه الى سجن «ليمان طرة» خارج القاهرة ليقضي الفترة المحكوم عليه بها ، ولما ساءت صحته في السجن ، نقل الى المستشفى الملحق بالسجن ، وبقي فيه حوالي عشر سنوات ، الى أن أفرج عنه • وهناك في السجن • بل في مستشفى السجن على وجه الخصوص هيأ الله له كل وسائل الراحة ، حيث لقي عناية ورعاية تامتين ، اذ كان حوله مجموعة من الاخوان المسجونين يسهرون على راحته • وكون مع طبيب السجن ومديره صداقة شخصية • حيث أعجبا به وبأخلاقه ، فعاملاه معاملة حسنة ، ووفرا له الراحة !(١٩٥) • ولا عجب في هذا الموقف منهما ، فان السجن هو السجان ، وبامكانه بأسلوبه أن يخفف من وطأة السجن ! ولا نقصد من هذا أن سيد قطب كان وهو في السجن وكأنـه في بيته يتمتع بالحرية ، وانما نقصد أن معاملته ــ وبخاصة وهو نزيل مستشفى السجن لا السجن نفسه ــ كانت أحسن من معاملة اخوانه ، وأن الله رقق له قلوب سجانيه ليتمم المهمة التي أعده الله لها ، ويكمل الطريق الذي رسمه له •

ورغم أن الكتابة في السجن ممنوعة رسميا ، الا أن الله هيأ له ظروف الكتابة ، وظروف النشر أيضا • وكان يكتب بنفسية صابرة هادئة ، وروح متصلة بالله مطمئنة ، ومن هناك قدم للمكتبة الاسلامية ، وللعاملين المجاهدين أقوى بحوثه وأعمقها ، وعلى رأسها موسوعته (في ظلال القرآن)•

---

(١٩٤) الشهاب ــ السنة السادسة ــ العدد التاسع ــ أيلول ١٩٧٢ • صفحة ٩ •

(١٩٥) افادني بهذه المعلومات الاستاذ محمد قطب •

لم تفارقه صفاته الكريمة وهو في السجن ، بل تمكنت من نفسه ، وصقلتها المحنة ، فملك قلوب السجناء والسجانين ، حتى عندما كانت تنشب مشكلة بين السجناء يسرعون الى سيد قطب لحلها ، وأطلق عليه لقب (قاضي السجن) بل ان مدير السجن الحلواني كان يقول : (ان المدير الفعلي للسجن هو سيد قطب)(١٩٦) .

يروي مصطفى العالم الذي كان معه في نفس الزنزانة في السجن ــ قبل نقله الى ليمان طرة ــ أنه قد أصيب بانفصال غضروفي والوسيلة الوحيدة لعلاجه هي أن يبقى مستلقيا على ظهره مدة لا تقل عن ستة شهور . وأن سيد قطب بقلبه الكبير وعواطفه الأخوية الصادقة ، كان يقوم على خدمة أخيه ، ويطيب خاطره كيلا يتضايق(١٩٧) .

شفت روحه واستعلى بايمانه على المحنة والابتلاء ، وبدلا من أن يكون في سجنه قلقا ضجرا عابسا مكتئبا ، رأيناه مؤمنا لطيفا بشوشا وقورا متواضعا ، ملك قلوب من حوله وصاروا يكنون له الحب والاحترام سواء كانوا مسجونين عاديين أم سياسيين أم من عتاة المجرمين حتى أن هؤلاء المجرمين الموغلين في الاجرام ، الذين ينزلون معه مستشفى السجن يرفضون أن يتناولوا العلاج الا من يده الكريمة أملا في الشفاء(١٩٨) . كما كان يقف بين السجناء والسجانين يخطب فيهم العيد أو الجمعة ، رغم مخالفة ذلك لتعليمات السجن .

وقد رويت حادثة غريبة تدل على مدى حبه الذي سيطر على القلوب، فقد كان أحد الاخوان سجينا بسجن بعيد عن سجن سيد ، واشتاقت روحه لرؤية أستاذه ، وهو لا يملك حريته لينتقل اليه ، فكان أن ادعى أنه مريض جدا وأن مرضه يستدعي عملية جراحية ، وقرر له الطبيب الانتقال الى مستشفى سجن طرة ، وأجريت له عملية في المثانة والمسالك البولية ، وصبر على آلامها المبرحة ، وتحقق له مقصوده حيث التقى بأستاذه(١٩٩) .

---

(١٩٦) افادني بهذا الاستاذ محمد قطب .
(١٩٧) الشهاب ــ السنة السادسة ــ العدد التاسع ــ أيلول ١٩٧٢ . صفحة ٨ .
(١٩٨) الشهاب ــ السنة الثامنة ــ العدد الخامس تاريخ ١٥ آب ١٩٧٤ . صفحة ٩ .
(١٩٩) نفس المرجع .

جعل سيد قطب من سجنه خلوة يختلي فيها مع القرآن ، ويعيش في ظلاله ، ويعمق صلته بالله ، فها هو «يجوب الزنزانة كل يوم يذرعها قارئا لسورة من كتاب الله بصوت عذب رخيم ، ومعه قلمه يدون كل ما يخطر له من خواطر وأفكار على هامش المصحف ، وهو فرح مسرور بما يجول في خاطره من معان جديدة لم تكن تلامس ذهنه قبل أن يدخل السجن ويأنس فيه بكتاب الله في جو من الصفاء العجيب»(٢٠٠) .

ان سيد قطب يمثل في سجنه ظاهرة عجيبة ، قل أن يوجد لها نظير في التاريخ فهو قد أمد المكتبة الاسلامية ببحوثه الاسلامية العميقة الرصينة وأتم تفسيره للقرآن الذي يمثل موسوعة كاملة ، وأقبل العاملون على كتبه يجعلونها معالم لهم في طريقهم في مواجهة الجاهلية لأنها صادرة عن تجربة حية واعية .

«وكان الأهم من ذلك كله – نفسيا – أن أعاد اتصالاته مع الاخوان المسلمين داخل السجون وخارجها ، وأنشأ أرقى أشكال التنظيم الاسلامي سرية وفاعلية في مصر .. وكان هذا الانشاء يعتبر عملية انتحار – ان جاز التعبير – في الظروف الرهيبة التي كانت تسود أرض الكنانة»(٢٠١) .

وكما يسر الله له في سجنه وسائل الكتابة ، يسر له وسائل النشر كذلك ، فصارت كتبه تصدر عن دور النشر في القاهرة . وكان المسؤولون يوافقون على نشرها ، لأن في نشرها ابطالا لاتهامات الاخوان عن سجن سيد قطب وتعذيبه . فعندما زار رئيس الجمهورية جمال عبد الناصر باكستان ، كان يواجه بالأسئلة الكثيرة عن سيد قطب وسجنه وتعذيبه ، وأنكر تهمة السجن أو التعذيب ، حيث زعم أنه في بيته معافى يتمتع بحريته ! بدليل أنه يؤلف كتبه ، ويصدر أجزاء التفسير تباعا . فما كان من أحد الباكستانيين الا أن أرسل برقية الى شقيقه محمد قطب يستفسر منه فيها عن صحة كلام الرئيس . ولم يستطع محمد أن يبين له الحقيقة ولا أن يرد عليه . وأصدرت الحكومة المصرية تعليمات الى سفاراتها في الخارج توصيها باتباع أسلوب الرئيس عندما يسألون عن سيد قطب .

---

(٢٠٠) المجتمع – السنة السادسة – العدد التاسع – أيلول ١٩٧٢ . صفحة ٨ .
(٢٠١) سيد قطب لبركات : ١٩ .

وهكذا أراد الله — وبهذه الوسيلة العجيبة — أن تنشر كتبه كي ينتفع بها العاملون[٢٠٢] .

وفي أواخر عام ١٩٦٤ ، زار مصر الرئيس العراقي عبد السلام عارف — وكان قد قرأ لسيد في (الظلال) وتقدم له علماء العراق بطلب يلتمسون فيه أن يتدخل لاطلاق سراحه — وبذل جهده عند الرئيس المصري عبد الناصر ، وصدر الأمر بالافراج عنه بعد أن أمضى في السجن ما يزيد على عشر سنوات[٢٠٣] .

وعرض عليه الرئيس العراقي أن يسافر معه الى العراق ، وبين له أنهم في حاجة اليه وأنه سيكون عندهم معززا مكرما وسيشغل أرقى المناصب ! ولكن سيد لم يستجب لهذا الاغراء وبين له أن مصر اليه أحوج وبخاصة في هذه الفترة الدقيقة التي تمر بها ، اذ أنه على ثغرة من ثغور الاسلام ،فكيف يتخلى عنها ! .

---

(٢٠٢) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب .
(٢٠٣) سيد قطب لبركات : ٢٠ .

## استشهاده

خرج سيد قطب من سجنه بقائمة من الأمراض مثل الذبحة الصدرية والنزيف الرئوي ، التي سببها له سجنه الطويل ، والعذاب الوحشي الذي لاقاه ، لا سيما وأنه كثيرا ما كان يشكو من الأمراض قبل دخوله السجن • والتي رافقته طيلة حياته ، ولكن السجن زادها ومكن لها في جسده الناحل •

لم يركن الى الراحة بعد خروجه ، بل استمر في اعداد بحوثه العميقة• كما لم يكتف بالكتابة والتأليف حيث أشرف على التنظيم الذي أنشأه داخل السجن — باذن من المرشد العام حسن الهضيبي — وكان يتعاهده ويرعاه •

كان يزوره في بيته عدد من الاخوان من مصر وخارجها ، رغم أن أجهزة المخابرات تراقب بيته دائما • وترصد حركة الداخلين والخارجين، الا أنه كان يهزأ بها ، ويعقد اللقاءات ويدير الجلسات ، ويزود القادمين بنصائحه وتوجيهاته • ويطلعهم على تجاربه ، ويعلق على الأحداث القائمة من الزاوية الاسلامية •

من هذه الزيارات زيارة أحد طلاب جامعة الخرطوم — حافظ الشيخ — وكان من جملة ما قاله له سيد : «ان الشيوعية لا يمكن أن تنتصر من الطريق الديمقراطي ، لأنه ليست لها جذور في السودان ، ولكن الخطر أن يلجأ الشيوعيون الى نظام حكم شيوعي بالقوة ، فالخطر في الجيش • ولكن حتى اذا أفلح الجيش في القيام بانقلاب ، ووصل الشيوعيون الى الحكم وأقاموا نظامهم فانه لن يستمر طويلا • لأن الأمريكان حريصون الا يقوم في الشرق العربي نظام شيوعي ، وهم أصحاب النفوذ في هذه المنطقة • «ثم ضرب مثالا بسوريا فقال : «ان سوريا كادت أن تصبح شيوعية ، فدبروا لها الوحدة مع أنها تتنافى مع المخطط الصهيوني في المنطقة العربية • فتمت الوحدة بين مصر وسوريا لغرض معين وهو القضاء على الشيوعية ، وانتهت بمجرد أدائها الغرض» ثم قال : «ان الخطر الحقيقي هو خطر الصهيونية والأمريكان ، وهم الذين يبسطون نفوذهم على منطقة الشرق»(٢٠٤) •

---

(٢٠٤) الشهيد سيد قطب : ٩١ — ٩٢ نقلا عن جريدة الميثاق الاسلامي في السودان عدد ٣٢٤ تاريخ ١٩٦٦/٩/١٦ •

بهذا التحليل السياسي الرائع ، كشف سيد عن وعيه العميق لأحداث المنطقة ، وعن رؤيته الصادقة لحقيقة القوى التي تخطط لها وتؤثر فيها !

وكان يدرك أنه لمعلوماته هذه ونظراته الصائبة أصبح هدفا لأمريكا والصهيونية ، يقول ابراهيم المصري في الشهاب : «وهنا لا بد من كشف النقاب عن حديث استكتمه سيد – رحمه الله ورضي عنه – احد اخوانه قبل اعتقاله باسابيع ٠كان الحديث يدور حول اليهودية العالمية ٠ وخطرها على العالم أجمع والمسلمين خاصة ، يقول سيد : «لقد وقفت على مدى تغلغل الاصابع اليهودية وخطرها بعد بحث وطول وعناء ، واليهود اذا علموا انني احيط بذلك فلا بد ان اقتل[٢٠٥] ! ! ! ٠

ومن موسكو – عاصمة الالحاد – وقف الرئيس المصري عبد الناصر عام ١٩٦٥ ، يعلن اكتشاف مؤامرة دبرها الاخوان المسلمون بقيادة سيد قطب ، للاستيلاء على الحكم بالقوة والقيام باغتيالات لرجال الحكومة والمسؤولين ، والممثلين والمغنين والفنانين ، وتدمير البلاد اقتصاديا وعمرانيا٠ ونشطت أجهزته في القاء القبض على الاخوان المسلمين وأصدقائهم ومعارفهم وأقاربهم ونسائهم وأطفالهم ، وأقيمت مذبحة للاخوان ولاقوا من التعذيب الوحشي الرهيب ما لا يحتمله او يطيقه بشر عادي ! ٠

وكان نصيب سيد قطب وآله منهذا أكثره ، حيث وضع في السجن هو وشقيقه واخواته الثلاثة ، وأبناء أخته ، وأولاد اخواله ، ولاقى الجميع من الأهوال ما لا يوصف ٠ ورأى سيد أمام عينيه استشهاد أعز أقربائه واقربهم الى قلبه ابن أخيه رفعت بكر شافع ووسع قلبه الكبير ونفسه العظيمة محنته وعذابه الرهيب ، وعذاب اهله أمام عينيه ، وعذاب اخوانه وتحمل هذا كله بقلب صابر ويقين ثابت ٠

كان سيد يحس احساس المؤمن بالأشياء قبل وقوعها ، فقد توقع هذا كله في فترة اعتقاله الثاني حيث قال : «لقد عرفت ان الحكومة تريد رأسي هذه المرة ٠ فلست نادما لذلك ولا متأسفا لوفاتي ٠ وانما انا سعيد

(٢٠٥) الشهاب – السنة الخامسة – العدد الحادي عشر – أيلول ١٩٧١ ٠ صفحة ٣ ٠

للموت في سبيل دعوتي • وسيقرر المؤرخون في المستقبل : من كان على الصراط المستقيم ؟ الاخوان أم نظام الحكم القائم[٢٠٦] ؟ •

لقد كان مستعدا للموت في سبيل الله في كل لحظة منذ ان اتجه وجهته الاسلامية قال في رسالة بعثها من امريكا الى أخته في القاهرة : «لم أعد أفزع من الموت حتى لو جاء اللحظة ، لقد عملت بقدر ما كنت مستطيعا ان أعمل ! هناك اشياء كثيرة اود ان اعملها لو مد لي في الحياة ولكن الحسرة لن تأكل قلبي اذا لم استطع • ان آخرين سوف يقومون بها • انها لن تموت اذا كانت صالحة للبقاء[٢٠٧] •

وعندما زاره احد اخوانه قال له : «رأيت البارحة كأن ثعبانا احمر يلف نفسه حولي ثم يقترب فاستيقظت من ساعتها ولم أنم» قال لـه : «اسمع يا سيدي : هذه هدية سيقدمها لك احد المؤمنين ، هي ملفوفـة لفات بخيط احمر» • «قال سيد : «ولماذا لا يكون تفسيرها : ان اكون انا الهدية المقدمة للمؤمنين • «قال لـه : «اليس بقاء الصالحين انفع للدعوة الاسلامية ؟ «أجاب سيد قائلا : «ليس دائما • بل ربما كان ذهابهم أنفع ، وأنا لا اتعمد التهلكة ، ولكن يجب ان نتعمد الثبات مع علمنا ان في الثبات التهلكة»[٢٠٨] •

وهكذا كان • فبعد تعذيب رهيب ، قدم سيد قطب مع مجموعة من الاخوان الى محاكمة صورية ، وكان سيد في المحكمة كالاسد يخيف ـ وهو في قفص الاتهام مجردا من كل وسيلة ـ بنظراته رئيس المحكمة الذي يتمتع بالسلطة والقوة المادية ، فقد كان يتحاشى النظر الى عيني سيد النافذتين•

وقد صدر عليه الحكم بالاعدام مع اثنين من قادة الحركة الاسلامية محمد يوسف هواش وعبد الفتاح اسماعيل•وقامت المظاهرات والاحتجاجات في مختلف انحاء العالم الاسلامي وقدمت العرائض للتوسط لتخفيف الحكم وبذل بعض المسؤولين في الدول الاسلامية جهودهم لدى الرئيس المصري •

---

(٢٠٦) الشهيد سيد قطب : ٥٦ نقلا عن مجلة الاخبار الاسلامية الدولية الباكستانية اكتوبر ١٩٦٦ •

(٢٠٧) افراح الروح : ٣٩ •

(٢٠٨) الشهيد سيد قطب : ٦٤ ـ ٦٥ نقلا عن ملحق النهار البيروتية عدد ٩١٤٦ تاريخ ١٨ أيلول ١٩٦٦ •

وبعد الحكم عليه بخمسة أيام سمح الطغاة لسيد قطب ان يزور أخته حميدة التي كانت في زنزانة مع زينب الغزالي ، وكان برفقته ضابط من جيش السجن • قالت زينب الغزالي : «قلت مرحبا يا اخ سيد ، هذه مفاجأة سارة وغالية جدا ، انها لحظات من رضوان الله ، أن تجلس الينا وجلس يتحدث الينا عن الآجال ومواعيدها • وانها بيد الله ولا أحد يتحكم فيها الا الله • وأمرنا بالرضا والتسليم»(٢٠٩) •

وكان بعدصدور الحكم بالاعدام راضيا بقدر الله ، فرحا بقرب لقائه ، مستبشرا بما عنده وقال : «الحمد لله لقد عملت خمسة عشر عاما من اجل الحصول على الشهادة» ! •

وفي صفر عام ١٣٨٦ الموافق اغسطس (آب) ١٩٦٦ – اي قبل اقل من شهر من اعدامه – تلقى الاستاذ احمد عبد الغفور عطار في مكة المكرمة رسالتين كريمتين من سيد قطب ، بعثهما اليه من زنزانته ، وشاء الله لهما ان تصلا اليه بطريقة خاصة • وقد نشرها الاستاذ احمد عطار في مجلة (كلمة الحق) بخط سيد قطب بالزنكوغراف •

وتعتبر الرسالتان وثيقتين هامتين تصوران حالة سيد قطب الايمانية بعد العذاب الرهيب الذي لقيه ، وبعد صدور الحكم باعدامه ، كما تصوران جلده وصبره وجهاده ، وثباته وعزته واستعلائه ! •

ونورد فيما يلي مقتطفات منهما • قال في الرسالة الأولى : «اما انا فأجدني خيرا من أي وقت مضى – في عقيدتي وايماني – وفي وضوح هذه العقيدة وهذا الايمان في نفسي ، وفي وضوح ادراكي وتصوري لهذا الامر ومقتضياته • ووضوح الهدف والوسيلة والطريق والغاية • وكل هذا خير جزيل جميل يرجح كل ما اديته ثمنا له من راحتي وصحتي • والحمد لله» •

وقال في الثانية : «أهم من أشكرك – فيما اعتقد – ان اطمئنك علي وأنا في وضعي الذي تعلمه • لقد وجدت الله كما لم أجده من قبل قط • ولقد عرفت منهجه وطريقه كما لم اعرفه من قبل قط • ولقد اطمأننت الى

(٢٠٩) أيام من حياتي لزينب الغزالي : ١٨٢ •

رعايته ووثقت بوعده للمؤمنين كما لم اطمئن من قبل قط . وأنا بعد ذلك على ما عهدتني مرفوع الرأس لا أحنيه الا لله . والله يفعل ما يشاء . والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون» .

ولا نريد ان نعلق على هذه الفقرات ، فكل عبارة فيهما ، بل كل كلمة وحرف ، معالم مضيئة وبصائر هادية ، في طريق العمل الاسلامي اللاحب الطويل . بينها سيد قطب بكلامه بعد ما بينها بعمله وجهاده وثباته رضي الله عنه(٢١٠) ! .

وفي أثناء ذلك تعرض سيد في سجنه لوسائل شتى من الاغراء : منها أنه اذا قدم أسطرا لرئيس الدولة يعتذر عما فعله ! فانه سيخرجه من السجن ويعيد اليه اعتباره ، ويوليه وزارة التربية والتعليم ، واستخدموا اخوانه وأهل بيته للضغط عليه . ولكنه استعلى على كل هذه المحاولات ، وثبته الله على موقفه . وأطلق من سجنه عبارات نابعة من القلب ذهبت مثلا ، اذ صار يتمثلها كل من وفقه الله للسير على طريق العمل الاسلامي بجد وثبات واخلاص ! .

من هذه الكلمات الخالدة : اجابته على سؤال أحد اخوانه : لماذا كنت صريحا كل الصراحة في المحكمة التي تملك عنقك ؟ قال : «لأن التورية لا تجوز في العقيدة ، وانه ليس للقائد أن يأخذ بالرخص» .

وقال : «لماذا أسترحم ؟ ان سجنت بحق فأنا أرضى حكم الحق ، وان سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل» ! .

وقال : «ان اصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ، ليرفض أن يكتب حرفا يقر به حكم طاغية» .

وعندما طلب منه الاعتذار مقابل اطلاق سراحه قال : «لن أعتذر عن العمل مع الله» ! .

وأمام ضغط المظاهرات والاحتجاجات التي أحدثها الحكم باعدامه ، أوعز عبد الناصر الى رجاله بضرورة الاسراع في تنفيذ الحكم . وفي ليلة التنفيذ ١٩٦٦/٨/٢٨ جاء مدير السجن الحربي حمزة البسيوني — في

---

(٢١٠) انظر قصة الرسالتين وصورتهما بالزنكوغراف في مجلة كلمة الحق . العدد الثاني ١٣ — ١٤ .

محاولته الأخيرة للحصول على تنازل منه ـ وكلم شقيقته حميدة لتضغط عليه وقد روت ما جرى بقولها : «قال لي : ان الحكومة مستعدة أن تخفف هذا الحكم اذا كان شقيقي يجيبهم الى ما يطلبون • ثم أردف قائلا : ان شقيقك خسارة لمصر كلها وليس لك وحدك ، انني غير متصور أن نفقد هذا الشخص بعد ساعات ، اننا نريد أن ننقذه من الاعدام بأي شكل وبأي وسيلة ، ان بضع كلمات يقولها ستخلصه من حكم الاعدام ، ولا أحد يستطيع أن يؤثر عليه الا أنت ، أنت وحدك مكلفة بأن تقولي له هذا ••• نريد أن يقول : ان هذه الحركة كانت على صلة بجهة ما ، وبعد ذلك تنتهي القضية بالنسبة لك ـ أما هو فسيفرج عنه بعفو صحي •• قلت له : ولكنك تعلم ـ كما يعلم عبد الناصر ـ أن هذه الحركة ليست على صلة بأي جهة من الجهات ! قال حمزة البسيوني : أنا عارف وكلنا عارفون أنكم الجهة الوحيدة في مصر التي تعمل من أجل العقيدة ، نحن عارفون أنكم أحسن ناس في البلد ، ولكننا نريد أن نخلص سيد قطب من الاعدام! قلت له : «اذا كان سيادتك عاوز تبلغه هذا فلا مانع» ! ولما عرضت عليه مطلبهم قال لها : «والله لو كان هذا الكلام صحيحا ( الاتصال بجهة أجنبية) لقلته ، ولما استطاعت قوة على وجه الأرض أن تمنعني من قوله ، ولكنه لم يحدث وأنا لن أقول كذبا أبدا» ! •

ثم سمح لهما أن ينفردا ببعضهما قليلا ، فأفهمته أصل الطلب • فسأل سيد شقيقته «وأنت ترضين ذلك ؟ قلت : لا ، قال : «انهم لا يستطيعون لأنفسهم ضررا ولا نفعا ان الأعمار بيد الله ، وهم لا يستطيعون التحكم في حياتي ، ولا يستطيعون اطالة الأعمار أو تقصيرها ، كل ذلك بيد الله ، والله من ورائهم محيط ••»[٢١١] وحملها الأمانة للمرشد الهضيبي قائلا : «ان رأيت الوالد المرشد فبلغيه عني السلام وقولي له : «لقد تحمل سيد أقصى ما يحتمله بشر حتى لا تمس بأدنى سوء»[٢١٢] .

كان سيد قطب متشوقا الى الشهادة طالبا لها : قال في تفسيره لقوله تعالى : (ويتخذ منكم شهداء)[٢١٣] : «وهو تعبير عجيب عن معنى عميق •

---

(٢١١) ايام من حياتي : ١٨٣ بتصرف يسير •
(٢١٢) مسودة بحث الدكتور عبد الله عزام عن سيد قطب •
(٢١٣) آل عمران : ١٤٠ •

أن الشهداء لمختارون . يختارهم الله من بين المجاهدين ، ويتخذهم لنفسه ـ سبحانه ـ فما هي رزية اذن ولا خسارة أن يستشهد في سبيل الله من يستشهد ، انما هو اختيار وانتقاء وتكريم واختصاص .. ان هؤلاء هم الذين اختصهم الله ورزقهم الشهادة ليستخلصهم لنفسه ـ سبحانه ـ ويخصهم بقربه»(٢١٤) .

ولذلك قال عندما سمع الحكم باعدامه : (الحمد لله ، لقد عملت خمسة عشر عاما من أجل الحصول على هذه الشهادة) .

وفي ليلة التنفيذ تم نقله بسيارة الى المكان المعد لتنفيذ الحكم ليقضي فيه ليلته ، والتقطت له أجهزة الاعلام صورة عند ركوبه السيارة ، وظهرت في الصورة ابتسامة عريضة مشرقة ملأت وجهه وهو يودع اخوانه ، وقد وضع سيد قطب في ابتسامته هذه كل ما يريد أن يقوله لاخوانه ومؤيديه وتلاميذه والأجيال اللاحقة . وأبان فيها عن ثباته واستعلائه على المغريات ، كما أبان عن فرحته بقرب لقاء الأحبة في الجنة . محمد وصحبه .

وقبل بزوغ فجر يوم الاثنين ١٩٦٦/٨/٢٩ الموافق ١٣ جمادى الأولى عام ١٣٨٦ تقدم سيد واخوانه الى حبل المشنقة بخطى وئيدة ثابتة . وتنفس الصبح على منظر الأبطال الثلاثة وقد علقت أجسادهم بحبل المشنقة ، بينما حلقت أرواحهم في سماء العلياء ، ونزلت ملائكة السماء لاصطحاب هذه الأرواح الطاهرة في رحلتها الى عالم الخلود ، واصطف المؤمنون والشهداء لتحية هذا الموكب الكريم .. وتزينت الحور العين لاستقبال أزواجها وأزلفت الجنات للوافدين الجدد ، وأسدل الستار على آخر صفحة من حياة الرائد الشهيد في هذه الدنيا الفانية ، وبدأ عند ربه حياته الحقيقية في جنات الخلود التي طالما تشوقت روحه اليها .

علو في الحياة وفي الممات لحق تلك احدى المكرمات

«ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون»(٢١٥) . صدق الله العظيم .

---

(٢١٤) في ظلال القرآن . طبعة الشروق : ١ : ٤٨١ .
(٢١٥) آل عمران : ١٦٩ .

# الباب الثاني

# ثقافته ومواهبه وآثاره

# الفصل الأول

## مصادر ثقافتـــه

## في القريـــة

عرفنا أن سيد قطب أمضى دراسته الأولية في القرية ، وأنه كان في مقدمة الطلاب الأوائل مما يدل على أنه هضم الكتب الدراسية المقررة ، التي تعلم مبادىء القراءة والكتابة ، وتعطي للتلميذ معلومات أولية في مختلف العلوم ، تتناسب ونموه ٠

لم يكتف سيد بتلك الكتب بل طمحت نفسه الى المزيد من الثقافة ، فصار يرتاد المساجد ويحضر دروس التفسير والحديث والفقه التي يلقيها الأزهريون في مواسم معينة ، ويثقف نفسه بها ، وكان – على صغره – يتجرأ ويسأل الشيخ الواعظ ان أبهم عليه شيء أو تعارض ما يقوله مع معلومات سابقة لديه ! ٠

وبعد أن حفظ القرآن ، استفاد منه زادا ثقافيا جديدا ، بالاضافة الى تقويم لسانه وحسن بيانه ، حيث تفتحت مواهبه المبكرة على أساليب القرآن الفنية المؤثرة وقد كان لذلك أكبر الأثر على مسيرة سيد قطب الأدبية الفنية والبيانية فيما بعد ٠

كما كان يكثر في قريته من الاطلاع على الكتب الأدبية من قصصيـة أو شعرية أو تاريخية ، والتي كان يعدها له مدرسوه الذين أعجبوا به وبمواهبه وتوقعوا له نبوغا ، ومستقبلا في عالم الأدب والفكر والثقافة ٠

ولا ننسى في هذا المجال الجريدة اليوميـة التي كان والده مشتركا فيها ، والتي كان يقرؤها للقادمين الى البيت ، ثم يخلو بنفسه اليها ويطالع أخبارها وتحليلاتها السياسية ومقالاتها الأدبية والعلمية والاجتماعية ، والقصص والأشعار التي تنشرها حيث كانت هذه أغلب موضوعات الصحف في ذلك الوقت ٠

وازدادت حصيلته الثقافية ، بمكتبته الكبيرة – بالنسبة الى سنه – والتي اشتراها من (العم صالح) بائع الكتب المتجول ، حيث قرأها كلها ، كما قرأ الكتب الأخرى التي اشتراها زملاؤه في القرية ، وكانت موضوعاتها متنوعة فهي اما قصص خرافية أو مترجمة أو كتب صغيرة للأطفال أو كتب سحر وطب شعبي ٠

وجمع الى هذا كله تصوراته التي رسخت في ذهنه عن عفاريت القرية وغيلانها وجنها والقصص الريفية القديمة التي سمعها وانفعل بها ، ومواويل الغربة والشوق والمحبة ٠ المنبعثة من أفواه العمال والمحبين ٠

# مصادر ثقافته العربية

قدم سيد قطب الى القاهرة ومعه حصيلته الثقافية التي كونها في قريته ، وهناك راح ينهل من معين الثقافة الصافي ، في الكتب الدراسية المنهجية ، التي كانت مقررة عليه ، سواء في دراسته في مدرسة المعلمين الأولية ، أو في تجهيزية دار العلوم ، أو في كلية دار العلوم نفسها التي تخرج منها للحياة العملية ٠

درس في هذه المرحلة ، الكتب العربية ، التي تشمل علوم العربية ممثلة في النحو والصرف والعروض والبلاغة بأقسامها ، والأدب العربي تاريخه وأطواره ٠ والأدب الجاهلي والاسلامي والأموي والعباسي والمملوكي والأدب الحديث ٠ والنقد الادبي واتجاهاته ومدارسه ، والقصة ومناهج التأليف فيها ٠ كما درس الشعر في الأدب العربي ٠ الشعر الجاهلي وأبرز شعرائه ، والشعر في العصور اللاحقة ، ومدارس التجديد في الشعـر العباسي ، والشعراء الموهوبين كالبحتري وأبي تمام وابن الرومي والمتنبي والمعري ، ورجال الشعر في العصر الحديث ، والمدارس الشعرية المعاصرة ٠

ودرس علوم الدين الاسلامي ، متمثلة في الفقه وأصوله ، والحديث ومراحله ، والتفسير وأبـرز كتبه ومناهج المفسرين ، وعلوم القـرآن والبلاغة القرآنية مثل بديع القرآن ومعانـي القرآن وتشبيهـات القرآن وكناياته ٠ واعجاز القرآن ومراحله ومدارسه ٠

لم يتعمق في هذه العلوم الدينية والعربية ، وانما ألم منها بنسب مختلفة متفاوتة حسب مناهج الدراسة المنهجية ، والمقصود من تدريسها للطالب أن يلم باجمال مختصر يمكنه من التعمق في هذه الموضوعات ان أراد في المستقبل ٠

جمع سيد قطب بالاضافة الى الدراسات السابقة ، دراسات أخرى في التاريخ والجغرافيا وعلم الاجتماع والرياضيات والفلسفة ، والعلوم من فيزياء واحياء ، ومناهج التربية ورجالها وأساليبها ٠

كان سيد يمثل في هذه المرحلة الطالب الذي يعي ما يدرسه ، ويتفاعل معه ويتأثر به ، ويزيد رصيده الثقافي · حتى بز أقرانه وحاز اعجاب أساتذته · وقد تخرج من الكلية مجازا في اللغة العربية وآدابها · ولم يكن خالي الوفاض من المعرفة والثقافة كبعض الخريجين وانما ضم جوانحه على حصيلته الثقافية ، ثم نماها وغذاها باطلاعاته الجديدة ·

## مصادر ثقافته الغربية

خرج سيد الى الحياة العملية ، مزودا بثقافته الواسعة التي حصلها أثناء دراسته في مراحلها المختلفة ، ولكنه لم يكتف بها بل راح يبحث عن مصادر جديدة يضيفها الى رصيده الثقافي ويوسع آفاقه من خلالها ٠

وجد ضالته في مكتبة استاذه العقاد ، التي كانت مليئة بمختلف نتاج الفكر الغربي ، شعرا أو أدبا أو قصة ، أو تاريخا أو فلسفة أو علوما طبيعية أو تربية أو دراسات نفسية ، أو حضارية منها ما هو بلغته الاصلية ومنها ما هو مترجم الى العربية ٠

وقد كان العقاد وزميلاه المازني وشكري ، يتأثرون بالفكر الغربي والثقافة الغربية ، ومن المعجبين بالنتاج الغربي في شتى نواحي المعرفة الانسانية ، بل انهم كيفوا نفوسهم وفق معطيات هذه الثقافة ، حيث نمت عقولهم وثقافتهم عليها ، وتكونت نفسياتهم وتربت على مبادئها ٠ وصار من الطبيعي أن يتأثر تلاميذهم بهم ، وان يتركوا لمساتهم واضحة على نفسية هؤلاء التلاميذ !!

ولقد كان أثر العقاد على سيد قطب كبيرا ٠ اذ وجهه الى البحث والدراسة والتحليل حيث فتح له مكتبته ليتزود بمختلف فروع المعرفة والثقافة ٠ ودعمه في بدء حياته العملية ، وحال بينه وبين الفكر الماركسي الذي كان يمكن ان يتجه اليه ٠

وأغراه بدراسة الفكر الغربي والثقافة الاوروبية التي راح يعب منها ، والتي أثرت على فكره ونفسه واحاسيسه ، وتسببت بمرحلة من القلق والضياع والشك والحيرة كادت تعصف به وتوقعه في الضياع والعدمية ، حيث انقطعت كل صلة بينه وبين نشأته الاولى ، وتبخرت ثقافته الدينية وعقيدته الاسلامية ، ومر بمرحلة من الارتياب في الحقائق الدينية الى اقصى حدود[1] على حد قوله لابي الحسن الندوي ٠ وقد طالت هذه المرحلة في حياتـــه ، وأخرت وجهته الاسلامية لفترة طويلة ٠ وقد كان العقـــاد هو المسؤول المباشر عن هذه المرحلة ! لانه هو الذي وجهه اليها !!

---

(١) مذكرات سائح من الشرق العربي للندوي : ١٨٩ ٠

# رحلة الضياع

ان الثقافة الاوروبية في القرن الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين ، والتي نهل منها سيد قطب واستاذه العقاد : « تتميز بالسير نحو الفردية ، وتنمية الاستقلال الفكري والنفسي ، وايجاد قيم خاصة ، والخروج على القيم السائدة ، ولذلك فان الذي ينهل منها بغير ميزان ثابت يتيه في مجاهلها ويضيع في تيار ضلالها(٢) ٠

وقد تركت آثارها في مختلف نواحي المعرفة الانسانية ، بصياغتها لها وفق مبادئها وتصوراتها وقيمها : « ان اتجاهات الفلسفة بجملتها ٠ واتجاهات تفسير التاريخ الانساني بجملتها ٠ واتجاهات علم النفس بجملتها ـ عدا الملاحظات والمشاهدات دون التفسيرات العامة لها ـ ومباحث الاخلاق بجملتها واتجاهات التفسيرات والمذاهب الاجتماعية بجملتها ـ فيما عدا المشاهدات والاحصائيات والمعلومات المباشرة ، لا النتائج العامة المستخلصة منها ولا التوجيهات الكلية الناشئة عنها ـ ان هذه الاتجاهات كلها في الفكر الجاهلي ـ أي غير الاسلامي ـ قديما وحديثا متأثرة تأثرا مباشرا بتصورات اعتقادية جاهلية ، وقائمة على هذه التصورات »(٣) ٠

نهل سيد قطب من هذه المعارف المختلفة التي انتجتها الثقافة الغربية وكيفتها كما تريد ٠ وراح يلتهم كل ما تنتجه المطبعة العربية من كتب مؤلفة أو مترجمة ، أو دواوين شعرية ، أو دوريات يومية أو أسبوعية أو شهرية ٠ وكانت هذه الدوريات تحمل خلاصة الفكر الغربي ، وآخر مكتشفات العلم هناك ، وكان سيد يجد لذة في الاطلاع على هذه الخلاصة ومتابعة ما يجري هناك اولا بأول ٠ وكانت مجلة ( المقتطف ) هي الرائدة في هذا المجال(٤) ٠

تشرب سيد قطب هذه الثقافة ٠ وغدا صاحب نظرات في الادب والنقد وفي الفلسفة والتربية وعلم النفس ، وفي الحياة ومعناها وسرها وغايتها

---

(٢) سيد قطب لبركات : ١٢ ٠

(٣) معالم في الطريق : ١٧١ ٠

(٤) انظر ما اورده كمثال لاطلاعاته في تلك الفترة في مجلة دار العلوم السنة السابعة ـ العدد الرابع ـ ابريل ١٩٤١ ٠ صفحات ٤٠ ـ ٤٢ ٠

واهدافها ورسالة الانسان فيها ، نظرات جديدة وفق قيم هذه الثقافة ومبادئها واتجاهاتها • وصاغ عقليته الثقافية على هديها ، ومر بمرحلة من الضياع والشك ، والحيرة والقلق ، والعذاب والالم ، فكان يبحث ويتأمل وينظر ويفكر ويسأل الاحياء والاموات والجوامد ، يريد أن يكشف سر الحياة ، ويعرف كنهها وغايتها ، فحاول السير الى القمة ، وغاصت أقدامه في الرمال ، وراح يبكي ويصرخ من الالم ، ويلوم نفسه المتحفزة وعقله الباحث ، على ما وصل اليه ، ويتمنى لو يدركه الموت ليخلصه من عناء المعرفة وعذاب البحث وظل يبحث ويتأمل ويسأل كل يوم فلا يصل الى الاستقرار ، ولا يجد لاسئلته واستفساراته مجيبا فوقع في قلق دائم ، وهياج مستمر ، وفقد اطمئنان الضمير ، وسعادة النفس ، وراحة البال ، وسعة الصدر ، ويقين القلب ، فقد نفسه وقلبه ويقينه وحياته وسعادته • فغدا رجلا بائسا حزينا قلقا عدميا ، لم يعرف سر وجوده ، ولا سر الكون من حوله ، ولا هدف الحياة التي يحياها فاعتبرها تافهة بكل ما فيها ، واعتبر الفناء نهايتها ، بكل ما فيها من افكار وقيم ، ومشاعر واعمال • وسيطرت عليه روحه العدمية ، وراح ينشر قصائده التي تنضح بهذه الروح وغدا شبيها بعمر الخيام في رباعياته وضياعه وقلقه وحيرته !!!

هذا الكلام عن سيد قطب قد يبدو غريبا ، ولكن لن يستغربه الا انسان لم يدرس مراحل حياته ، ولم يتعرف على اتجاهاته في هذه المراحل لان معظم الناس لم يعرفوه الا مفكرا اسلاميا اصيلا ، ولم يتعرفوا عليه الا في مرحلة العطاء الفكري التي ختم بها حياته • والبعض تعرف عليه اديبا ناقدا قبل اتجاهه الاسلامي ، ولكن من لم يدرس حياته بالتفصيل ، ولم يطلع على نتاجه المتنوع المنشور في الصحف والمجلات ، لم يعرفه حق المعرفة !!

ولو قام باحث بجمع قصائده المنشورة في هذه الدوريات ، ورتبها ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نشرها ، لعرف هذه المرحلة من حياته ، وتعرف على اتجاهاته فيها ، ولمس اثر الثقافة الغربية عليه ، وشاهد ملامحه في رحلة الضياع التي سارها ، والتي أنقذه الله منها ، فلم يصل الى نهايتها ، حيث نقل خطاه نقلة بعيدة في طريقه الى الخلود •

وسنقدم فيما يلي نماذج من قصائده ، فيها الدليل القاطع على ما ذكرناه !!

من هذه القصائد قصيدة ( السر ) التي نشرها في يناير ١٩٣٥ ، والتي يقول فيها مخاطبا اصحاب القبور عند زيارته ( لوادي الموتى ) : يقول معرفا بنفسه :

هو الشاعر الملهوف للحق والهدى ... وللسر لم يكشفه ضوء لناظر
تحير في سر الحياة وما اهتدى ... اليه ولم يقنع بتلك الظواهر
وساءل عنه الموت والموت سادر ... وساءل عنه الشعر في حنق ثائر
وساءل عنه كل شيء فلم يفز ... بشيء ولم يرجع بصفقة ظافر
أفي هذه الاجداث طلسم سره ... لعل فمن يدري بسر المقابر(٥)

وقد عرف أهل القبور بقصده من زيارتهم قائلا :

أنا الحي لما يدر اسباب خلقه ... انا المدلج الحيران بين الخواطر
دلفت الى وادي المنايا لعلني ... افوز بسر في حناياه غائر

ثم طرح أسئلته عليهم ، وكله أمل في أن يجد عندهم الجواب الشافي عليها !!

أما تعلمون السر في خلق عالم ... يموت ويحيى بين حين وآخر
وتكنفه الاحداث من كل جانب ... ويركب للغايات شتى المخاطر
وليس له من غاية غير أنه ... مسوق الى تحقيق رغبة قاهر
ضنين بما يبغيه ليس يبيحه ... لسائله عما وراء الظواهر
وماذا وراء الغيب والغيب مطبق ... وهل يتجلى مرة للنواظر
سؤال أخي شوق وقد طال شوقه ... وحيرته بين الشكوك الكوافر(٦)

ولكنه لم يسمع سوى صدى اسئلته ، فرجع خسران خائب الآمال ، وراح يتمنى لو يأتيه الموت ليريحه :

فألفى سرابا ثم لا ينقع الصدى ... فواندما عن بحثه المتواتر
فقد كان خيرا أن يعيش على المنى ... ويأمل بعد الموت كشف الستائر
ويا ليت هذا الموت يسرع خطوه ... فيطوي حيا عمره ربح خاسر(٧)

---

(٥) دار العلوم ــ السنة الاولى ــ العدد الثالث ــ يناير ١٩٣٥ . صفحة ٨٣ ــ ٨٤ .
(٦) دار العلوم : ٨٥ .
(٧) دار العلوم ــ نفس المرجع : ٨٦ .

ويوجه في قصيدته « الانسان الاخير » دعوة الى عزرائيل كي يخلصه من هذا العذاب والضياع ، فقد يئس من معرفة سر الحياة :

هنالك دوت في السماكين صيحة — دعـاء لعزرائيل والكـون سادر
برمت بهذا الكون همدان موحشا — برمت بملك ربـــه فيه خاسر
فهيـــا اذن للموت اروح رحلـة — لتكشف استار ويهـــدأ ثائـــر
وفيما يعاني سكرة الموت رقرقت — الى مسمعيـــه هاتفات سواحـر
« هو السر أن تهفوا الى السر لهفة — وأن تشتروالآتي بما هو حاضر»(٨)

ويصور نفسه فردا في ( قافلة الرقيق ) يسير مذعنا الى المجهول ، فاذا ما حاول التوقف لمعرفة السر اقتيد قسرا الى رحلته • يقول في قصيدته ( قافلة الرقيق ) :

قف بنـــا يا حادي العمر هنـــا — لحظـــة ننظر مـــاذا حولنـــا
في طريـق قـد نثرنـا عمرنـا — فيـه اشـلاء حيـــاة ومنـــى
قـد نثرناهـا على طـول الطريق — ومضينـــا ضمن قطعان الرقيـق
موكب يعطو الى الشط السحيـق — مغمض العينين يمشي موهنـــا
مـن ظـلام الغيب تخطو قدمـاه — لظـلام الغيـب تنساق خطـــاه
في طريـق غامض يدعـى الحياة — يهتف الحادي فيمضي مذعنا(٩)

ويبلغ سيد قطب قمة ( العدمية ) والشعور بتفاهة الحياة ، وفنائها وزوالها بما فيها من قيم وآمال وشخوص وظلال ، وتبدو لمسات الثقافة الجاهلية واضحة عليه ، بل يخيل للقارىء أن صاحب القصيدة ليس سيد قطب الذي عهده ، بل هو عمر الخيام ( قائد الضائعين ) في رحلة الحياة الذي يقول :

لبست ثوب العمر لـــم استشر — وحرت فيه بين شتى الفكـــر
وسوف انضو الثوب عني ولـــم — ادر لماذا جئـــت اين المفر ؟(١٠)

---

(٨) المقتطف ـ مجلد ٨٥ ـ الجزء الرابع ـ ديسمبر ١٩٣٤ • صفحة ٤٣٤ •

(٩) الكتاب ـ المجلد الثاني ـ الجزء الثامن ـ يونية ١٩٤٦ : ٢٩٠ •

(١٠) كتب وشخصيات : ٧٦ •

اقول ان سيد قطب يمثل هذا في قصيدته ( أقدام في الرمال ) التي يقول فيها :

نحن ؟ ام تلك على الارض ظــلال وخيــال ســارب اثر خيــال
في متاهــات وجــود لــزوال كبقايا الخطو في وجــه الرمــال
زمــر تــدلف في اثــر زمــر ويح نفسي انــه ركب البشر
مغمض العينين في كف القــدر كلمــا أوغل في التيــه اندثر
أين رأس الركب أم أيان سارا ما أرى في اثــره حتى غبــارا
ما أرى قبرا وما أبصــر دارا ضلة لــي ! ذاك ظل وتــوارى
من ظلام الغيب في التيه البعيــد لظلام الغيب في التيــه المديــد
ومضة كالبرق تجتــاز الوجــود ويسميها بنو الارض الخلــود
خدعــة راقت لابنــاء الفنــاء حينمــا اعيا على الارض البقاء
المساكــين هبــاء في فضــاء رحمة للــذر في مسرى الهواء !
ما أرى الأرض تحس الوافــدين أو أرى الارض تحس الراحلــين
كل ما كان وما سوف يكــون نأمة تهجس في جــوف السكون
خطوات ذاهبــات في الرمــال وخيــالات تــراءى لخيــال
وشخــوص تتــوارى كظــلال للزوال .. كل شيء للزوال(١١)

وقد خلع سيد قطب على الكون كله حيرته وتعبه وضياعه ، فصوره لنا يقف شاخصا حيران لا يعرف وجهته ، وبين ان كل ما فيه فهو ضائع . يقول:

وقف الكون حائرا أين يمضي ؟ ولماذا وكيف لــو شاء يمضي ؟
عبــث ضائع وجهــد غبــين ومصير مقنع ليس يرضــي(١٢)

(١١) الكتاب ـ المجلد الثاني ـ الجزء الثاني عشر ـ اكتوبر ١٩٤٦ . صفحة ٩٣٠ .
(١٢) في ظلال القرآن ـ دار الشروق : ٦ : ٣٣٥٢ .

## نقلة بعيدة

لو استمر سيد قطب في رحلة الضياع التي وصفناها ، لقضى عمره في ضياع ، قلقا حائرا بائسا حزينا ، يسأل ولا يجد جوابا ، يبكي ويصرخ ، ويتعذب ويتألم • ويئن ويشكو ، لا يجد قلبه ولا نفسه ولا معنى لحياته !!

ولكن الله قدر له أمرا آخر ورسم له طريقا جديدا ، وأعد له مهمة كبرى !! وسار سيد في الطريق الذي رسمه الله له ، بخطى ثابتة موفقة واذا به يتحول كلية من حال الى حال ، واذا بنفسه وحسه ، ومشاعره وافكاره وقيمه ، تولد ولادة جديدة ، وتتكيف مع الوضع الجديد واذا به انسان آخر ، واضح الملامح والسمات ، مقطوع الصلة بالماضي الذي وصفنا ولا يكاد المرء يصدق أن سيد قطب الذي عرفه بالامس ، هو نفسه سيد قطب الذي يعرفه اليوم ، بل يكاد يجزم انهما شخصان مختلفان !!

ويزول عن المرء استغرابه ، وتنتهي حيرته ، عندما يعرف السر الذي ادركه سيد قطب والذي غير حياته ونظراته الى الكون والانسان والحياة ، هذا السر هو ومضة الايمان التي أضاءت جوانح قلبه ، فبددت ظلامه ، وراح يمشي مبصرا في عالم النور ، سويا على صراط مستقيم !!

أومضت له هذه الومضة النورانية ، عندما أقبل على القرآن الكريم • وكان أول اقباله عليه انه اراد أن يطالعه ويدرسه ويتمعن فيه ، لدواع ادبية صرفة ، فقد أراد أن يتحسس مواضع الجمال الفني فيه ، ووفق في اكتشافه الجديد الذي سجله في كتابه ( التصوير الفني في القرآن ) •

لم يكن قد تكيف مع القرآن حتى الآن ، ولا عاش حياته الحقيقة في ظلاله لانه لم يتخلص بسهولة من الرواسب التي تركتها الثقافة الغربية في نفسه • وانما راح – في معاناة وجهد عجيبين – يتخلص منها ويتكيف مع حياته الجديدة •

وعندما سافر الى امريكا ، ورأى الجاهلية هناك على حقيقتها ، تعمقت معاني الايمان في قلبه وشعشع النور في شغاف قلبه ، وعلى ضوئه أخذ يدرك سر الحياة وغايتها •

يقول في مقاله ( موسيقى الوجود ) انه احس بهذه الموسيقى مرتين : « مرة وانا في عرض المحيط ، والباخرة تمر مر الريح على وجه الخضم ،

والنسيم رخاء والليل ساكن والقمر مفضفض اللألاء • والثانية وأنا على قمة جبل تشرف على حديقة من الصخور يسمونها هنا ( حدائق الالهة ) وقد انكشف المرتقى والمنحدر كلاهما ، واعتنقا عند تلك القمة الشاهقة في الفضاء ، لست ادري كيف أحسست ، ولست أدري كيف أقول الا أن تعبيرا واحدا انساب على لساني في تلك اللحظة التي أومضت في روحي كما تومض الشعلة ، فتكشف الطريق الى بعيد ثم تغيب •• تعبير واحد أحسست فيه كل ما فاض على خاطري في تلك اللحظة من قدسية وشفافية وتسبيح ( موسيقى الوجود )(١٣) •

وقد أثرت فيه هذه الومضة النورانية التي اسماها ( موسيقى الوجود ) مباشرة وتمكنت من حسه ونفسه ووجدانه ، واكتشف سر الحياة على ضوئها • واعلنها واضحة : « كلا انها ليست لقى هذه الحياة ، ولا وليدة المصادفة العمياء » • « كلا ان هناك نغما واحدا ساربا في هذا الكون كله ولكن الآذان لا تسمعه في كل آن ، وان هناك نسقا واحدا يضم الاشتات ، ولكن العيون لا تبصره في كل اللحظات » • ثم يتساءل بعدما أحس : « هل خدعتني الاوهام وكذبتني الاحلام ؟ كلا ! فاني لأكذب ما تلمسه يدي • وما تراه عيني وما تسمعه اذني ولا اكذب مس هذه اللحظة الخاطفة لروحي واشراقها في ضميري »(١٤) •

تفاعل كيانه مع هذه الومضة ، وفتح مغاليقه لهذا النور ، وتذوقت روحه حلاوة الايمان وهنا احس انه قد ولد من جديد ، احس لذة الراحة وبرد اليقين ، ووجد نفسه وذاته ، وعرف سر وجوده • لقد رزق الايمان اكبر منة في الوجود ، وضم جوانحه عليه ، وصار عليه حريصا ، وبه ضنينا لقد عرف قيمة ما معه ، وصار أغلى عنده من الحياة نفسها ، لأن قلبه من قبل قد اجتاحه القلق والظلام ، وعمرته الوساوس والشكوك ، واستبد به الاسى والشقاء ، وتخبط طويلا في ظلماء ، لا يعرف اين يضع قدميه ، وصرخ قلبه طويلا صرخات موجعة ، أما الآن فهو فرح مسرور لحصوله على هذا الرصيد من الهدى والنور ، والثقة والطمأنينة ، والرضا والسعادة والمعرفة واليقين •

(١٣) الكتاب ـ المجلد التاسع ـ الجزء الرابع ـ ابريل ١٩٥٠ : ٣٢٦ •
(١٤) الكتاب ـ نفس المرجع : ٣٢٧ •

استقرت حقيقة الايمان في قلبه ، وسيطرت على وجدانه وحسه وفكره ووجهت مشاعره وأفكاره ، وأعماله وسلوكه ، نحو الغاية المحدودة • أثر الايمان في نظرته الى الوجود ، فوسع من تصوره له ، وقوى من يقينه ، فانطلق يصحح على أساسه تصوره للقيم والاشياء ، والاشخاص والاحداث واطمأن بذلك في رحلته على هذه الأرض • وأنس بكل ما في الوجود من حوله وشعر بقيمته وكرامته واحس بأن له مهمة مرسومة ، وهدفا محددا وطريقا واضحة • وان عليه أن يتحمل ذلك كله بأمانة واخلاص ، ليرضي الله عز وجل ، ويحقق الخير للناس •

وجد بهذا الايمان الجواب الفاصل اليقيني على أسئلته التي طالما وجهها الى الاحياء والاموات والكون ، عرف من أين جاء ؟ ولماذا جاء ؟ وبهذا الجواب اختفت عنه مشاعر القلق والشك والحيرة الناشئة عن عدم معرفته المنشأ والمصير ، وعدم رؤية المطوي من الطريق وعدم الثقة بالحكمة التي تكمن وراء مجيئه وذهابه ، ووراء رحلته في الحياة •

لقد كسب بايمانه كسبا ضخما في عالم الشعور وعالم التفكير ، وعالم الجسد والاعصاب(١٥) •

أقبل على القرآن يتذوقه ويعيش معانيه ، وأقبل على الثقافة الاسلامية : « ينهل منها ويعب ولا يرتوي •• حتى بلغ مجموع ساعات مطالعاته في اليوم عشر ساعات كحد أدنى للبحث والاطلاع »(١٦) •

صاغ على هدي هذا القرآن قيمه ومبادئه وموازينه ، وفكره ونفسه ووجدانه ، ومشاعره واحاسيسه وصار يسعى الى تطبيق ما يؤمن به ، ويكيف حياته وسلوكه وواقعه وفقه • لم يعد ـ على هدي حالته الجديدة ـ يؤمن بالتفريق بين المبدأ وصاحبه ، لأن المبدأ أو الفكرة بدون عقيدة حارة تدفع قلب الشخص الى الامام ليس سوى كلمات خاوية أو معان ميتة • أو صياغة لفظية خالية من الروح والحياة • وان التفريق بين الفكرة والشخص كالتفريق بين الروح والجسد أو المعنى واللفظ وان تمت فانما تعني التحلل والفناء •

---

(١٥) لبيان أثر الايمان في نفسية صاحبه • أنظر «في ظلال القرآن» ٦ : ٣٣٥١ ـ ٣٣٥٣ دار الشروق •

(١٦) انظر مقالة يوسف العظم في ( الشهيد سيد قطب ) : ٢٧ •

وقد حدثنا عن تجربته في معايشة ما يؤمن به « وكنت أجدني أقرب الى حقيقتي وأنا اكتبه الى حد أن أعيش هذه الأفكار والخواطر ، وأترجمها شعورا وسلوكا • لحظة بعد لحظة ويوما بعد يوم ، وكنت أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسي بسبب عيشتي لهذه الافكار ما يملأ حياتي غبطة ، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقول للناس وما أزاوله في الحياة »[١٧] •

وبدأ يتخلص من أثر الثقافة الغربية عليه ، ويزيل رواسبها شيئا فشيئا ، فصار وهو في أمريكا يهاجم الحضارة الغربية في عقر دارها ، ويكشف عوراتها ومساوئها ، ويعلن بعزة وشجاعة تمسكه بالاسلام ويدعو اليه على بصيرة •

وعندما عاد الى مصر ، أدرك على هدي ايمانه الجديد ، انه لا بد أن يجند نفسه ووقته وطاقاته ومواهبه لخدمة هذا الدين ، والدعوة اليه وتحكيمه في واقع الحياة ، فرأيناه جنديا عاملا في الدعوة الاسلامية ، حيث سخر كل ما يملك في سبيل الله ، من خلال عمله مع جماعة الاخوان المسلمين •

تغيرت نغمة كتاباته بعدما تعمق الايمان في قلبه • فانصرف عن نظم الشعر ، وعن الاهتمامات الأدبية الأخرى من مقالة أو نقد أو بحث ، واتجه الى الاسلام في مقالاته وبحوثه ، يجلي محاسنه ويبين مبادئه ، ويعالج أمراض المجتمع على هديه ، ويجاهد الجاهلية به ، ويستخرج معالم الطريق منه •

وبمقدار ما أغاظ أعداء الاسلام في داخل البلاد وخارجها باتجاهه الجديد ،وبروحه الفتية التي توفرت لديه ، بمقدار ما استحوذ على قلوب الشباب المؤمن في الداخل والخارج ووجدوا في مقالاته وبحوثه ومحاضراته ونشاطاته ، زادا لهم ومعرفة وثقافة وجعلوه قدوة لهم ورائدا يكشف أمامهم الطريق •

تحولت كلماته الى معالم مضيئة ، تنير الطريق للمجاهدين ، وفي نفس الوقت تحولت الى كوابيس مرعبة تقض مضاجع الظالمين ، وانذارات موجهة الى اعداء الدين •

وقد كانت كلماته وافكاره الوقود الذي أشعل الثورة المصرية ، وقد عجب هو نفسه من قوة الكلمة ، وكشف عن سر هذه القوة قائلا : « ان

---

(١٧) الكتاب : المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ابريل ١٩٥١ : ٣٩٠ ـ ٣٩١ •

السر العجيب ليس في بريق الكلمات وموسيقى العبارات ، انما هو كامن في قوة الايمان بمدلول الكلمات وما وراء الكلمات ، انه في ذلك التصميم الحاسم على تحويل الكلمة المكتوبة الى حركة حية والمعنى المفهوم الى واقع ملموس • في هذا يكمن سر الكلمة وفي شيء آخر : في استمداد الكلمات من ضمائر الشعوب ومن مشاعر الانسان ومن صرخات البشرية ومن دماء المكافحين الاحرار !• انه ليست كل كلمة تبلغ الى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها • انها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب انسان حي • كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب الانسان • أما الكلمات التي ولدت في الأفواه ، وقذفت بها الالسنة ، ولم تتصل بذلك النبع الالهي الحي ، فقد ولدت ميتة ، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا الى الامام • ان أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة ، والناس لا يتبنون الاموات ان أصحاب الأقلام يستطيعون أن يصنعوا شيئا كثيرا ، ولكن بشرط واحد : أن يموتوا هم لتعيش أفكارهم • أن يطعموا أفكارهم من لحومهم ودمائهم • أن يقولوا ما يعتقدون أنه حق ، ويقدموا دماءهم فداء لكلمة الحق ، ان أفكارنا وكلماتنا تظل جثثا هامدة حتى اذا متنا في سبيلها أو غذيناها بالدماء ، انتفضت حية ، وعاشت بين الاحياء •

فالى الذين يجلسون الى مكاتبهم ويكدون قرائحهم ، لينتقوا اللفظ الانيق ، وينمقوا العبارة الرنانة ، ويلفقوا الأخيلة البراقة • الى هؤلاء اتوجه بالنصيحة : وفروا عليكم كل هذا العناء فان ومضة الروح ، واشراق القلب بالنار المقدسة • نار الايمان بالفكرة •• هو وحده سبب الحياة حياة الكلمات وحياة العبارات »(١٨) •

بهذه الكلمات القوية ، أبان لنا عن سبب تأثير كلماته ، وأرانا روحها وعلى هذا الهدي سار في بقية حياته ، فعاش عزيزا شجاعا عاملا ، ولما ضيق عليه في دنياه ، واكتوى بنار المحنة والابتلاء مع اخوانه ، سخر بالجلادين والطغاة ، واستعلى عليهم بايمانه ، وأراهم من نفسه العزة والكرامة ، وعاش سنوات المحنة ، في الزنازين والسجون ، في جو آخر ، وحلق في آفاق شفافة عالية ، عاش مع القرآن ، وتفيأ ظلاله ، وتذوق الفاظه ومعانيه وقيمه ، وأخرج للعالم نتيجة نظراته ودراساته فيه ، وبين لنا طرفا من حياته معه ، وكشف لنا عن سر روحه ونفسه الراضية الآمنة •

(١٨) دراسات اسلامية : ١٣٨ ــ ١٣٩ •

وأخيرا بذل روحه في سبيل دينه ، وقدم نفسه فداء لما يؤمن به ، ولقي ربه شهيدا صادقا وفيا ، قال قبل أن يلقى الشهادة : « ان كلماتنا تبقى عرائس من الشمع ، حتى اذا متنا في سبيلها دبت فيها الروح وكتبت لها الحياة »[19] .

وما أن خرجت روحه من جسده ، حتى دبت الحياة في كلماته ، فتلقفها الشباب الظامىء الى الاسلام ، وراح يغترف من منهلها ، ويحيي نفسه وفكره وروحه بمعانيها .

ان سيد قطب يمثل نموذجا خاصا يذكرنا بالصحابة الكرام عند استقبالهم لهذا القرآن ، فما أن يومض الايمان في قلب أحدهم حتى يتحول الى رجل جديد بملامح جديدة ، ويكيف سلوكه وواقعه وفق تعاليم الاسلام، ويخلع على عتبة الاسلام كل ماضيه ، وهكذا كان سيد قطب ، لمسنا فيه آثار هذا الايمان ، وسار معه نقلة بعيدة ، وهذا يبين لنا فضل الاسلام عليه ، فلولاه لبقي ضائعا تائها قلقا ، وبه صار رائد أجيال وقائد دعوة ومدرسة جهاد «يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان ان كنتم صادقين »[20] .

صار سيد قطب ـ بالاسلام ـ رائدا ، والرواد في تاريخ الانسانية قليلون . وقد بين لنا طبيعة هؤلاء الرواد بقوله : « ان الرواد دائما ، كانوا وسيكونون هم أصحاب الطاقات الروحية الفائقة ، هؤلاء هم الذين يحملون الشعلة المقدسة التي تنصهر في حرارتها كل ذرات المعارف ، وتنكشف في ضوئها طريق الرحلة ، مزودة بكل هذه الجزئيات ، قوية بهذا الزاد ، وهي تغذ السير نحو الهدف البعيد ! هؤلاء هم الرواد الذين يدركون ببصيرتهم تلك الوحدة الشاملة ، المتعددة المظاهر في : العلم والفن والعقيدة والعمل ...

انهم قليلون ، قليلون في تاريخ البشرية .. بل نادرون ! ولكن فيهم الكفاية .. فالقوة المشرفة على هذا الكون هي التي تصوغهم ، وتبعث بهم في الوقت المقدر المطلوب »[21] !

---

(١٩) دراسات اسلامية : ٢٢٨ .

(٢٠) الحجرات : ١٧ .

(٢١) افراح الروح : ١٩ ـ ٢٠ .

# الفصل الثاني

## ملامح شخصيته وخصائص أسلوبه

### أهم ملامح شخصيته

ان المتتبع لسير سيد قطب في مراحل حياته المختلفة ، منذ طفولته الى استشهاده ، والدارس لنتاجه وآثاره ، والمطلع على مواقفه واعماله ، والمتذوق لادبه وبيانه ، يستطيع ان يرسم في مخيلته صورة واضحة القسمات تبدو فيها ملامح شخصيته ، وتظهر فيها العوامل المؤثرة في نفسيته ، كما تطل منها على السطح سجاياه ومزاياه واخلاقه !

وقبل ان اوجز اهم ملامح شخصيته ، ارى من المناسب ان ادعه يتحدث عن شخصيته ويحلل نفسيته ، ويرينا اياها واضحة ، فأدرى الناس بالنفس وخباياها هو صاحبها ، يقول سيد متحدثا عن نفسه :

« نفسي خيرة محبة ، يغمر الحنان جوانبها ، تريد ــ لو استطاعت ــ ان تبسم لكل شيء وان يبسم لها كل شيء ٠ وهي تعشق الرضا والهدوء ، وتتلمسهما في كل ناحية ، وفي كل مظهر من مظاهر الحياة ، وتود لو كانت الحياة منبسطة هادئة لا عوج فيها ولا نتوء ، ولكنها مع ذلك تحتفظ بخيرها وحنانها في اشد ساعات الغضب والانفعال والسخرية ، وهي تود الا تغضب ولا تنفعل في يوم من الايام ، حتى اذا انتهى ذلك الموقف عاد اليها حنانها ، وعادت تبحث عن مظاهر الود والمحبة بحث اللاهث المستزيد ! وكل ذلك في غرارة بريئة مندفعة ، في رضاها وسخطها على السواء ٠ وفي طفولة كبيرة لا تخرج منها الا وهي تحن اليها ، وتسخط على الحوادث والتجارب التي فجعتها فيها ٠

ويعلل سبب ثورته وشكواه وغضبه وسخطه بأنه ناتج عن ( التفاعل بين الحياة بقسوتها وسكونها وبين هذه النفس التي تفجع في هدوئها وتنكب في آملها ) ٠

ويبين آفاق حبه بقوله : « وهذا الحب الذي يخفق به قلب شاعرنا ليس مقصورا على حب المرأة ولا حب الاصدقاء ، وما اردت ذلك فقط حين

قلت ان نفسه ( محبة ) وانما قصدت الى معنى اشمل • هو معنى الحب العام الذي يعمر النفوس فلا يدع فيها مكانا للبغضاء أو الحقد والذي يجعلها نزاعة ابدا الى الاجتماع والعطف ، وتلقى كل مظهر من مظاهر الحياة بنوع من القبول والرفق ، فهو يود لو يشمل الكون جميعه بالحنان، وان يشمله كل شيء في الكون بالحنان كذلك وأن يكون بينهما تعاطف وتراحم وتواد •

ويكمل تحليل نفسيته ببيتين من الشعر يقول فيهما :

هو قلب ما درى كيف الشرور    لا ولا كيف يرائي أو يخون
يحفظ الود وحاشا ان يجور    ولكم يبكي لمرأى البائسين(١)

ونستطيع ان نضيف الى تحليله الذي ذكر فيه بعض ملامح شخصيته ، وسمات نفسيته بعض الملامح الاخرى :

**الصدق :**

غرست هذه السمة فيه منذ صغره ، وبقيت ملازمة له طيلة حياته ، فقد كان في طفولته صادقا في كلامه ، وفي معاملاته ، وفي علاقته مع الاخرين ، وعندما شب سيد قطب وصار يمارس الكتابة ونظم الشعر ، انصبغت آثاره كلها بهذه الصبغة ، الصدق المطلق • الصدق في بواعث القول والصدق في الاحساس الشعوري • فما كان ينظم قصيدة الا بعد ان يعيشها في شعوره وتتوهج نفسه في الاحساس بمعانيها ، ثم تأتي الكلمات والابيات الشعرية تنقل هذه التجربة التي مر بها بصدق • ولذلك ما رأينا سيد قطب ـ مثل بعض الشعراء ـ يقف في المجامع والاحتفالات ينشد قصائده يتزلف بها في مدح ملك أو عظيم(٢) ، وما رأيناه ـ كغيره من الشعراء ـ يقول الشعر في معان لم تتفاعل بها نفسه ، وقد عاب في

---

(١) الاسبوع ـ المجلد الثالث ـ عدد ٣٧ تاريخ ٨ اغسطس ١٩٣٤ • صفحة ١١ •

(٢) غير قصيدة نشرها سيد قطب في مجلة دار العلوم باسم (المهرجان) قالها في مدح فاروق ، ولا نعرف دوافعه الى انشادها ، الا ان مجلة دار العلوم خصصت ذلك العدد الذي نشرت فيه القصيدة بجلوس فاروق ملكا على العرش ، ونشرت فيه قصائد كثيرة منها قصيدة سيد قطب • هذا ولم اجد اختا لهذه القصيدة فيما اطلعت عليه من شعره !! أنظر مجلة دار العلوم ـ السنة الرابعة ـ مارس ١٩٣٨ • صفحات ٥٢ ـ ٥٤ •

مقالاته النقدية كثيرا على شعراء المناسبات الذين تكون القوافي عندهم جاهزة للقول في أي غرض شعري ·

انصبغت مقالاته بهذه الصبغة ، فكان صادقا في قول ما يريد ، يقوله صريحا فيه ، غير عابيء بما يصيبه منه ، المهم عنده انه كان صادقا مع نفسه في التعبير عما تحس به · ولذلك ضاق الادباء ذرعا بمقالاته النقدية التي وجهها لادبهم وشعرهم ، وحاولوا بشتى الوسائل ان يحملوه على ان يغير احكامه ولكنه كان يصر عليها !

كذلك ضاق النظام الحاكم في مصر – وعلى رأسه الملك – بمقالاته الصادقة التي بين فيها امراض المجتمع ، واظهر فيها صورا عديدة من الظلم الاجتماعي يتجلى فيها الترف الفاجر في مقابل البؤس والحرمان ·

ولقد اتصفت بحوثه المختلفة بالصدق ، وما سجل افكاره وآراءه الا بعد ان عاشها في قلبه وواقعه ، وما اعلنها للناس الا بعد ان اقتاتت قلبه وتغذت بدمه ، ولذلك اقبل عليها الدعاة العاملون ، لانها حية حملت روحا من روحه ، واصطبغت بلهجته الصادقة ·

ونتيجة لهذه الصفة صار تعامل رجال السياسة معه مستحيلا ، لان حياتهم مبنية على الكذب والخداع ، فلم يتمكن من الاستمرار في حزب الوفد ، ولا حزب السعديين ، ولم يكن مرضيا عنه عند رؤساء في وزارة المعارف ، ولا عند اصحاب الصحف ، لانهم لا يطيقون الا من يتزلف اليهم · وعندما قامت الثورة ، لم يستطع ان يسير معهم في وظيفته الجديدة الا عدة شهور ولما استحال عليه بصفته هذه الاستمرار في حياته الوظيفية ، اعتزل الوظائف كلها ، وانصرف الى الشباب المؤمن المجاهد يربيه في صدق ·

كان صادقا في اتجاهه الى الله ، ففتح الله له المغاليق ، وأنار له معالم الطريق ، وأعانه على الصبر والثبات في المحنة ، ووفقه في بحوثه الاسلامية الحركية الجادة !

وكان صادقا في طلبه الشهادة ، فرزقه الله اياها ، وجاءته تسعى اليه في سجنه ، وكتب الله له السعادة والحياة الابدية على ايدي قوم – بؤساء – كتبت عليهم التعاسة والشقاء بازهاقهم روحه الصادقة !

**الجديــة :**

وكمــا اصطبغت شخصيته بالصدق ، تميزت كذلك بالجديــة ، فهو جاد منذ صغره ، لا مجال في حياته للهو أو لعب أو ترخص ٠ وبينما كان لداته الصغار من الاطفال ينصرفون الى العبث واللعب ، كان هو منصرفا الى الجد والمثابرة ، في مدارسة كتبه ، أو مداومة النظر في آيات القرآن يحفظها ، أو مطالعة الكتب التي اشتراها ، أو مشاركة الكبار احاديثهم الجادة ، أو السير في الحقول يتأمل خلق الله !

وعندما شب وكبر ، وانصرف زملاؤه الى العبث واللهو ، انصرف هو الى الجد ، المتمثل في اهتماماته الادبية ، من مطالعة الكتب ، أو كتابة البحوث والمقالات ، أو نظم الشعر ، فلم يجد متسعا من وقته لللهو أو الترخص ٠

وكانت الجدية في البحوث التي اتجه اليها ، حيث لم تكن اهتماماته الادبية منصرفة الى كتابة المقالة الساقطة أو القصة المكشوفة ، أو القصيدة العابثة ، وانما الى البحوث الادبية الجادة ودراسة الشخصيات الادبية ، وتحليل نتاجها ، ورسم ملامحها ٠

كان حريصا على وقته ان يضيع ، يقول في احدى محاضراته مخاطبا جمهورا من المثقفين « وانا ممن يؤمنون ايمانا جازما بأن اعمارنا القصيرة ، وساعاتنا المحدودة في هذه الحياة العاملة اقصر وأثمن من ان تضيع في التكرار ، وكل مطلع شمس لا يغذيني بجديد ، ويعوضني عن اليوم الفائت من عمري ، عمقا وسعة في فهم الحياة ٠ هو خسارة لا تعوض »(٣) ٠

وكانت الجدية في حياته الاسلامية الزاهرة ، فلم تفارقه حتى وهو في امريكا البلد التي تغوي الكثيرين بمباهجها ومفاسدها ، بل انصرف فيها الى الحياة الجادة المستقيمة ٠

وتتمثل الجدية في مسيرته مع جماعة الاخوان المسلمين ، قبل دخول السجن ، واثناء سجنه حيث صار – بجديته في مواقفه التي وقفها – منار جهاد للعاملين !

---

(٣) دار العلوم السنة السابعة – العدد الرابع ابريل ١٩٤١ ٠ صفحة ٣٩ ٠

« وتظهر الجدية في الموضوعات التي عالجها ، والبحوث القيمة التي قدمها ، حيث كان يكتب في مشكلات الساعة وقضاياها الملحة التي يعيشها الناس ويعانون من شرورها وآثامها ، ووضع الحلول الصالحة التي يعتقد صوابها وجدواها »(٤) .

كما « تظهر الجدية أيضا في الاهتمام بالكليات والاصول ، والابتعاد عن الجزئيات والفروع التي تستهلك اوقات المسلمين واعمارهم في معارك كلامية جانبية ، وجدل فارغ عقيم »(٥) حيث راح يركز في بحوثه وموسوعته ( الظلال ) على العقيدة ، وترسيخها في القلب ، ويعرضها عرضا اخاذا بليغا ، ويؤثر في الوجدان ، متأثرا باسلوب القرآن في العرض ، ومبتعدا عن طريقة المتكلمين والفلاسفة العقلية الجافة .

**الحركيـــة :**

لم يكتف سيد قطب بالنظر في نصوص القرآن ، بقصد المتعة العقلية ، والزاد الثقافي وانما نظر فيها بقصد العمل والحركة ، ولذلك ما ان تعرف على هذا الزاد ، واضاء نور الايمان جوانح نفسه ، حتى سارع بالانضمام الى الحركة الاسلامية ، جنديا مـع العاملين ، وسخر كـل امكانياته الثقافية والعملية للاسلام ، وعاش اقسى تجربة عملية حية ، ولاقي الكثير ، واحتمل اقصى ما يحتمله بشر ، من صنوف الاذى والعذاب ، وقابل هذا بنفس راضية ، وصبر عجيب . وفي سجنه ، ومن خلال مواجهته للجاهلية التي كادت له . راح ينظر في نصوص القرآن ، ويتذوقها على هدى تجربته الجديدة ، ولابس الاحداث التي عاصرت نزولها اول مرة ، وتنسم جوها الواقعي . انتقل بتجربته الجديدة الى جو مكة والدعوة مستضعفة ، والمسلمون مسجونون في الشعب ، وسمعت اذنه اصوات السياط تهوي على اجساد القلة المؤمنة ، في جنبات مكة ، ولذعت جسده بألمها وجراحها ، ورأت عيناه الدماء تسيل من اجساد المجاهدين في مكة ، وسار مع الحركة الاسلامية خطواتها الاولى خطوة خطوة ، وراح ينظر في نصوص القرآن على ضوء مسيرته الجديدة ، فوجد له مذاقا جديدا وفتح

---

(٤) فقه الدعوة لاحمد حسن : ٧ .

(٥) فقه الدعوة : ٨ .

الله عليه فهما جديدا ، وانار له معالم الطريق اللاحب الطويل ، فسار فيها بثبات وعزم ويقين ٠

وآتاه الله المفتاح الحركي الذي فتح به كنوز القرآن الحركية ، هذا المفتاح هو قوله : « ان المسألة ــ في ادراك مدلولات القرآن وايحاءاته ــ ليست هي فهم الفاظه وعباراته ، ليست هي « تفسير » القرآن كما اعتدنا ان نقول ! المسألة ليست هذه ٠ انما هي استعداد النفس برصيد من المشاعر والمدركات والتجارب ، تشابه المشاعر والمدركات والتجارب التي صاحبت نزوله وصاحبت حياة الجماعة المسلمة وهي تتلقاه في خضم المعترك ٠ معترك الجهاد ٠ جهاد النفس وجهاد الناس ٠٠٠ الخ »(٦) ٠

وقد جعل هذا اساس تفسيره « في ظلال القرآن » ، ودعا الذين يريدون فهم القرآن الى الحركة به كما تحرك هو ، ومواجهة الجاهلية بنصوصه كما واجه هو ، والعيش في ظلاله كما عاش هو ، وتتبع مسيرة الجماعة المسلمة الاولى كما تتبع هو ، والصبر على مشاق الطريق كما صبر هو ، وتحمل كل ما يلاقيه اثناء المسير كما تحمل هو ٠ واعلن انه بدون هذه الطريق ، فان القرآن لن يفتح كنوزه لاي باحث مهما اوتي من العلم والمعرفة والثقافة ٠ وبين ان هذا هو الميدان الذي يجب ان يدخله العاملون ، ودعا العلماء والباحثين والمؤلفين الى دخوله ، وكشف النقاب عن ان العمل في الجانب الفكري النظري الاسلامي وحده ، هو ضياع العمر والجهد فيما لا طائل تحته ، وان من يسلكه فانه يتهرب من دفع ضريبة العزة ، وانما يؤثره قاصدا الراحة ، طالبا العاقبة المأمونة ، ونصح للذين يسلكون هذا الجانب وحده ــ وهم يظنون انهم يخدمون الاسلام ــ بأن يشتغلوا بعمل آخر يتكسبون منه كالزراعة والصناعة(٧) ٠

**العصاميـــة :**

واعني بها دأبه ومثابرته ، لتحصيل العلم والثقافة ، والتزود كل يوم بجديد ، وتثقيفه نفسه بنفسه ، واقباله على الثقافة ينهل منها ، وخوضه غمار البحث والدراسة وحيدا دون معونة احد ٠

---

(٦) خصائص التصور الاسلامي : ٧ ــ ٨ ٠

(٧) انظر خصائص التصور الاسلامي : ٧ ــ ١١ والظلال ٤ : ١٨٩٤ و ٤ : ٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٦ ٠

فقد وهبه الله نبوغا وذكاء وعبقرية وفطره على محبة البحث والتحليل والمطالعة ، ولو اكتفى بنبوغه وذكائه لما قدم لنا هذا النتاج الكبير ، لان النبوغ وحده لا يكفي ولا العبقرية كذلك ولا بد من ان يتبعهما الدأب والثبات والمثابرة • وكثيرا ما تضيع المواهب الفنية لانها لم يواكبها الدأب والمثابرة •

أقبل سيد قطب على الكتب القديمة والحديثة ، العربية والمعربة ، وعلى المجلات في مختلف التخصصات ، وكون منها رصيدا ثقافيا كبيرا ، استطاع به ان يكون اديبا وشاعرا وقاصا وصحفيا وناقدا ومصورا وباحثا، وما كان يترك كتابا مهما كان الا ويطلع عليه ، ولا يضيع لحظه من وقته في ليل أو نهار ، بل عندما كان جسمه الناحل يعلن تمرده ، ويصاب بالاعياء والتعب والمرض • وينصحه الاطباء بالاخلاد الى الراحة ، كان يجلس على سرير المرض متأملا متفكرا أو يتناول اوراقه ليسطر عليها قصيدة أو مقالة •

يقول سيد قطب مشيرا الى عصاميته : « وانا اليوم احمد الله على انني خططت طريقي بنفسي مستقلا وبجهدي خالصا لم يأخذ بيدي عظيم ، ولم يقدمني الى الناس استاذ »(٨) •

بهذه الهمة القوية والعصامية النادرة ، شق سيد قطب طريقه في عالم الادب والنقد ففي الثلاثينيات كان من الشعراء الشبان الذين يشار اليهم بالبنان ، ونظم قصائد ترقى الى عيون الشعر العالمي ، وفي الاربعينيات كان في طليعة النقاد المصريين المرموقين ، بل كان ناقد مصر الاول ، وهو لم يتخصص في دراسته بالنقد ، ولم يتعمق في مناهجه ، بل استصحب معه حاسة نقدية عميقة ، وفطرة سليمة ، وفي اوائل الخمسينيات كان في طليعة ادباء العربية •

وعندما اتجه وجهته الاسلامية ، شق طريقه في عالم الفكر بنفسه ، وأقبل على امهات الكتب الاسلامية في مختلف التخصصات • وصار ينشر بحوثه الاسلامية التي اثرت في الناس ، وهزت عروش الظالمين •

---

(٨) الثقافة ـ السنة الثالثة عشرة ـ عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١ • صفحة ٨ •

وعندما ضاقوا به ذرعا زجوا به في السجن ، وصبوا عليه صنوف العذاب والاضطهاد ، وما ان خف عنه ، حتى عاد سيرته الاولى في عالم البحث والدراسة والتأليف ، فوجد في سجنه خلوة خلا فيها الى نفسه وفكره ، وأقبل على القرآن الكريم ، واصدر موسوعته الاسلامية ( في ظلال القرآن ) • وغيرها من البحوث الاسلامية الحركية الجادة التي اثرت في مسيرة الحركة الاسلامية !

ان الانسان ليعجب من انسان ينتج كل هذا النتاج في السجن ! ولكن المطلع على حياة سيد قطب والمتعرف على شخصيته والمدرك لعصاميته ، يزول عنه هذا العجب ، فهو طراز وحده ، بين الادباء والنقاد والباحثين والعلماء والرواد والمفكرين !

**العـــزة :**

وقد جبلت نفسه عليها سجية ، ونماها والده فيه ، فكان منذ صغره يأنف مواقف الذل والجبن ، وينفر من المواقف التي تسيء له ، أو تسبب له الضعف أو الغضاضة ، كان معتدا بنفسه ، واثقا من شخصيته •

وقد سيرت هذه الصفة حياته العملية ، في الوظيفة والصحف والمجلات التي كان يعمل فيها ، فما عرفنا عنه انه وقف موقف ذل أو ضعف أو جبن أو استخداء ، بل كان عزيزا ابيا وهذا ما عقد علاقته برؤسائه الذين لم يتعودوا من المرؤوسين الا السكوت أو الجبن والاستخداء يقول سيد قطب : « انا لا أؤمن بهذا الحياء الذي يقعد باصحاب الكفايات عن بلوغ حقهم وترك الكلاب تلغ في الاستثناءات وغير الاستثناءات • بل انا اشك في كفاية هـذه الكفايات التي ترى حقوقها تؤخذ وتعطى للكلاب مـن الوصوليين ثم تتقبل ذلك وتستنيم »[٩] !

وعندما تعرف على النور الالهي ، وسار في طريقه الاسلامي الواضح ، نمى الايمان هذه الصفة ، وطبعها بطابعه ، واعطاها بعدا اسلاميا ، واغاظت هذه الصفة اعداءه الذين عذبوه وساوموه ، ولكن الايمان استعلى

---

(٩) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٨٩١ تاريخ ٣١ يوليو ١٩٥٠ • ص ٨٧٢ •

في قلبه ، والعزة والاباء تمكنت من نفسه ، فصمد وصبر وثبت ووفي بالعهد ، وعندما طلبوا منه ان يعتذر ، واجههم بعزيمه الايمان وعزة المسلم ، وقال عبارته التي تقطر حروفها عزة واباء : « لماذا استرحم ؟ انا ان سجنت بحق فأنا اقبل حكم الحق وان سجنت بباطل فأنا أكبر من ان استرحم الباطل !

هذا بالاضافة الى صفات اخرى لم تفارقه ، وملامح بارزة ميزت شخصيته ، منها :

الشجاعة النادرة التي نماها الاسلام ، والتي تجلت في مواقفه بعد انضمامه الى جماعة الاخوان المسلمين ، ودخوله السجن ، ومواقفه امام المحققين ، وامام القضاة والمحلفين !

ومنها الكرم والسخاء الذي اشتهر به ، حيث كان ينفق ما يأتيه ، ولم يدخر شيئا من المال الوفير الذي يأتيه من ريع كتبه المطبوعة مرات ومرات .

وقد روى لي الاستاذ احمد عبد الغفور عطار حادثة غريبة رآها بنفسه تدل دلالة واضحة على كرمه ، فقد كان العطار يزوره في منزله في حلوان كثيرا ، وكان أثاث غرفة الاستقبال متواضعا لان حالة سيد قطب المادية لم تكن تسمح له بتحسينه ، وزاره ذات يوم فوجد عنده أثاثا جديدا جميلا ، فسر بهذا التغيير ، ثم زاره مرة أخرى فوجد أثاثا قديما ! فاستغرب ، وبعد الحاح منه على سيد قطب ليعرف حقيقة الامر ، أجابه بأنه باع الاثاث الجديد ، وقدم ثمنه مساعدة لاحد اخوانه ، ليتمم مصروفات زواجه ! وقال له : ان ما معك من المال لا يكفي لنفقات الزواج فاذا انفقته عشت فقيرا معدما ، فاستعن بمالك على حياتك العائلية القادمة ، وانا اتبرع بكل نفقات الزواج !

وكان الذي تبرع به هو ثمن اثاثه الجديد !

هذه هي القمة في الكرم ، وهذا هو الايثار – كخلق اسلامي – يقدمه سيد قطب في صورة عملية ! .

وكان لأقاربه ، وللفقراء والمحتاجين من الناس عموما ، ومن الاخوان المسلمين على وجه الخصوص ، ولأسر المعتقلين من الاخوان ، كان لهم نصيب

من ماله ، وقد شمل كرمه المجرمين في السجن ، كما شمل السجانين ، وتعداهم الى الحيوانات الأليفة كالقطط والكلاب ! ٠

ومنها النزاهة : فقد عاش سيد قطب حياته كلها نزيها شريفا نظيفا ، لم تمتد يده الى مال بغير حق ، ولا الى عظيم أو كبير يتزلفه مادحا ، ليهب له بعض عطاياه ، ولا الى جهة ما عارضا عليها خدماته مقابل حفنة من المال يبيع بها نفسه ، كما فعل ويفعل كثير من قادة الرأي والفكر والأدب والثقافة ! لقد عاش سيد قطب حياته فقيرا ، حتى انه ـ رغم المال الوفير الذي يأتيه من كتبه المطبوعة مرارا ـ لم يستطع أن يدخر من المال شيئا ، لكثرة أعبائه المالية ، ولكرمه وجوده وكان من الممكن أن تكون هذه نقطة ضعف يستغلها من يودون استغلاله وتسخير مواهبه لخدمتهم ولكن نفسية سيد قطب الحساسة المرهفة ، وشخصيته النزيهة المستقيمة تأبى عليه أن يحمل مواهبه الى سوق المزايدات التي تباع فيها الأفكار والقيم والمبادىء والمثل ! ٠

وقد حدثني أحد الأساتذة الفضلاء ـ وقد كانت له بسيد قطب صلة وثيقة ـ عن حادثة تدل على نزاهة سيد قطب وهي أقرب الى الخيال ! قال : «اتصل بي سيد قطب تلفونيا ذات يوم ، وطلب مني أن آتي الى منزله سريعا ، ورجاني ـ باستحياء ـ أن أحضر معي بضعة عشر جنيها لأنه مريض ولا يملك ثمن الدواء ! قال : فذهبت الى منزله مسرعا ، ورأيت هناك مشهدا عجيبا ! وأقسم لقد دهشت مما رأيت ! كان مع سيد قطب في الغرفة سفير دولة عربية بترولية ، وأمامه حقيبة مليئة بالأوراق المالية من مختلف الفئات ! تبلغ عدة آلاف ، وهو يرجو سيد قطب بحرارة أن يأخذها فهي هدية من دولته له ، لأنها تعرف منزلته ومسؤولياته وتريده أن يستعين بها على أعباء حياته ، ويمول بها مشروعاته الأدبية والفكرية ٠٠ ويتابع هذا الأستاذ الفاضل حديثه قائلا : ونظرت الى سيد قطب فاذا به حزين مكتئب ٠ ثم رد هدية السفير بحزم ٠ وبدا الغضب عليه وهو يخاطبه : لا أبيع نفسي وفكري وعقيدتي بأموال الدنيا كلها ، فأعد أموالك الى حقيبتك ! ثم التفت سيد قطب الي وقال : هل أحضرت ما طلبته منك ؟ فناولته المبلغ ، ففرح به كثيرا ! ولما عرف السفير قصة المبلغ خرج محتارا متعجبا مما رأى ٠ وقال : ان كثيرا من قادة الرأي والفكر والأدب يأخذون من دولتي هدايا مالية باستمرار ٠ ولكن سيد قطب طراز وحده ! ٠

وهذه الحادثة أثبتها بدون تعليق ، وأسوقها لمن يتناولون حياة سيد قطب وفكره وآراءه الحركية ومواقفه الجهادية بالتخطئة • وهم يعيشون في ترف ظاهر ، ويلهثون وراء المال ويرتبطـون الارتباطات المشبوهـة ! وأقول لهم : قليلا يا هؤلاء ! فرحم الله امرؤا عرف قدر نفسه ! وأين أنتم من هذا الامام الشهيد !!!!! •

ومنها ما وصفه به الدكتور طه حسين – عندما قدمه الى الحضور ليلقي محاضرته في نادي الضباط بالزمالك – القاهرة في أغسطس (آب) عام ١٩٥٢ – حيث قال : «ان في سيد قطب خصلتين هما : المثالية المثالية والعناد ••»(١٠) •

ويعني بالمثالية المثالية أن سيد قطب كان مثاليا • فكل سيرته وحياته ومواقفه مثالية فهو فيها قدوة مثلى ، ومثل عملي للمقتدين والعاملين والسائرين • كما أنه مثالي في المثالية – وهذه قمة جديدة أسمى من كونه مثاليا – فهو ليس قدوة ومثل فقط ، بل هو مثال رفيع في قدوته ومثاليته !

أما العناد : فيعني به أن سيد قطب كان يصر على ما يراه انه الحق ، اذا عرف حقا اعتقده ، وآمن به ، وثبت عليه فكان عنيدا في الحق ، عنيدا في مواقفه ، عنيدا في كفاحه وجهاده ، عنيدا في مواجهته مع الجاهلية من حوله ، فلم يثن عزيمته وعناده أمر من الأمور التي تحطم الرجال الأشداء الأقوياء حطما ! وهذه الصفة جرت عليه أذى كثيرا من قبل الطغاة لأنهم حاولوا – بشتى الوسائل – تحطيم عناده في الحق ، ولكنهم مـــا استطاعوا الى ذلك سبيلا ! •

ومنها تواضعه الجم ، فرغم منزلته البارزة في عالم الفكر والبحث والتأليف ، وفي عالم العمل والحركة والجهاد ، وفي عالم العذاب والأذى والابتلاء ، الا أنه لم يدل بما قدم ، ولم يمن على العاملين ، كما يمن كثير من ادعياء التقوى والتواضع ، بل كان من العباد الأتقياء الأخفياء لأنـــه قدم ما قدم وهو يرجو الثواب من الله •

---

(١٠) انظر مجلة ( كلمة الحق ) العدد الثاني : صفر ١٣٨٧ مايو ١٩٦٧ • صفحة ٣٧ – ٣٨ •

ومنها حبه ووفاؤه ، واخلاصه وتجرده ، ويقظته وجرأته واقدامه ، وسمو روحه ورضا نفسه ووضوح الرؤية لديه ، والعمق في فكرته ، والشمول في معالجاته ، والثورية في فكره وشخصه ، وغير ذلك من السمات الواضحة في شخصيته والتي سيرت خطاه في حياته ، وحددت له مواقفه(١١) .

(١١) ومن الذين تحدثوا عن صفاته احمد حسن في تقديمه لكتاب ( فقه الدعوة ) وزين العابدين الركابي في تقديمه لكتاب ( معركتنا مع اليهود ) ومحمد علي قطب في كتابه ( سيد قطب ) والدكتور عبد الله عزام في دراسته التي يعدها عنه ، ويوسف العظم في كتابه الذي هو تحت الطبع ، واحمد عبد الغفور عطار في مجلته ( كلمة الحق ) العدد ٢ .

## خصائص أسلوبه

اذا كان اسلوب الكاتب انعكاسا لشخصيته ، فان هذا يصدق صدقا كاملا على سيد قطب واسلوبه ، حيث نجد ابرز ملامح شخصيته التي اشرنا اليها ، تظهر على اسلوبه واضحة وتصبغه بصبغتها ٠

من المعروف ان سيد قطب كان تلميذا من تلاميذ المدرسة العقادية في الادب ، وهي المدرسة التي حملت لواء التجديد ، وبخاصة التجديد في المعاني والاساليب ٠

وقد عني هو بالتجديد في الاسلوب ، حيث خرج على الاساليب القديمة ، التي كانت تعتمد على الزخارف اللفظية ، وتبالغ فيها ، على حساب المعاني والافكار ، وقد دعا كناقد ادبي ذواقة الى اعتماد الاسلوب الجميل في الصياغة والى المعاني الصادقة القيمة التي يحويها ٠

ان أهم مميزات اسلوبه هي :

### ١ ـ التصوير :

وقد استفاد هذه السمة ، من طبيعته الفنية الشاعرة ٠ وذوقه العميق وخياله المتناسق ونفسه المصورة الحالمة ، كما استفادها عندما اقبل على القرآن الكريم وهو صغير ، فكان له اكبر الاثر في تنمية مواهبه المصورة ٠ وعندما سطع نجمه في افق الأدب ، واقبل على القرآن يتذوقه من جديد ، وخرج بنظريته التي اكتشفها فيه وهي (التصوير الفني) ٠ راح في اسلوبه ينسج على منواله ، ويترسم طريقته في التعبير والعرض ٠

### ٢ ـ الوضوح :

وهي سمة ناتجة عن وضوح الفكرة في الذهن اولا ، الناتج عن المعاناة والمعايشة والتفكير فيها ، فيأتي تعبيره واضحا كوضوح الفكرة نفسها ، لانه صادق في الدلالة على ما في ذهنه ٠

### ٣ ـ السلاسة :

حيث كان يعني دائما ، ببيان فكرته ، والتدليل عليها ، ويستخدم في ذلك الالفاظ الموحية والتراكيب المتقاربة ، وقد اوتي في هذه الناحية مقدرة فائقة ، وكأن اللغة العربية اسلمت له قيادها ، فراح ينتقي من مستودعها ، ما يحلو له من الالفاظ والتراكيب التي يراها تجلو فكرته ٠

وبما أنه قد أتى بأفكار جديدة ، غريبة على الوسط الذي يعيش فيه ، سواء في النقد الأدبي الذي تربع على عرشه ، او في الفكر اسلامي الذي صار رائدا له ، فانه كان يحتاج الى بيان واسهاب في شرح هذه الافكار ، والتدليل لها ، لتحظى بالقبول عند القارىء الذي يستغربها لاول وهلة ولولا مقدرة سيد قطب في اختيار الالفاظ والتراكيب المناسبة لما نجح في بسط افكاره هـذه ٠ وقد عد البعض هـذا عيبا في اسلوبه ، واعتبروه تكرارا يؤدي الى الضيق في نفس القارىء ، ولكن الامر ليس كما ظنوا ، اذ انه سلاسة في الاسلوب لا تكرار في الافكار ٠

### ٤ ـ الثوريـــة :

يمتاز اسلوبه كذلك بالثورية ، واعني بها الهجوم والحدة ، وهـذا ناتج عن الثقة بالنفس الى درجة كبيرة ، وقد خاض في المرحلة الأدبية من حياته معارك ادبية عديدة ، ضد ادباء كبار وتمتع بنفس طويل في الهجوم وكان يخرج من كل معركة منتصرا ، ويرتفع باسلوبه هذا كثيرا في اعين الأدباء ، والقراء والدارسين ، الذين يتشوقون لهذا الاسلوب الحاد في الكتابة ٠ وعندما انصرف الى الاصلاح السياسي والجتماعي لم تفارقـه صفة الثورية في الكتابة ، وبهذه الصفة غزا قلوب القراء ، واحفظ قلوب الأعداء واوقع الغيظ فيها ، وعندما اتجه الى الفكر الاسلامي راح يهاجم الحضارة الغربية ، والجاهلية بأفكارها ومؤسساتها ، بل انـه قاد هذا الفكر من مرحلة الدفاع على استحياء ، الى مرحلة الهجوم المباشر ، وصار بهذه الصفة هو الكاتب المفضل عند الجماهير التي تفضل هذا اللون من الكتابة٠

انه مهاجم في كل حالاتـه ، فهو يهاجم مهاجما ، ومدافعا ومجادلا ، ولكنه لم يسف في استخدام ذلك ، ولم يخرج الى حد المهاترات والسباب وانما كان له من عقله الواعي وفكره المتزن عاصما يعصمه من الوقوع في هذا٠

وهذه السمة في اسلوبه ، اوقعت القارىء في خطأ ، عندما يرسم له في مخيلته صورة لشخصيته ، اذ يتصوره ضخم الجسم عريض ما بين المنكبين ، قوى البنية ، مفتول العضلات ، ولكنه يفاجأ عندما يراه ، ضعيف البنية ، ناحل الجسد ، تبدو عليه سيما الموادعة واللطف والود والايناس.

كذلك يمتاز اسلوبه بالبساطة والحيوية والعمق ، والجاذبية والصدق وقوة العاطفة والاشراق[١٢].

---

(١٢) أنظر فقة الدعوة لاحمد حسن : ٩ ـ ١٠ ، وسيد قطب لفضل الله : ٦٦ ـ ٦٨ وسيد قطب لبركات ١٧ ـ ١٩ .

# الفصل الثالث

## مواهبــــه

حبا الله سيد قطب مواهب كثيرة ، مثل الذكاء والنبوغ ، ومحبة البحث والدراسة والتحليل · ولم يكتف سيد بهذه المواهب ، أعني لم يعتمد عليها ، ويجعلها سلاحه في خوضه غمار الثقافة والمعرفة ، اذ هي وحدها لا توصل صاحبها الى شيء ، وكثيرا ما رأينا أناسا اعتمدوا على مواهبهم الفطرية وحدها ، فضيعوها وسيطر عليهم الكسل والخمول · ولم يتقدموا الى الأمام خطوات تذكر ·

أما سيد قطب فانه استخدم هذه المواهب خير استخدام ، وغذاها بهمته وعصاميته وجهده فكان يصبر نفسه على البحث والدراسة·ويشدها اليه ، حتى أسلمت له قيادها ، وأشغلها بدأبه ومثابرته وجهده ، فصار يقرأ ويمضي الساعات الطويلة في القراءة والاطلاع ، وراح يكتب ويقف عند الفكرة وقفة المتأمل المتعمق ، ينظر فيها ، ويقلب وجوه النظر ، ويركز ذهنه عليها ، ويخرج بعد هذا كله بالتحليل الصائب الشامل العميق ·

ما ترك سيد قطب مجالا من مجالات الأدب والفكر الا تحدث فيه ، ولا ميدانا الا خاضه بهمة عالية وثقة أكيدة ونظرة فاحصة ورأي سديد · كان له دراساته المتنوعة ، واطلاعه الواسع على شتى أنواع المعارف والآداب والفنون ، وثقافته العريضة ، وعقليته الكبيرة ، التي تستوعب ما يصلها ، وتزوده بما عندها من آراء ، وتدفعه الى أسلوبه الرصين الذي يحسن التعبير عن مضمون ما فيها ، ويخرجه الى رواد الأدب والثقافة فينال ثقتهم ويحظى باعجابهم ·

ان الناظر في تراث سيد قطب ليعجب من المساحة العريضة الفسيحة التي جعلها ميدانا له ، والتي أجاد فيها بما قدمه لعشاق الأدب والفكر والمعرفة ·

ونحن ان شاء الله سنشير اشارات خاطفة الى مجالات نتاجه المختلفة ، والتي تعيننا على تلمس الخطوط العريضة فقط ، وذلك حسب ما تقضي به طبيعة هذا الكتاب ، وفي الحقيقة انه يستحق أن يفرد في كل مجال بدراسة مستقلة ، للتعرف على ما قدمه فيه ، وعلى آرائه وأفكاره وعلى عبقريته الواسعة في شتى هذه المجالات • سواء في الأدب أو الشعر أو النقد أو القصة أو المقالة أو الصحافة ، أو الفلسفة أو التاريخ أو علم النفس أو السياسة أو الخطابة أو الدراسات الاسلامية المختلفة[١] •

---

(١) أرجو الله أن يعينني على القيام ببعض هذه الدراسات خدمة لهذا الامام وتراثه من ناحية ، وخدمة للمعرفة والثقافة والبحث من ناحية أخرى •

# سيد قطب الأديب

تفتحت مواهب سيد قطب الأدبية في القرية وغذاها ونماها بدراساته واطلاعاته ، وفي القاهرة درس الأدب في تجهيزية دار العلوم ثم في الكلية ، وبدأ حياته الأدبية في مدرسة العقاد ، التي كانت تعني بالتجديد في المشاعر والأساليب .

الأدب عنده ليس ترفا ولا اشغالا للوقت ، ولا مجرد صياغة لفظية مزركشة ، ولا بضاعة يحملها صاحبها ويبذلها لمن يدفع الثمن ، ويبيع أدبه ومواهبه له ! .

ان الأدب عنده هو «التعبير عن تجربة شعورية في صورة موحية»(٢). فالتجارب الشعورية هي مادة التعبير ، واذا لم يستمد منها ، صار مجرد صياغة ، تعتمد على رصيد صاحبها من الألفاظ والعبارات ، لا شأن لها بالمشاعر والأحاسيس ، وهي بهذا بعيدة عن أن تسمى عملا أدبيا موحيا .

كذلك يشترط للعمل الأدبي عنده كي يكون أدبا أن يكون صاحبه صادقا في تجربته الشعورية صدقا واقعيا وفنيا ، بحيث عندما تقرأ للأديب تشعر أنه صادق في معاناته وتفكيره ، صادق في مشاعره وأحاسيسه ، وأن الفكرة قد اقتاتت قلبه ، وتغذت بدمه ، وسيطرت على عالمه ، وتوهجت بها نفسه . وأن يرزق هذا الأديب موهبة في التعبير الجميل الأخاذ ، بصورة موحية مؤثرة ينقل بها تجربته الحية ، ومعاناته الحقيقية الى القراء ، ليتذوقوها ويعيشوها ، فاذا لم يرزق هذه الموهبة ، لم تخرج عن اطار التجربة الشعورية ، وبقيت مختصة بصاحبها لم يشاركه فيها أحد .

وقد كان سيد قطب خير من تمثل هذه الحقيقة في أعماله الأدبية المختلفة ، فهو لم يخرج لنا عملا أدبيا الا بعد ما عاش تجربته في نفسه .

---

(٢) النقد الادبي أصوله ومناهجه : ٧ .

وعاناه معاناة حقيقية في مشاعره وأحاسيسه ووجدانه ، وقد كان صادقا في نقل هذه التجربة كاملة الى القراء ، ليطلعهم على تطورها في نفسه ، ويصور لهم مشاعره وأحاسيسه وهي تعيشها .. ولم ترض نفسه الأدبية الصادقة أن ينافق في نتاجه الأدبي ، أو يتزلف به الى ذوي المكانة والنفوذ كما فعل كثير من الأدباء . كما رزق سيد قطب موهبة فطرية ، وقدرة فائقة ، على اختيار الصورة الموحية التي ينقل بها تجربته الأدبية الى القراء ، حيث يؤثر في وجدانهم ومشاعرهم ، ويسحرهم بأسلوبه السلس الجميل .

# سيد قطب الشاعر

بدأ اهتمام سيد قطب بالشعر منذ صغره ، فقد أخبرنا أنه عندما كان في القرية ، وأثناء ثورة عام ١٩١٩ ، راح يخطب في مساجد القرية ، وينظم الشعر وينشده فيها • لم يكن شعرا قويا رصينا ، ولكن محاولاته الشعرية هذه تدل على تفتح حاسته الشعرية مبكرا •

وفي القاهرة صار ينشر قصائده في الصحف والمجلات ، وقد عرف في الأوساط الأدبية كشاعر موهوب قبل دخوله كلية دار العلوم • واصطفى في الكلية شاعرين موهوبين مثله ، هما عبد العزيز عتيق وفايد العمروسي . وصار الثلاثة يلتقون وينشدون قصائدهم وينشرونها في المجلات •

وبعد أن تخرج من الكلية تابع نشر قصائده في المجلات ، وقد اشتهر في الثلاثينيات وكان في مقدمة الشعراء الشبان ، وقد شهد له النقاد بالنبوغ والعبقرية والشاعرية الفياضة •

لقد كان سيد قطب شاعرا حقيقيا ، لأنه أحس بالحياة احساسا عميقا ، وكان احساسه بها دقيقا وبارزا وعميقا ، ومتميزا عن احساس الآخرين • كما أنه عبر عن احساسه هذا تعبيرا عاليا ساميا • ترجم فيه عن نفسه ، وسجل تأثره بما حوله ، ولمسنا في شعره فلسفة خاصة له فسر الحياة على ضوئها ، وقد كان شاعرا مصورا ، يصور أفكاره وأحاسيسه وانفعالاته ، في صور فنية رائعة ، تستحوذ على قلوب القراء ، وتتفاعل معها مشاعرهم وأحاسيسهم •

الشعر عنده تعبير عن الحياة ، بل هو تعبير عن اللحظات الأقوى والأملأ بالطاقة الشعورية في الحياة ، وهو : «هتاف حياة ودعوة حياة وتعبير حياة ، الشعر طاقة فائضة تريد لها متنفسا وحيوية دافقة تبتغي لها مسيلا • الشعر تعبير أحرار يملكون التعبير ، لا جمجمة عبيد أو أسرى خلف القضبان ، الشعر انتفاضة قلب ، وتحليق روح • لا وسوسة السلاسل ، ولا جرجرة الاغلال»(٣) •

---

(٣) الرسالة ـ السنة العشرون ـ المجلد الاول ـ عدد ٩٨٥ تاريخ ١٩ مايو ١٩٥٢ • ص ٥٤٦ •

ولكي يكون الشعر شعرا ، فلا بد أن يكون صادقا في التعبير عن المشاعر والأحاسيس ، صادقا في الدلالة على ما تجيش به نفس الشاعر من خواطر وانفعالات • صادقا في تصوير شعور صاحبه ومعاناته ، وما عدا ذلك فليس بشعر •

وموضوع الشعر عنده ووظيفته هي : (الغناء المطلق بما في النفس من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، حين ترتفع هذه المشاعر والأحاسيس عن الحياة العادية ، وحين تصل هذه الانفعالات الى درجة التوهج والاشراق أو الرفرفة والانسياب على نحو من الأنحاء)(٤) •

جمع مجموعة من قصائده ونشرها في أول ديوان له وسماه « الشاطيء المجهول » وقد صدر في كانون ثاني (يناير) عام ١٩٣٥ ، كما وعد باخراج دواوين جديدة مثل (أصداء الزمن) و (حلم الفجر) و (قافلة الرقيق) و (الكأس المسمومة) ولكنه صرف النظر عنها في النهاية •

وبالاطلاع على قصائده ودراستها ، نلمح فيها ملامح شخصيته ، وحالات نفسه ، ومشاعره وأفكاره واهتماماته وقضاياه ومشاكله ، فهي سجل أمين لحياته الشخصية والفكرية ، وان الانسان يستطيع أن يدرك مراحل حياته الأدبية وسماتها من الاطلاع على قصائده • وان ترتيب هذه القصائد حسب تاريخ نشرها يفيد في معرفة المراحل التي قطعها ، وحالته النفسية والفكرية في كل مرحلة(٥) •

بقي يقول الشعر الى أن اتجه الوجهة الاسلامية، عندها عزف عن قوله ، وصارت عنده اهتمامات جديدة • وان الانسان ليعجب ، ويحتار في معرفة الصارف له عن نظم الشعر ! هل وجد نفسه ؟ وعرف غايته وسر وجوده ؟ وانحلت العقدة الكبرى التي كانت تقلقه وتدفعه الى التوهج فتنساب القوافي على لسانه ؟ هل انتهت الأزمة الكبيرة ، أزمة الشعور

---

(٤) العالم العربي ـ المجلد الاول ـ جمادى الاول ١٣٦٦ • صفحة ٤١ •

(٥) انظر مبحث ( رحلة الضياع ) في هذا الباب : وفي النية اعداد بحث عن سيد قطب كشاعر •

بالضياع الكامل في الحياة ، وعبث الجهد المبذول فيها ؟ وهل انتهت رحلة الضياع عنده وانتهى بانتهائها نظم الشعر ؟ فأحس بالوجود الكبير[٦] ! •

قد يكون الجواب على كل هذه التساؤلات بالايجاب ، وقد يكمن في هذا الجواب السبب الذي ترك الشعر من أجله ! •

قد يكون اتجاهه الاسلامي الواضح ، هو الصارف الذي صرفه لأن طبيعة الاسلام التي تعرف هو عليها ، هذه الطبيعة العملية الحركية الجادة الثابتة لا تتفق مع طبيعة الشعراء لأنهم (أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة ، تتحكم فيها مشاعرهم ، وتقودهم الى التعبير عنها كيفما كانت • ويرون الأمر الواحد في لحظة أسود • وفي لحظة أبيض ، يرضون فيقولون قولا • ويسخطون فيقولون قولا آخر • ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال : هذا الى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ، ويتخيلون أفعالا ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها • فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء • لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعا آخر يعيشون عليه) ! •

وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات • وهم يقولون مالا يفعلون • لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، ويؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ، لا يفعلونها ، لأنهم عاشوا في تلك العوالم الموهومة ، وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة •

«ان طبيعة الاسلام ـ وهو منهج حياة متكامل معد للتنفيذ في واقـع الحياة ، وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة وفي أوضاع الحيـــاة الظاهرة ـ ان طبيعة الاسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء كما عرفتهم البشرية ـ في الغالب ـ لأن الشاعر يخلق حلما في حسه ويقنع به فأما الاسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه ، ويحول المشاعر كلها لتحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع»[٧] •

---

(٦) انظر منهج الفن الاسلامي لمحمد قطب : ٩ ـ ١١ •

(٧) في ظلال القرآن : ٥ : ٢٦٢١ طبعة الشروق •

«ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام المهومة الطائرة . فالاسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة ، وفق منهجه الضخم العظيم»(٨) .

وقد آثرنا نقل فقراته كاملة – على طولها – لندرك طبيعة غالبية الشعراء وطبيعة الاسلام المخالفة لها ، فقد يكون تركه للشعر ناتجا عن صدق اتجاهه نحو الاسلام وشعوره بأن هذا الاسلام قد ملأ حياته ، واستوعب فكره وعقله ، وأحلامه وانفعالاته ، ومن ثم لم يبق في طاقته الضخمة بقية للخيالات والأوهام ، لأنه صرفها الى الجهد العملي الحركي الواقعي الجاد ! .

ولم نعرف له بعد اتجاهه الاسلامي ، الا قصيدتين ، قالهما ، وهو يكتوى بنار المحنة والابتلاء ، وكانتا من عيون الشعر العالمي وهما :

١ – (هبل . هبل) . يصور بها مفاسد الطاغوت الجاهل ومآسيه ، والأعداء التي استغلت سذاجته ، فصنعت له (الأمجاد زائفة فصدقها الغبي) والجماهير المسحوقة التي انساقت وراءه بلا روية .

٢ – (أخي) . وهي النشيد الاسلامي الهادر الذي رسم به معالم طريق الدعوة وصور أشواكها ، وبين عاقبتها ، وقد وعته قلوب الشباب العاملين ، وتردد على شفاههم . وقد قاله في لحظة انفعال ظاهر ، اذ أنه عندما كان خارجا من زنزانته الى ساحة السجن ، لمح يد أحد اخوانه تحييه بحرارة ظاهرة من احدى الزنازين ، ولم يعرف صاحبها ، ولكن حركتها نقلت الى قلبه كل ما يريد أخاه أن يقوله ، فتجاوبت روحه ، وانفعلت أحاسيسه ، وتوهجت نفسه وانطلق لسانه بذلك النشيد .

---

(٨) في ظلال القرآن : ٥ : ٢٦٢٢ .

# سيد قطب الناقد

مارس سيد قطب الكتابة في النقد والتحليل في وقت مبكر ، شديد التبكير من حياته الأدبية ، وكان ظهوره كناقد يوازي ظهوره كشاعر ، وعندما اشتغل في صحيفة الأهرام • عهدت اليه ادارتها تحرير صفحة النقد والأدب فيها ، وقام بالمهمة بنجاح ، وهو ما يزال طالبا في كلية دار العلوم •

بل ان اول كتاب مطبوع له ، هو كتاب في النقد ، وهو (مهمة الشاعر في الحياة) حيث اعده وألقاه محاضرة في مدرج كلية دار العلوم ، وكان لا يزال طالبا في السنة الثالثة فيها ، وقدمه استاذه (محمد مهدي علام) كما قدم كتابه عندما قدمه للطبع ، واشاد بمناقبه وسجل اعجابه بشخصيته وشجاعته وثقته واتزانه ، وان خالفه في بعض آرائه ، واعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم ، وصرح بأنه يسره ان يكون سيد قطب احد تلاميذه ، بل قال : (انه لو لم يكن لي تلميذ سواه ، لكفاني ذلك سرورا وقناعة واطمئنانا الى انني سأحمل امانة العلم والأدب من لا أشك في حسن قيامه عليها)[٩] •

وقد كان عنيفا في نقده ، جريئا في عرض آرائه ، صريحا في تسجيل افكاره ، موفقا في الموضوعات التي طرقها والنماذج التي استدل بها •

وشهدت المجلات الأدبية — بعد تخرجه من الكلية — صولات له وجولات في معاركه الأدبية النقدية التي أثارها ، وقادها بجرأة وشجاعة[١٠] • سواء في مجلة (الأسبوع) أو (الأهرام) أو (الرسالة) أو (الثقافة) أو (العالم العربي) أو غيرها •

كما نشر مقالات نقدية كثيرة في هذه الصحف والمجلات ، والقى محاضرات نقدية في المجامع الأدبية ، وقد نالت مقالاته ومحاضراته استحسان واعجاب جمهور المثقفين والأدباء •

---

(٩) مهمة الشاعر في الحياة : ٩ • انظر مقدمته للكتاب ولكلمة مهدي علام في تقديمه وتعقيبه عليها : ٧ — ١١ •

(١٠) أشرنا — بمنتهى الايجاز — الى بعض هذه المعارك في مبحث «•• في الصحف والمجلات» من هذا الكتاب ، وتستحق أن تفرد في دراسة مستقلة شاملة •

جمع بعض هذه المقالات في كتابه (كتب وشخصيات) وهو ثالث مؤلف نقدي له ، اذ سبقه كتابان (مهمة الشاعر في الحياة) و (نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر) للدكتور طـه حسين وكـان في نيته ان يجعل (كتب وشخصيات) مؤلفا من اجزاء ، وكان ينوي ان يصدر هذه الاجزاء تباعا ٠ ولكنه لم يصدر الا الجزء الاول[١١] ٠

وفي نهاية حياته الأدبية ، اصدر كتابه النقدي الرابع الرائع (النقد الأدبي اصوله ومناهجه) الذي وضع فيه خلاصة آرائه في اصول ومناهج النقد الادبي ، والذي خرج به على كل المدارس الأدبية المعاصرة ، واعتبر نواة لمدرسته الخاصة في الأدب والنقد ٠ وكان في هذه الفترة متربعا على عرش النقد الأدبي في مصر ، بعد ما انصرف عنه النقاد الأوائل مثل العقاد والمازني وشكري وهيكل وطه حسين ٠

وكان متوقعا ان يرسي دعائم مدرسته الأدبية الجديدة ، ويبين مناهجها وآرائها ، لولا انصرافه الى اهتمامات جديدة ، أثرت حياته الفكرية والعملية فيما بعد ٠

وخطة سيد قطب في مقالاته النقدية ، انه كان يقدم لمقاله بمقدمـة يذكر فيها بعض آرائه في طبيعة العمل المنقود ٠ قصة أو شعرا أو بحثا ، ثم يتناول هذا العمل بالنقد !

وقد بين ان للناقد عملين اساسيين هما : (عمله في الجو العام ، وعمله مع كل مؤلف على حدة ٠ فأما عمله في الجو العام فهو التوجيه والتقديم ، ووضع الأسس وتشخيص المذاهب ، وتصوير اطوارها ومناهجها ٠

وأما عمله مع كل مؤلف ، فهو وضع «مفتاحه» في ايدي قرائه الذين يقرؤن اعماله متفرقة ، ولا يدركون الطبيعة الفنية التي تصدر عنها هذه الاعمال، ولا يتعرفون الى شخصيته المميزة الكامنة وراء كل عمل[١٢] ٠

وقد وفق سيد في تفصيل مفاتيحه للشخصيات الأدبية المختلفة ، ودل هذا على موهبته الفنية ، وذوقه السليم ، وتقديره الصحيح وتشخيصه الصادق ٠

---

(١١) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب ٠

(١٢) كتب وشخصيات : ٦ ٠

ولم يكن من همه القيام بدراسات مفصلة مطولة عن الشخصيات ، وانما يكتفي بتفصيل المفتاح المناسب لها ، ووضعه في يد القارىء ٠

والمساحة العريضة التي جال فيها سيد ، تدل على باعه الطويل ، وذوقه السليم ، ودأبه العجيب ، وثقافته الواسعة ٠ فقد نقد مختلف التخصصات العلمية ٠ الشعر والقصة ، والرواية والدراسة والمسرحية والترجمة ، والتاريخ والدراسات النفسية والفلسفية والانسانية والتراجم والسير والبحوث والمقالات ٠ وغير ذلك من فنون الأدب والعلم والمعرفة ٠

لم تكن طريق النقد ممهدة امامه ، فمنذ أن ابتدأت مقالاته النقدية في الثلاثينيات بذلت محاولات كثيرة لاغرائه واحتوائه من مختلف الادباء والمدارس الادبية ، وقام بعضهم بمساعي حثيثة لثنيه عن مواقفه ، أو تغيير احكامه وآرائه ، والضغط عليه بمختلف الوسائل كي يغيرها أو يتراجع عنها ٠ ولكن نفسه الأبية العزيزة ، وشخصيته القوية ، وايمانه بمبادئه وثباته عليها ، ابت عليه الاستسلام للاغراءات ٠ أو الرضوخ للضغوط ٠ وكان نتيجة لذلك يفتقد اصدقاءه ومعارفه من الأدباء ، الواحد تلو الآخر ، لانهم لم تعجبهم احكامه على نتاجهم ، حيث كانوا يتوقعون منه أن يراعي صداقتهم وزمالتهم ، وأن يخالف ما يراه ويعتقده من أجلهم ، ولما كان يأبى هذا ويجهر برأيه صراحة ، انفضوا عنه ، وكالوا له التهم ٠ وقد كان يعز عليه ويؤثر في نفسه فقد هؤلاء ، ولكنها ضريبة النقد ، التي لا بد من دفعها ! يقول : (ومن يومها ــ يوم تصدى للنقد ــ وأنا افقد الأصدقاء واحد أثر واحد ، لاكسب عددا معادلا من الخصوم ! بل عددا اكبر لاني اضم اليهم كل يوم خصوما ٠ ولكني اعاهد القراء على انني سأمضي في الطريق ، فحسبي أن أعوض ما أفقد من بين القراء المحايدين وهم بحمد الله كثيرون)(١٣) !

وقد كان ينفق الكثير من وقته المزدحم بالاعمال في النقد ، حيث كان يقرأ كل ما انتجته المطابع من الفنون الأدبية المختلفة ٠ واذا اراد نقد عمل شخص ، فأنه يحرص على قراءة كل ما انتجه من بحوث ومقالات ، ليتعرف على شخصيته ، ويفصل مفتاحه ، ويكتب عنه مقالة معدودة الصفحات ٠

---

(١٣) الرسالة ــ السنة الثانية عشرة ــ المجلد الثاني ــ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤ ٠ صفحة : ١٠٤٤ ٠

يقول عن الوقت والجهد الذي ينفقه : (فالنقد ضريبة وتضحية ، فما أحسب الناقد في الشرق العربي الا خاسرا لو حسب المسألة بالقياس الى نفسه : انه لا يرضي أحدا الا القليلين ، وانه لينفق من الجهد ليقول شيئا ذا قيمة ـ أكثر مما ينفقه في أي فن آخر من الفنون الأدبية ، فكتابة مقال تستأديه على الأقل قراءة كتاب • أو عشرة كتب أو عشرين في بعض الأحيان)!

ويدلل على صحة دعواه بتجربته قائلا : (لقد صنعتها حينما كتبت في الرسالة منذ عام أربعة فصول عن : الدكتور طه حسين ومدرسة الأسلوب التصويري ، والأستاذ توفيق الحكيم ومدرسة التنسيق الفني ، والأستاذ المازني وطريقة الحركة الحيوية ، والأستاذ العقاد ومدرسة المنطق الحيوي• ولقد كلفتني كل مقالة قراءة كل كتاب لهؤلاء الأربعة ومعظم ما كتبوه من مقالات ولم أكن لأزيد على هذا الجهد شيئا لو اعتزمت أن أؤلف عنهم كتابا وكل ما يعزيني عن هذا الجهد أن هؤلاء الأربعة هم مع آخرين عندي اليوم موضوع كتاب)[١٤] •

ويصرح سيد بأنه لا يوجد في مصر في منتصف الأربعينيات ناقد يؤدي ضريبة النقد من جهده ووقته.: (ولكنني أصرح ـ وليقل من شاء ما شاء ـ بأنه ليس هناك الآن ناقد يؤدي هذه الضريبة • كان هناك رجلان يستطيعان أداءها ـ على اختلاف في النوع والطاقة ـ هما العقاد والمازني ، فانصرفا ـ وحق لهما ذلك ـ الى الخلق والابتكار •

ثم تصدى لها الدكتور مندور • والدكتور مندور من خيرة الشبان المثقفين ، ومن القلة النادرة بين الجامعيين في مصر • الذين لديهم مـــا يقولونه ، وما يزيدون به شيئا غير الفهارس والعنوانات) (ولكنه ـ مع هذا كله وعلى الرغم من كتابه «الميزان الجديد» ـ لا يصلح ناقدا ، انه ناقل ثقافة وشارح آداب • أما النقد فلا • ان الحاسة الأولى للناقد تنقصه : حاسة التفرقة لأول وهلة بين الأصالة والزيف وبين النضج والفجاجة)[١٥].

---

(١٤) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤ صفحة ١٠٤٥ وهو كتاب (المذاهب الفنية المعاصرة) ولكنه ـ للاسف ـ لم ينشره !

(١٥) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٥٩٥ تاريخ ٢٧ نوفمبر ١٩٤٤ صفحة ١٠٤٦ •

ونستنتج من كلامه هذا ، أنه بعد انصراف العقاد والمازني عن مهمة النقد ، صار سيد قطب الناقد الأول في مصر ، ولم ينازعه على هذه المنزلة الا الدكتور محمد مندور • وقد عرفنا من كلامه هذا منزلة الأخير في عالم النقد •

انتهى المطاف الأدبي النقدي بسيد قطب الى هذه المنزلة ، وقد كان في نيته أن يصدر عددا وفيرا من البحوث والدراسات النقدية •

ولكنه أعلن تخليه عن هذا الطريق بعدما وصل الى نهايته ، وصار الأستاذ الرائد فيه وراح يبحث عن طريق جديد ، يبدأ فيه السير من أوله ، لينتهي به الى الريادة ! •

عجبا بأنك سالـم مـن وحشة     في غايـة ما زلت فيهـا مفردا

يقول : «النقد ضريبة يؤديها الناقد من وقته وجهده ! ـ وأنا أؤديها قدر ما أستطيع ـ وانني لأرغب في التخلي عن أدائها لأنشيء أعمالا أدبية أخرى • فلولا اجازة أعطيتها لنفسي في صيف هذا العام ما استطعت أن أؤلف كتابا • وأشهد أنني لم أتعب فيه أكثر من تعبي في اعداد مقالة من مقالات النقد الصغيرة»[١٦] •

---

(١٦) المرجع السابق صفحة ١٠٤٦ ولعل الكتاب هو ( التصوير الفني في القرآن ) الذي صدر في ابريل ١٩٤٥ •

# سيد قطب القاص

تمتع سيد قطب بموهبة فنية في مجال كتابة القصة • وقد كتب عدة قصص فنية رائعة منها ما نشره ، ومنها ما عدل عن نشره •

وقد كان ينشر مقالاته في المجلات ينقد بها بعض القصص المطبوعة لبعض الكتاب مثل محمود تيمور ، ومحمود بدوي وعبد الحميد جودة السحار ، ونجيب محفوظ ، والعقاد ، وطه حسين ، والحكيم وغيرهم • وتميز في نقده بحاسة فنية دلت على مقدار اطلاعه على القصص العربي والعالمي ، ومعرفته بمواطن الجمال والنقص فيها ، وكيفية صياغتها ورسم ادوارها وتحريك الشخصيات فيها ، والتنسيق الفني بينها •

وقد كان جناح القصص في مكتبته ضخما يكاد يحوي كل القصص والاقاصيص المؤلفة بالعربية ، يقول ـ بعدما فوجيء باقصوصة « وسوسة الشيطان » لعبد الحميد جودة السحار ـ : « وقادتني هذه المفاجأة الى أن اراجع كل ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المؤلفة بالعربية ـ وهي تكاد تشمل كل ما تحويه المكتبة العربية في هذا الباب ـ » •

ثم يتابع الموازنة بين أقصوصة السحار ، والقصص المترجمة في مكتبته : « وأردت أن أتابع الموازنة فعدت الى ما تحويه مكتبتي من الأقاصيص المترجمة ـ وهي تكاد تشمل كل ما نقل الى اللغة العربية ـ »(١٧) •

فاذا كانت مكتبته تكاد تحوي كل ما صدر من القصص والاقاصيص مؤلفا بالعربية أو مترجما اليها ـ وهو عدد ضخم ! ـ فكم تحوي من مختلف الفنون الادبية الاخرى ؟ وكم تحوي من مختلف العلوم • ؟ كم سيكون حجمها ؟ ولا شك أن سيد قد قرأ كل ما تحويه هذه المكتبة !! واستوعبه وتفاعل معه ! ولعلنا بهذا نحاول أن ندرك ثقافته الواسعة الناتجة عن هذا الاطلاع !

دخل سيد قطب عالم القصة بخطى ثابتة ، وموهبة عالية ، وثقافة واسعة ، وقد ألف بعض القصص : ففي الواقعية كتب قصته المصورة « طفل

---

(١٧) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الاول ـ عدد ٦٦٨ تاريخ ٢٢ ابريل ١٩٤٦ • صفحة ٤٣٣ •

من القرية » ، وفي الرمزية « المدينة المسحورة » وفي الرومانسية « أشواك » وقد احدثت هذه القصص فور صدورها ، وبخاصة « أشواك » أثرا كبيرا في عالم الأدب ، واستقبلها الأدباء والمثقفون ، واكتشفوا بها موهبة سيد قطب الجديدة في عالم القصة • وأضافوها الى مواهبه الفنية الأخرى •

وكان في نيته أن يصدر عددا من القصص مثل « من أعماق الوادي » و « القطط الضالة » وبحثا عن « القصة الحديثة » ولكنه عدل عنها في النهاية •

وقد كان سيد قطب قبل دخوله عالم التأليف في القصة يحجم عن دخول هذا الميدان الجديد ، ويخشى على نفسه أن يفشل فيه ، يقول : « القصة أمر عسير اذا أريد لها أن تكون عملا فنيا كاملا • وعن نفسي أذكر : ان القصة هي العمل الفني الوحيد الذي كنت استهوله واحجم عن محاولته • طالما أنا أقرأ القصص الاوروبي والروسي خاصة ـ ثم انصرفت بعض الوقت لقراءة القصص الموضوعة في العربية ، فرأيتني انسى احجامي وأحاول كتابة القصة القصيرة فهذه المجموعة الجديدة ( قصص روسية وفرنسية واسبانية ترجمها للعربية عبد الرحمن صدقي تحت عنوان « الوان من الحب » ) قد ردت علي احجامي ، وتركتني اقدر الموهبة والمهارة اللازمتين لكتابة القصة الفنية »(١٨) •

ويبين سيد قطب الاسس الفنية اللازمة لتأليف القصة ونجاحها واعتبارها قصة فنية : « ان الفكرة فيها ليست كل شيء • انما طريقة التعبير عن هذه الفكرة : الاسلوب • اللمسات • الكلمات • الانسجام الخفي بين التوقيعات المختلفة الصادرة عن المنظر والحادثة والعبارة والاثر النفسي » •

والقصة في رأيه ـ بعد الفكرة الجيدة والتعبير الجميل ـ هي : ( عمل في حاجة الى ملكة التنسيق القائمة على التصوير والموسيقى في آن • التصوير الذي يعود العين انسجام الألوان • والموسيقى التي تعود الأذن انسجام الألحان • وبعد أن توجد الفكرة يجب أن تشترك اللمسة واللفظة في تكوين

---

(١٨) الثقافة ـ السنة السادسة ـ المجلد الاول ـ عدد ٢٧٣ تاريخ ١٤ مارس ١٩٤٤ • صفحة العدد ٢٠ ، وصفحة الجزء ٢٦٠ •

الجو المناسب لها • فكل منظر يشار اليه ، وكل حادث يتضمنه السياق ، يجب أن ينسجم مع رنة الأسلوب وايحاء الالفاظ ، ويجب أن يبرز كذلك أثره في الانفعالات النفسية المصاحبة ،ويؤلف ذلك كله اللوحة التـــي نسميها القصة الفنية )[19] •

بهذا البيان الدقيق ، كشف لنا عن موهبته في عالم القصة ، تأليفا ونقدا وتحليلا وعلى هذه الاسس الفنية سار في قصصه المؤلفة ، فجاءت لوحات فنية رائعة •

---

(١٩) المرجع السابق •

## سيد قطب المحاضر

تفتحت موهبة سيد قطب في الخطابة والتحديث والمحاضرة ، منذ صغره ، فعندما كان في القرية كان يقف في وسط الأهالي الذين يأتون الى منزل أسرته ، يقرأ عليهم الجريدة السياسية اليومية ، بنفس واثقة ، ويشاركهم احاديثهم وكأنه شاب • وعندما قامت ثورة الشعب سنة ١٩١٩ اعتلى منابر مساجد القرية ينفخ في بوق الثورة ، ويستمع اهالي القرية حديث الصغير مندهشين معجبين •

وفي القاهرة صار يلقي المحاضرات وهو ما زال طالبا في الكلية ، منها محاضرته « مهمة الشاعر في الحياة » التي القاها على مدرج كلية دار العلوم واعلن فيها آراءه الأدبية بثقة وجرأة وقوة أثارت اعجاب الجميع •

ثم تعددت محاضراته وندواته الأدبية منذ أن تخرج من الكلية في عام ١٩٣٣ والى أن سافر الى امريكا عام ١٩٤٩ ، وقد كان يلقي هذه المحاضرات في جمهور كبير من الأدباء والمثقفين ، وكان فيها ـ كعادته ـ يعلن آراءه بشكل صريح وجريء ، وقد نشرت له مجلة « دار العلوم » عددا من هذه المحاضرات •

وعندما اتجه وجهته الاسلامية ، صار يلقي محاضرات عديدة في مختلف النوادي والجمعيات والمؤسسات •

وقد حضر أبو الحسن الندوي محاضرة له تحدث فيها عن فرنسا فقال عنه انه « قرأ كلمة بمناسبة هذه الحفلة ( استنكار اعتداء فرنسا على المغرب عام ١٩٥١ ) كانت موجهة الى عبيد فرنسا ، وكانت كلمة ادبية تهكم فيها بهؤلاء العبيد الذين يسبحون بحمد فرنسا بكرة واصيلا » •

ويبين أثر كلمته في الجمهور « وكانت الكلمة تقاطع بهتافات صارخة ، وتصفيقات حارة وكان الجمع يهتف بين حين وآخر ( تسقط فرنسا العاهرة )[٢٠] •

---

(٢٠) مذكرات سائح في الشرق العربي : ١٢١ •

ووصفت مجلة ( الدعوة ) ندوة لسيد قطب أقيمت في قاعة المحاضرات في الجامعة الشعبية في القاهرة في ١١ ابريل ١٩٥٣ ، وكانت حول ( الصحافة والرأي العام ايهما يوجه الآخر ؟ ) اشترك معه فيها ( فكري اباظة مدافعا عن الصحافة ، وحافظ محمود منتقدا انتقادا لينا وتوفيق دياب الذي وقف بين بين ) ٠

أما هو فقد : « هاجم الصحافة هجوما عنيفا لأنها صاحبة الجلالة ويجب أن تضحي ولا تتعامل بحساب الربح والخسارة ٠ وأشار الى أنها دائما مع العهد القائم ، وتقوم بتضليل الرأي العام لا توجيهه ، وانتقد الانحدار الاخلاقي في المقالات والتحقيقات الصحفية ، وعزا السبب في هذا كله الى أن دخل الصحافة من الاعلانات اولا ، ومن المصروفات غير المنظورة من اصحاب الملايين ، هو الذي يوقعها في هذا المأزق ، فهي تعطي أهل الملاليم بقدر ملاليمهم ، وأهل الملايين بقدر ملايينهم !!!

ثم أجاب سيد قطب بعد ذلك على أسئلة الحاضرين بنفس الصراحة التي انتقد فيها الصحافة(٢١) ٠

أما أسلوب سيد قطب في محاضراته ، فقد أوضحه تلميذه الأستاذ يوسف العظم ، وهو ادرى الناس به لطول صحبته له ٠ ونترك له المجال ليحدثنا عنه ٠ يقول :

« للاستاذ سيد قطب موهبة في الحديث تجذب كل من يستمع اليه ، فهو لا يعد في الخطباء اذا انصرف المفهوم الخطابي الى العاطفة الثائرة ٠ ولكنه في طليعة المتحدثين اذا تصورنا المنطق السليم والحجة الدامغة والتسلسل فيما يورد من افكار ، وما يدلي به من آراء ٠

وحديث الاستاذ سيد حين يقابل جمهوره ، يبدأ هادئا ، ولكن في ثقة بسيطا ولكن في عمق ٠ سلس العبارة ، ولكن في غير سوقية ولا تبذل ، وقد يهاجم الاستاذ خصومه ، ويبكت من ينصرفون عن الحق ، ممن يعبدون الرجال والمال ، ولكن في أدب وعفة مقال ٠

---

(٢١) الدعوة : عدد ١١٢ تاريخ ٦ ابريل ١٩٥٣ ٠ صفحة ٣ ٠

من أروع ما يعرف عن أستاذنا ، وما لمسناه فيه ، انه قدير الى أبعد حدود القدرة على مهاجمة الحاكم بصورة تثير الجمهور ، وتحرك فيه كوامن السخط والغضب على الظالمين دون أن يؤخذ على الاستاذ المتحدث مأخذ واحد ، بأنه سب أو شتم ، أو خرج عن حدود اللياقة والذوق ، بل النظام والقانون .

والذين استمعوا لاستاذنا سيد على مدرج الجامعة ، أو في المركز العام للاخوان المسلمين في القاهرة ، أو في المنتديات والمؤتمرات يجمعون على أن لدى الرجل حجة قوية وأسلوبا منطقيا ، ونبرة صوته معبرة ، تأخذ بالالباب وتسيطر على السامع ، وتحمله باسلوب لا قسر فيه ولا رهق ، أن يستجيب للرجل ، وأن ينقاد لما يقول »[٢٢] .

---

(٢٢) بحث الاستاذ يوسف العظم ضمن كتاب ( الشهيد سيد قطب ) صفحة ٣٤ ـ ٣٥ .

# سيد قطب الباحث

شغفت نفس سيد قطب بالبحث والتحليل منذ مطلع حياته الادبية ، وكان يجد لذة عجيبة في هذا المجال ، ويمضي الساعات الطوال في مكتبته في صحبة كتاب علمي أو أدبي وما كان يحس بالزمن وهو يمر ، وعندما كان جسمه يعلن التمرد ، ويوقعه في المرض ، كان الطبيب يلزمه بترك البحث والدراسة وعدم بذل أي مجهود ، راحة لاعصابه • ولكن نفسه ترفض الالتزام بهذا ، فيقضي وقته على السرير في صحبة الكتاب •

كانت المقالات الأدبية التي ينشرها في مختلف المجلات ، حصيلة بحث طويل ، وكان بعضها يستأديه قراءة كتاب ، وبعضها الاخر يستأديه قراءة عشرة كتب باحثا محللا لها ، ومن المعروف أن هذه القراءة الفاحصة الواعية تأخذ من وقته الكثير •

اذا أراد بحث موضوع ، فانه يستوفي كل خصائص البحث ، بهمة عالية ودأب ومثابرة ولم يكن يكتب بحثه ، الا بعد أن يرجع الى كل المراجع عنه ، وبعد أن يفكر فيهويتأمله ويلاحظ قضاياه ، ويعيشها ، لم يكن يسلقه سلقا ، وانما ينضجه على نار هادئة ، ولهذا كان يستحوذ على اعجاب القراء •

عندما نشر بحثه « المرأة لغـز بسيط » في ست حلقات في مجلـة ( الاسبوع ) قال : ( ولقد عنيت منذ عشر سنوات تقريبا في أن أدرس هذا الموضوع ، بمقدار ما تهيء الظروف لشاب ، وحاولت أن أجد اللغز فيمن عرفتهن ، أو عرفهن أصدقائي ، وفيمن قرأت عنهن أو قرأت لهن ، فكان بحثي عن اللغز هو اللغز نفسه »(٢٣) •

وعندما أعد بحثه عن ( الصور والظلال في الشعر العربي ) واستقصى البحث فيه قال : « رجعت فيه الى كل ما يملك فرد أن يرجع اليه من مصادر الشعر العربي »(٢٤) •

---

(٢٣) الاسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد ٤٥ تاريخ ٣/١٠/١٩٣٤ • صفحة ٩ •

(٢٤) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٧٠٤ تاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٤٦ صفحة ١٤٥٧ •

وعندما أعد بحثه عن « المدارس الأدبية المعاصرة » اعتذر عن الوقت الطويل الذي استغرقه هذا البحث قائلا : « ومنذ عامين لدي كتاب عن ( المدارس الأدبية المعاصرة ) وما يؤخرني عن كتابته الا استيفاء بعض الدراسات الشخصية لابطاله ، وقد استطعت أن أجمع عن كتب معظم ما أريد جمعه عن العقاد وتوفيق الحكيم ، وشيئا مما أريد جمعه عن طه حسين والمازني ، وقليلا عن المنفلوطي والزيات ، ومتفرقات عن تيمور وحقي ولاشين وآخرين ٠

وبعدما أستوفي هذه الدراسات ـ لا قبله ـ سآخذ في الحديث عن المدارس الأدبية المعاصرة ، ولو صرفت عامين آخرين ، فأنا أقدر قيمة هذا العمل ، وأعرف ما هو مطلوب مني ازاءه(٢٥) ٠

وعندما اعد بحثين ، عن « الشعر المعاصر » وعن « القصة الحديثة » استوفى بحث كل أشعار وقصص الأدباء المصريين ، ولكن هذا لم يكفه ، وانما كان يريد الحصول على نتاج الشعر والقصة في العالم العربي كله !! فاستخدم طريقة غريبة للحصول عليه ، وهي طريقة لم يستخدمها أي أديب أو باحث !! فقد نشر اعلانا في « مجلة الرسالة » قال فيه :

« الى ادباء البلاد العربية ٠٠٠ لم تبق الا هذه الوسيلة ! ان لدي بحثين معطلين عن « شعر الشباب » وعن « القصة الحديثة » لانني لا استطيع الحصول على أعمال المعاصرين من الشعراء والقصاص في البلاد العربية ٠٠ ولا أحب أن أقصر بحثي على اعمال الادباء المصريين ٠ فرجائي الى كل شاعر وكل قصاص في البلاد العربية ان يتفضل فيرسل الي بأعماله في هذين البابين محولا بثمنهما على البريد(٢٦) ٠

فماذا حدث نتيجة هذا الاعلان ؟ يقول : « حدث أن تفضـــل بعض الشعراء والأدباء في فلسطين والعراق والحجاز باهداء دواوينهم وقصصهم الي ، ولكن البقية لم تصلني ٠ كما أن سورية ولبنان لم يسمعا النداء »(٢٧)٠

---

(٢٥) الرسالة ـ السنة الثالثة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٢٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤ صفحة ١٠٨٨ ٠

(٢٦) الرسالة السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٧٧ تاريخ ٢٤ يونيو ١٩٤٦ صفحة ٧٠٥ ٠

(٢٧) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٤٦ صفحة ١٢٧٩ ٠

ان هذا الاعلان الجرىء ، يطلعنا على مقدار عناية سيد قطب بالبحوث التي يعدها ، وحرصه على أن تكون نتيجة بحث مستوفى ، ودراسة شاملة مستوعبة ·

وعندما اتجه وجهته الاسلامية ، صار يبحث ويتعمق في البحث ، ويتوسع فيه ، ويستقصي جوانبه ، فكتاب مثل « خصائص التصور الاسلامي » استغرق اعداده أكثر من عشرة أعوام[٢٨] وكتاب « نحو مجتمع اسلامي » بدأ اعداد موضوعه منذ أوائل الخمسينيات ، واستشهد عام ١٩٦٦ ولم يتمه !!!

وكما كان باحثا أدبيا واسلاميا ، كان باحثا اجتماعيا ، فعندما سافر الى امريكا ، عني بدراسة المجتمع هناك دراسة فاحصة ، وبذل في ذلك جهدا كبيرا · واعد كتابه « امريكا التي رأيت » ولكنه لم ينشره ·

---

(٢٨) اعلن عنه في بداية الخمسينيات وصدرت طبعته الاولى في اوائل الستينيات ·

# سيد قطب المحلل السياسي

دخل معترك الحياة السياسية منذ صغره ، وقد كان له في قريته مشاركة سياسية محلية ثم انضم الى حزب الوفد فترة طويلة ، ثم انفصل عنه وانضم الى حزب السعديين فترة قصيرة ثم هجر الاحزاب السياسية كلها بعد ذلك ٠

اشتهر في الاربعينيات بتحليلاته السياسية الصائبة ، والتي نشرها على صورة مقالات في المجلات مثل ( الرسالة ) و ( العالم العربي ) و ( الفكر الجديد ) ، وتحدث فيها عن الاحتلال الانجليزي لمصر ، وعن فشل الاحزاب السياسية في مصر في نهضة المجتمع وتحرير البلاد ، كما تحدث عن مشكلات العالم العربي الأخرى مثل قضية فلسطين ، وفظائع فرنسا في سورية ، ومذابحها في المغرب العربي ٠

وفي أمريكا تمعن في الحياة السياسية هناك ، وعرف بعض مخططات أمريكا في العالم العربي ، وأدرك حربها الشرسة ضد الحركة الاسلامية بوجه خاص ٠ وعرف خلفيات قادتها السياسية ، ودور الصليبية واليهودية في توجيه السياسة هناك ٠

وعندما عاد الى مصر ، اعتقد ان طريق الاسلام هو طريق الخلاص ، وانه متمثل بالحركة الاسلامية ، فانضم اليها ووضع كافة قدراته في خدمتها ٠ وصار يكتب المقالات السياسية ، ويحلل فيها الاحداث الجارية ٠

وأهم آرائه السياسية ، التي تبناها ودافع عنها ودعا اليها ، وتبنتها جماعة الاخوان المسلمين كذلك « الكتلة الدولية الثالثة » التي دعا الى قيامها ، والقى المحاضرات عنها وكتب المقالات موضحا ابعادها ٠ والتي تضم العالم الاسلامي كله ، وتقف في وجه القوتين العظميين « الكتلة الغربية بزعامة امريكا » و « الكتلة الشرقية بزعامة الاتحاد السوفياتي » وأعلن أنها تقدر على الصمود بسبب ما يملكه العالم الاسلامي من ثروات طبيعية مكنوزة ، ومدد بشري هائل ، ومركز استراتيجي حساس ٠ وقبل هذا كله عقيدة اسلامية محركة ومنهاج اسلامي حضاري ، وتوفيق الله في النهاية ٠ ولكنه أعلن كذلك ان الطريق أمام قيامها صعب وشاق ، وان القوى العظمى لن تسمح به !! ، وقد صدق ما توقعه ، اذ قامت بعد ذلك

« منظمة دول عدم الانحياز » وضمت مختلف الدول الآسيوية والافريقية والامريكية ، ولكن الولايات المتحدة ، تمكنت من احتوائها !!!

وقبل قيام الثورة في مصر عام ١٩٥٢ ، أصدر كتابه ( السلام العالمي والاسلام ) بين فيه رغبة الشعوب كلها في السلام ، كما بين ان هذا السلام لا يوجد الا في الاسلام وقد تجلت في هذا الكتاب موهبة سيد قطب في التحليل السياسي .

وقد كشف يوسف العظم النقاب عن ما قامت به المخابرات الامريكية من حذف تحليل سياسي رائع كتبه سيد قطب في الفصل الاخير من الطبعة الاولى من الكتاب بعنوان ( الآن ) حيث صدرت طبعته الثانية خالية منه !!!

وقد ذكر يوسف العظم بعض محتويات هذا التحليل ، وحيث لم نستطع الوقوف عليه فسنكتفي بايراد كلام العظم في هذا المقام : قال على لسان سيد قطب :

« ان رؤوس الاموال الامريكية بحاجة ملحة الى حرب جديدة » ...

« ومن هنا كان مشروع ( مارشال ) وكانت لهذا المشروع غايات أساسية ثلاثة » :

الغاية الاولى كانت هي تصريف الانتاج الامريكي الفائض . والغاية الثانية هي القضاء على حالة التبطل بين عمال امريكا . والغاية الثالثة كانت هي تعمير أوروبا تحقيقا للنشاط الاقتصادي العالمي كله من ناحية ومقاومة للشيوعيين في اوساط المتعطلين من ناحية اخرى .

ومن هنا يعد ( مارشال ) صاحب هذا المشروع ، في نظر الامريكان أحد رجال التاريخ الامريكيين ، وقد عدته بعض الصحف الامريكية أحد العشرين الذين صاغوا القرن العشرين . لا في امريكا وحدها ، بل في العالم على الاطلاق .

وتناول الاستاذ سيد قطب موضوع المساعدات الاقتصادية الامريكية وموضوع النقطة الرابعة من مشروع ترومان والصراع بين الكتل الشيوعية والغربية .. وحديث الحرب سواء كانت حربا محلية ، وكأنما يشير الى حرب فيتنام أم حربا عالمية شاملة ... تناول كل ذلك بصورة مدروسة

واعية لفتت نظر المخابرات الاميركية التي اشارت بدورها على السلطات المصرية أن تحذف كل هذا التحليل من الكتاب في طبعاتها التالية »(٢٩) .

وقد نقلنا كلام سيد قطب لحافظ الشيخ ـ أحد أعضاء اتحاد جامعة الخرطوم ـ عندما زاره في منزله ، الذي تحدث فيه عن خطر امريكـا والصهيونية على هذه المنطقة وعن بعض مخططاتها للسيطرة عليها . وعلل فيه أسباب قيام الوحدة بين مصر وسورية وأسباب فشلها ، وبها تتجلى موهبته الرائعة في التحليل السياسي(٣٠) .

بين سيد قطب دور المخابرات الاجنبية في تمويل وتوجيه الصحف المصرية بقوله : « ان الصحف المصرية ـ الا النادر القليل ـ مؤسسات دولية لا مصرية ولا عربية ! مؤسسات تساهم فيها أقلام المخابرات البريطانية والاميركية والفرنسية والمصرية والعربية اخيرا !! مؤسسات تحرر صفحات كاملة فيها بمعرفة أقلام المخابرات هذه لتروج دعايتها في أوساط الجماهير . مؤسسات تخدم الرأسمالية العالميه أكثر مما تخدم قضايا الشعوب العربية وتخدم الاستعمار الخارجي والجهات الحاكمة قبل أن تخدم أوطانها وشعوبها الفقيرة وهذا هو السر في أن الدولة لا تفرض عليها القيود التي تفرض على الكتب . لأن وراءها أقلام المخابرات ومصالح الرأسمالية العالمية ، وهي كفيلة بأن تسندها وتذلل لها العقبات وتفسح لها الطريق ، لنشر دعايتها المستودة في أطراف البلاد العربية جميعا »(٣١) .

---

(٢٩) الشهيد سيد قطب : ٤٣ ـ ٤٤ .

(٣٠) أنظر مبحث «استشهاده» من هذا الكتاب .

(٣١) الرسالة ـ السنة التاسعة عشرة ـ المجلد الاول ـ عدد ٩٤٣ تاريخ ٣٠ يوليو ١٩٥١ صفحة ٨٥٤ .

# الفصل الرابع

# تراثه الأدبي والفكري

## أهمية نشره

ترك سيد قطب تراثا أدبيا وفكريا كبيرا ، فقد عرفنا أنه ظل يكتب المقالات الأدبية المتنوعة في مختلف المجلات مدة تزيد على خمسة وعشرين عاما ، وهذه المقالات مملوءة بالكنوز المخبوءة ، والمعلومات المفيدة ، وتدل على موهبته الفذة في عالم الأدب ، وهي تراث أدبي مجهول ضمته صفحات مجلات عديدة هي بدورها مجهولة لنا ، حيث وضعت على ارفف المكتبات ودور الكتب ، وان أي محاولة لاخراج هذه الكنوز هي محاولة شاقة ومضنية وتحتاج الى صبر وأناة ودأب ومثابرة • واذا تمت فسيكون فيها اضافة جديدة لسجل الأدب والثقافة ومتعة للأدباء ومحبي الثقافة • وكشفـــا لصفحات مجهولة من حياة هذا الرجل النابغة وبيانا لبعض ملامح شخصيته واظهارا لبعض مواهبه •

كذلك ترك لنا تراثا فكريا كبيرا ، يتمثل في دراساته وبحوثه الاسلامية العميقة ، التي نشرها في موسوعته ( في ظلال القرآن ) وقد أعد عدة بحوث اسلامية أخرى ، ولكن الطغاة أتلفوها ، ولم يسمحوا لها أن ترى النور !!!

ان سيد قطب شخصية عجيبة حقا ، والأعجب من شخصيته هو الجحود الذي قوبل به في حياته ، من الأدباء والدارسين ، والتجاهل الذي لحقه بعد استشهاده ، وكان حريا بعشاق الثقافة والأدب ، أن يعدوا دراسات عن شخصيته وفكره وتراثه الأدبي ، كما كان حريا بمريديه الاسلاميين أن يعدوا دراسات عن فكره الاسلامي ، وشخصيته الحركية ومواقفه البطولية، وما أضافه الى الفكر الحركي الاسلامي من أفكار !! ولو كان سيد قطب عند غيرنا ، لكتبوا عنه الكثير ، وفاخروا به الدنيا ، انهم يجعلون من بعض رجالهم علماء وعباقرة وفلاسفة ، وقادة رأي ورواد فكر ، وهم بجانب سيد قطب أقزام !!!

ان سيد قطب قمة عالية ، قمة عرفت ولم تكتشف حتى الآن ، وليس عجيبا أن يكون قمة ولكن الغريب انها لم تثر في نفوس المعجبين حوافز

لاستكشافها ، حيث اكتفوا بالنظر اليها من بعيد ، معجبين مبهورين مندهشين ٠

وقد وجه لسيد قطب كيد ماكر من اعدائه انتهى به الى القضاء على حياته ، كما لفه جهل غرير من كثير من اخوانه !! وبهذا وقع بين كيد هؤلاء وجهل هؤلاء ، وبقيت محاولات استكشافه في مرحلها الأولى تستنهض همم الدارسين ٠

لئن كان ادباء آخرون ، مثل العقاد وطه حسين ، قد وجدوا من تلاميذهم من يدرسهم ويجمع تراثهم – حتى المقالات الصغيرة التي كتبوها في المجلات – فأعتقد ان سيد وهو يوازي قادة الأدب والفكر هؤلاء ، يوازيهم في المجال الأدبي والفكري ، ويزيد عليهم في المجال الاسلامي والحركي ، بل لا مقارنة بينه وبينهم في هذا المجال ٠! اني أعتقد جازما أنه اولى منهم بالعمل على جمع تراثه كله سواء كان بحوثا أم قصائد أم مقالات !

ومن أغرب الدعوات التي ظهرت بعد استشهاده ، دعوة صدرت عن مريديه وتلاميذه يدعون فيها الى الغاء كل تراثه الأدبي السابق على اتجاهه الاسلامي الجاد ، بل الى الغاء كتبه الاسلامية التي أصدرها قبل ادخاله السجن عام ١٩٥٤ ٠

ويعللون لدعوتهم هذه بأن اهتماماته الاولى اهتمامات أدبية ، ليست اسلامية حركية جادة ، فكأنها لهو وتسلية ، ولا يجوز أن يضيع الوقت فيها ، كما أن في هذا التراث الادبي ، اتجاهات باطلة لسيد قطب ، مخالفة للاسلام ، ونشرها يسيء الى شخصيته ويؤثر على صورته في نفوس مريديه ، ثم ان سيد نفسه ، أعلن عن تخليه عن هذه البحوث والكتب والمقالات ، في أواخر حياته ، وأثبت في اخر الجزء الثالث عشر من « في ظلال القرآن » قائمة بالكتب التي تبناها ٠ وترك ما عداها !!

ونحن نحسن الظن بهؤلاء ، ونلمح صدق النية في دعواهم هذه ، ولكننا نرى ضرورة وأهمية اخراج هذا التراث المطمور ، ونشره للأدباء والمثقفين ، خدمة للأدب والثقافة واضافة جديدة لعشاق الأدب ، وكشفا لبعض مواهب الرجل الأدبية ٠

لا يوجد في حياة سيد قطب ما يخجل ، كما لا يوجد في تراثه مايستحيا من نشره لانه كان صادقا في حياته ، صادقا مع نفسه ، صادقا في أدبه ٠

ان هذا التراث الأدبي الذي يدعو الداعون الى اهماله ، أخذ من وقت وجهد سيد قطب الكثير وملأ ما يقرب من أربعين سنة من حياته • وهـــي سنوات طويلة لها أثر عميق في شخصيته •

يقول سيد قطب عن نفسه في « معالم في الطريق » :

« ان الذي يكتب هذا الكلام ( ضرورة الاعتماد على الاسلام فقط كمصدر وحيد للثقافة ) انسان عاش يقرأ أربعين سنة كاملة • كان عمله الأول فيها هو القراءة والاطلاع في معظم حقول المعرفة الانسانية • ما هو من تخصصه وما هو من هواياته • ثم عاد الى مصادر عقيدته وتصوره ، فاذا هو يجد كل ما قرأه ضئيلا الى جانب ذلك الرصيد الضخم • وما هو بنادم على ما قضى فيه أربعين سنة من عمره • فانما عرف الجاهلية على حقيقتها وعلى انحرافها وعلى ضآلتها • وعلى قزامتها • وعلى جعجعتها وانتفاشها • وعلى غرورها وادعائها كذلك ! »[1] •

واذا اسقطنا ما قدمه في هذه السنين ، واكتفينا بما وصل اليه من فكر ناضج ورأي سليم ، فان صفحات عديدة ستطوى من حياته ، وان جوانب كثيرة ستكون مجهولة ، ان كل جانب من جوانب حياته يمثل صورة أو فصلا لا بد من معرفته وادراك خفاياه • ولا نعرف هذا الا بالاطلاع على تراثه الأدبي الضخم • غير معقول أن نقف مع سيد قطب على القمة دون أن نعرف الرحلة التي قطعها حتى وصل الى هذه القمة • ولا ملامح الطريق التي سار فيها !! وان في آثاره الأدبية وصفا للطريق ، وبيانا للزاد الذي حمله معه في هذه الرحلة !!

أما ان في هذا التراث اتجاهات جاهلية مخالفة للاسلام ، فنحن نقر به ونعترف بوجوده ، ولكن هذا لا يعيب الرجل ، بل على العكس يرتفع قدره في أعين الناس ، ويدل على أنه لم يقطف ثمرة المعرفة واليقين الا بعد جهد ومعاناة • وان في بيان بعض ملامح رحلة الضياع التي قطعها ، والتيه الذي تاه فيه ، بيان لقيمة النقلة البعيدة التي نقله اليها الايمان ، والافاق السامية التي حلق فيها على هدى هذا النور ــ ولا يعرف فضل الايمان عليه الا بالاطلاع على صفحات من حياته السابقة ــ وبيان لعقيدة الايمان الفاعلة

(١) معالم في الطريق : ١٧٥ ــ ١٧٦ •

المحركة ، وبيان لميزة جديدة من مزايا سيد قطب في التفاعل مع هـــذا الايمان ·

ان الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، لم يكتف المؤرخون المسلمون بذكر سيرتهم الاسلامية فقط ، ولم يهملوا حياتهم الجاهلية الاولى ، حفاظا على صورتهم الوضيئة في أعين المسلمين · كلا بل ذكروا كل ما وصل اليهم من صور حياتهم الجاهلية ، واعتبروا ذكرها أمرا ضروريا لبيان فضل الاسلام الذي نقلهم هذه النقلة ، وبيان فضلهم في التفاعل مع الاسلام ·

أفلا يكون عمل المؤرخين هذا قدوة لنا حين نتحدث عن سيد قطب ، ودافعا لنا الى بيان ملامح حياته الاولى ، وما خلف فيها من تراث؟!!

أما ان سيد قطب نفسه أعلن عن تخليه عن بعض كتبه الاولى ، فهذا دليل على أن الرجل — وقد وصل الى الريادة — أراد أن يبين للدعاة الكتب الناضجة التي تمثل لهم زادا فكريا وحركيا في طريق العمل الاسلامي ، وان بعض ما قدمه في السابق قد أدى غرضه في حينه ! ولا يعني هذا اعدام كل هذا التراث الكبير !!

ولا تعني دعوتنا الى نشره أننا نعتقد أن كل فقرة منه تصلح زادا للدعاة العاملين لأن بعض تراثه أدبي محض ، ولكنه زاد للادباء والمثقفين · ولا بد كذلك من القاء الضوء على الكتاب الذي تبناه سيد قطب والكتاب الذي تخلى عنه وتبرأ منه ·

ثم ان معرفة حياته الأدبية الأولى ، والاطلاع على تراثه الأدبي الضخم ، ضروريان لمعرفة خلفيته الأدبية والفكرية ، ولكشف مواهبه ومزايا شخصيته ، هذه الحياة وهذا التراث مدخل لمعرفة نتاجه الاسلامي : « فلولا تكوين سيد الادبي في سابقة حياته ، وتحليه بقوة عارضة ورصانة لغة ·· وفكر مفتوح على آفاق المعرفة ، وتعمق في الفهم ·· لما وصل سيد الى قوة هذا العطاء والى هذا الفكر الناضج ·

ان تكوينه السابق لدخوله الى ميدان الدعوة الاسلامية كان فاتحة عمل عظيم ·· وقدرة معطاءة »(٢) ··

---

(٢) المجتمع : عدد ١٦٦ تاريخ ٤ سبتمبر ١٩٧٣ : صفحة ٢٨ ·

## تصنيف آثاره وكتبه

لا أعني بالتصنيف ذكر الفنون التي كتب فيها ، فقد ذكرنا سابقا انه ما ترك فنا من فنون الأدب ، ولا حقلا من حقول المعرفة الا وكتب فيه ٠

وانما اعني بالتصنيف تقسيم هذا التراث الى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : مقالاته المختلفة في المجلات ، والتي استمرت ما يزيد على ثلاثين عاما ، وهي مقالات مختلفة منها الادبية ، ومنها السياسية ، ومنها الاجتماعية ، ومنها النفسية ، ومنها الاسلامية ٠

القسم الثاني : البحوث الكثيرة التي أعدها ، ولم ينشرها !!

القسم الثالث : مؤلفاته المطبوعة ٠

بالنسبة الى القسم الأول لن أتحدث عنه هنا ، لأن هذه الدراسة لا تستوعبه ولانني لم أتمكن ــ رغم ما بذلت من جهد ــ من الاطلاع على كل المجلات التي كتب فيها حيث لم أطلع الا على نتاجه في مجلات : « الاسبوع » و « الرسالة » و « الثقافة » و « العالم العربي » و « الكتاب المصري » و «دار العلوم » ٠

وبالنسبة الى القسم الثاني سوف أذكر البحوث التي أشار هو نفسه الى أنها قيد البحث ، أو قيد التحرير ، أو تحت الطبع ، وأغلب الظن أن هناك بحوثا أخرى أعدها ، ولكنني لم أجد اشارته اليها ، لأني لم أطلع على كل مقالاته !!

وبالنسبة الى القسم الثالث ، فسوف أعرف تعريفا موجزا جدا بهذه الكتب ، وأتناولها حسب تاريخ صدور طبعاتها الأولى ، لا حسب موضوعاتها لأنني رأيت بعض من كتبوا عن سيد قطب ، لم يعرفوا السابق من هذه الكتب ، ومن ثم لم يرتبوها حسب ظهورها ٠ وأرى أن معرفة أسبقها ظهورا يفيدنا فائدة كبيرة في معرفة التطور الفكري الذي مر به سيد قطب ولا بد لمن يريد دراسة هذه الكتب أن يصنفها حسب صدورها ، كما لا بد لمن يريد دراسة مقالاته أن يرتبها حسب تاريخ نشرها ٠

وقد عانيت كثيرا في ترتيبها على هذا الاساس ٠ وبهذه المناسبة أقرر أن دور النشر العديدة التي نشرت هذه الكُتب ــ سواء بطريق مشروع أو

غير مشروع ـ وقعت في خطأ فاحش ، وهو عدم اشارتها الى تاريخ الطبعة الاولى للكتاب ، مع ان الطريقة المثلى هي الاشارة الى تاريخ الطبعة الاولى عند اعادة طبعه ، وذلك حتى يكون القارىء على بينة ، وحتى لا يقع الباحث في حيرة . لأن أفكار الكاتب في تطور ، فقد يسجل رأيا في الكتاب ، ثم يتخلى عنه في طبعة لاحقة له . والتطور أبرز ما يكون في أفكار سيد قطب ولا يعرف هذا الا بتصنيف كتبه على هذا الاساس . وانصح لكل من يريد أن يقف على التطور في أفكار سيد قطب أن يرتب كتبه ومقالاته حسب صدورها !!

# كتبه المطبوعة

تأخر سيد قطب في تأليف الكتب ونشرها ، حيث أمضى اكثر من عشرين سنة من حياته الأدبية يكتب البحوث والمقالات والقصائد ، وبعد أن آنس من فكره نضجا صار يؤلف الكتب ٠

يقول في خطابه الى الدكتور أحمد أمين : « لقد كنت مريدا بكل معنى كلمة المريد لرجل من جيلكم تعرفونه عن يقين ( يعني العقاد ) ولقد كنت صديقا أو ودودا مع الاخرين من جيلكم كذلك ٠ لقد كتبت عنكم جميعا بلا استثناء ٠ شرحت آراءكم وعرضت كتبكم ٠ وحللت اعمالكم بقدر ما كنت أستطيع ٠ ثم جاء دوري ٠٠ جاء دوري في أن انشر كتبا بعد أن كنت أنشر بحوثا ومقالات وقصائد ٠ لقد جاء دوري في نشر الكتب متأخرا جدا ، لانني آثرت الا اطلع المئذنة من غير سلم ، وأن اتريث في نشر كتب مسجلة حتى أحس شيئا من النضج الحقيقي يسمح لي أن أظهر في أسواق الناشرين[٣] ٠

وبعد أن قرر تأليف الكتب عام ١٩٤٥ ، صار يصدرها تباعا ، فأصدر عشرة كتب في أقل من خمس سنوات ، مما رفع منزلته في اوساط المثقفين والادباء ، وصار في فترة وجيزة في طليعة الادباء والمفكرين في العالم العربي واستحوذ على قلوب عشاق الادب والثقافة والفكر ٠ لكن الادباء الاخرين فوجئوا بهذا الصعود المفاجيء ، وصاروا ينفسون على سيد قطب مكانته الجديدة ، وتجاهلوا نتاجه الغزير ــ وكأنهم تواصوا بذلك ــ وكان في مقدمتهم استاذه العقاد ٠

يقول في حديثه الى الدكتور أحمد أمين : « فماذا كان موقف استاذي ؟ ( يعني العقاد ) ، وماذا كان موقف جيلكم كله ! ماذا كان موقف جيل الشيوخ لا من هذا الكتاب وحده ( يعني التصوير الفني في القرآن ) ولكن من الكتب العشرة التي نشرتها حتى الآن ؟

اراجع كل ما خطته أقلام هذا الجيل كله عن عشرة كتب ٠ فلا أعثر الا على حديث في الاذاعة لفقيد الأدب المرحوم الاستاذ المازني ، والا اشارة كريمة للاستاذ توفيق الحكيم في أخبار اليوم »[٤] ٠

---

(٣) الثقافة السنة الثالثة عشرة ــ عدد ٦٦٣ تاريخ ١٠ سبتمبر ١٩٥١ صفحة ٨ ٠
(٤) المرجع السابق ٠

وقد زاد تجاهل الادباء والمفكرين له بعد اتجاهه الاسلامي ، وبعد اصطلائه بنار المحن والعذاب في سجون الطغاة !!

وفيما يلي نقدم تعريفا موجزا بكتبه ، ونتحدث عنها حسب تاريخ صدورها :

**١ ـ مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر :**

أعده في الأصل محاضرة القاها في مدرج كلية دار العلوم عندما كان طالبا في السنة الثالثة فيها ، وقدمه الى الحضور استاذه محمد مهدي علام ، كما قدم الكتاب عندما دفعه سيد الى المطبعة ، وقد أثنى في تقديمه على سيد قطب وبين اعتزازه بأن يكون استاذا له وانه لو لم يكن له تلميذ سواه لكفاه ذلك سرورا ٠ كما بين في تقديمه اعجابه بجرأته الرشيدة واستقلاله بالرأي ، وعصبيته البصيرة ، وسجل توفيقه في بحثه وان خالفه في بعض آرائهواعتبره مفخرة من مفاخر دار العلوم ٠

وقال سيد قطب في تقديمه : « هذا مجهود ضئيل الحجم ، أعد ليكون محاضرة فحسب فلا يحتاج الى مقدمة تبين أغراضه وتوضح اتجاهه ، فهو ذاته يصح أن يكون مقدمة لمبحث كامل في موضوعه هذا « مهمة الشاعر في الحياة وشعر الجيل الحاضر » وسيكون » ٠

وقد بين في كتابه مهمة الشاعر في الحياة ، ومنزلة الشعر بين الفنون الجميلة ، ثم بين من هو الشاعر ، وفرق بينه وبين المصور ٠ وتحدث عن الخيال في الشعر وعن تناسق الخيال ٠ وتحدث عن ذوق الشاعر ، واثر البيئة في الذوق والخيال ، وتحدث عن التعبيرات الشعرية ، وفرق بين التعبيرات الشعرية والتعبيرات النثرية ، وختمه بالحديث عن شخصية الشاعر وصلته بالعصر الذي يعيش فيه ومكان العاطفة في نفسه وشعره ٠

وهو أول مؤلف نقدي له ، وكون أول مؤلفاته كتابا في النقد الادبي ، له دلالة خاصة على تفتح مواهبه النقدية مبكرا ٠

وقد طبع كتابه عام ١٩٣٣ ٠

## ٢ ـ الشاطيء المجهول :

هو أول ديوان مطبوع له ، وهو الاخير !! اذ لم يطبع دواوينه الشعرية الاخرى التي أعلن انها تحت الطبع · وقد صدرت طبعته الاولى في أول يناير ١٩٣٥(٥) · وهو الكتاب الوحيد الذي لم يطبع طبعة أخرى ، لا في حياته ، ولا بعد استشهاده · ولذلك أصبح الحصول على نسخة منه شبه مستحيل · وقد طبع منه ألفا وخمسمائة نسخة ، وبلغ عدد صفحاته مائتين وثماني صفحات(٦) ·

وحيث لم أتمكن من الاطلاع عليه ـ رغم ما بذلت من جهد ـ فسأكتفي للتعريف به بنقل فقرات من مقال محمود الخفيف في الرسالة · ينقد به هذا الديوان ·

ابتدأ سيد قطب ديوانه بمقدمة نقدية بقلمه هو نقل الخفيف بعض ما جاء فيها : « ففي الديوان نظريات علمية وفلسفية والشاعر ملم بها ، والشاعر متصل بالعوالم المجهولة · تربط قواه الروحية بالوحدة الكونية الكبرى وللشاعر احساس متيقظ بالزمن ومروره ، ويملأ الشغف بكشف المجهول والحديث عن السر حيزا كبيرا في ديوانه · والشاعر في هذا الديوان يقف موقف المصور في كثير من القصائد · وفي الديوان ظاهرة تستحق التسجيل ذلك ان لونا من ألوان الموسيقى يتفشى فيه كله ، كذلك تبدو في هذا الديوان صورة واضحة للتعبير الدقيق المصور للافكار »(٧) ·

القسم الاول من كتابه سماه ( ظلال ورموز ) نشر فيه بعض قصائده التي يحاول بها كشف المجهول مثل ( الشعاع الخابي ) و ( خراب ) و ( في الصحراء ) و ( في خريف الحياة ) و ( غريب ) و ( الانسان الاخير ) و ( الشاعر في وادي الموت )(٨) · ولعله لهذا السبب أطلق عليه اسم ( الشاطيء المجهول ) حيث لم يتمكن من كشف سر الحياة المجهولة ·

---

(٥) مجلة دار العلوم السنة الاولى ـ العدد الثالث ـ يناير ١٩٣٥ صفحة ٨٢ ·

(٦) الرسالة ـ السنة الثانية ـ المجلد الثاني ـ عدد ٦٩ تاريخ ٢٦ اكتوبر ١٩٣٤ صفحة ٢١٢ ·

(٧) الرسالة ـ السنة الثالثة ـ المجلد الاول ـ عدد ١٠١ تاريخ ١٠ يونيو ١٩٣٥ صفحة ٩٥٩ ·

(٨) المرجع السابق ·

« أما بقية ديوانه فيشتمل على بعض قصائد ريفية ، وقصائد غزلية وقصائد وطنية هي في الجملة جيدة ، تحس انها صادرة حقا عن قلب » « ولقد اعجبتني بنوع خاص قصائده ( توارد خواطر ) و ( سر انتصار الحياة ) و ( المعجزة ) و ( الليلات المبعوثة ) ، وطربت كثيرا لها ٠ولو نظر الشاعر أو الناقد سيد قطب معي نظرة حق لفهم السر في نجاحه في تلك القصائد التي يستحق من أجلها أطيب الثناء ، ولولا هنات في بعض تعبيراته لعدت هذه من عيون الشعر »[٩] ٠

وبعض قصائده أنشدها وهو في رحلة الضياع ، ويبدو فيها قلقه وحيرته وشكه وضياعه ، ولذلك لم يرض عنه بعد اتجاهه الاسلامي ـ ولعل هذا هو السر في عدم اعادة طبعه ـ وقد قال يوسف العظم عنه : « غير أن استاذنا في اخريات عهدنا به كان يصرح بأن الديوان أثر من آثار جاهليته٠ وكم كان يحب أن تصل يده لكل ما جاء فيه في كل نسخة وصلت اية بقعة في الارض حتى يأتي عليه »[١٠] ٠

### ٣ ـ نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر :

عندما أصدر الدكتور طه حسين كتابه عن ( مستقبل الثقافة في مصر ) عام ١٩٣٧ قامت حوله ضجة كبيرة ، لان الدكتور كان جريئا جدا في عرض آرائه ٠ التي تدعو الى اعتبار مصر جزءا من الحضارة الغربية ، والى أخذ هذه الحضارة بحلوها ومرها ، وخيرها وشرها وقام المفكرون والادباء في مصر ينقدون هذا الكتاب ، ويظهرون زيفه[١١] ٠

وكان سيد قطب في طليعة من تصدوا لنقده فور صدوره ، وكان نقده له من وجهة نظر تربوية ، لا اسلامية ، اذ راح يفند آراءه تربويا وتعليميا٠ ونشر هذا النقد في حلقات مسلسلة في صحيفة « دار العلوم » ٠ وقد تبنت

---

(٩) الرسالة ـ نفس المرجع : ٩٦٠ ٠ وانظر دراسة عن الغزل في الديوان نشرها فايد العمروسي في دار العلوم ـ السنة الاولى ـ العدد الرابع ابريل ١٩٣٥ صفحات ٢٢٠ ـ ٢٢٥ ٠

(١٠) مقال يوسف العظم في كتاب ( الشهيد سيد قطب ) ٣٦ ـ ٣٧ ٠

(١١) انظر : نقد كتاب مستقبل الثقافة : ١٠ ـ ٣٣ ٠

جريدة ( الاخوان المسلمون ) التي كانت تصدر في هذه الفترة ، تبنت هذا النقد ونشرته على صفحاتها(١٢) ·

وبعد انتهاء هذه المقالات جمعها سيد قطب في كتاب ، وأصدر طبعته الاولى عام ١٩٣٩ ،يعرف سيد قطب بهدف الدكتور طه حسين من كتابه « ولم يرسم هذا الكتاب الضخم سياسة التعليم فحسب ، أو سياسة الثقافة المدرسية فحسب ولكنه تجاوزها الى ما بعد مراحل التعليم كلها ، الى ثقافة المجتمع وعواملها : الى المسرح والخيالة والمذياع والصحافة ، وتجاوزها الى الادباء والجو الادبي ، والى واجب الدولة والهيئات للبحث العلمي والنشاط الفكري ، والى كل ما يتصل بكلمة ( ثقافة ) بأوسع معانيها ، وفي أوسع حدودها ، ملائما بين كل مرحلة والتي قبلها والتي تليها »(١٣) ·

ولم يكن سيد قطب معارضا لكل آراء طه حسين · يقول : « وفي هذا الكتاب ما نوافق الدكتور فيه أشد الموافقة · وفيه ما نخالفه فيه أشد المخالفة ، ومنه ما يحتمل الاخذ والرد والزيادة والنقصان »(١٤) ·

## ٤ ـ التصوير الفني في القرآن :

وهو أول كتاب اسلامي له ، كما هو أساس مكتبته القرآنية ، وبه تعرف الى القرآن ، فأضاء الايمان جوانب نفسه ، ولولا هذا الكتاب ما عرفنا كيف ستكون مسيرة سيد قطب المستقبلية ، وقد صدرت طبعته الاولى في ابريل عام ١٩٤٥ ·

وتكفينا هذه الاشارة الموجزة هنا ، لاننا سنخصص له دراسة مستقلة ستكون الكتاب الثاني من هذه السلسلة بعون الله ·

## ٥ ـ الأطياف الأربعة :

صدرت طبعته الأولى عام ١٩٤٥ عن لجنة النشر للجامعيين ، وقد اشترك في تحريره سيد قطب واخوته : حميدة وأمينة ومحمد قطب · حيث شغل كل منهم حيزا من الكتاب ·

---

(١٢) انظر : مبحث « سيد قطب مع جماعة الاخوان المسلمين » ·
(١٣) انقد كتاب مستقبل الثقافة : ٦ ·
(١٤) المرجع السابق : ٨ ·

ابتدأت حميدة قطب الكتاب بقصتها ( غربة ) ثم مقطوعاتها ( عبادة الحياة ) و أيها القبر و غرور و قلب متمرد و الحلم واليقظة و الى المجهول و الزمن الساحر و في الليل و في ضوء القمر و اليد الخفية و عظمة الليل و أرنب يستغيث ·

ثم تبعتها الطيف الثاني ( أمينة قطب ) التي ساهمت بقصصها المنوال المسحور و رحلة الى الماضي و خريف وربيع و رسول الفناء و ثياب العيد و اختان ·

ثم ساهم الطيف الثالث محمد قطب في صورته النفسية ( ذكريات الطفولة) وقصته القصيرة (في الامتحان) وصورته النفسية : (بين الارض والسماء ) و ( الزمن ) ·

وختم الطيف الرابع سيد قطب الكتاب بمقالات مختلفة الاتجاهات سبق له نشرها في مجلة ( الرسالة ) بدأها بأربع مقطوعات في رثاء امه التي توفيت عام ١٩٤٠ ، نشرها تحت عنوان ( أماه ) ، وأتبعها بلفتاته في ( الزمن الساحر ) وهتفاته في ( الفاكهة المحرمة ) وسبحاته في ( في التيه ) وصلواته في ( عبادة الاصنام ) وخطراته في ( مع نفسي ) ·

وقد أهدى هؤلاء الأطياف كتابهم الى أمهم التي تأثروا كثيرا بوفاتها ·

وقد عرف سيد قطب بالاطياف الأربعة بقوله : « صبية وفتاة ، وفتى وشاب · أولئك هم الأطياف الأربعة ! اخوة في الدم ، اخوة في الشعور · كلهم أصدقاء ، وذلك هو الرباط الاقوى · انهم يقطعون الحياة كأنهم فيها أطياف ، هم أنفسهم ، كل ما يملكون في الكون العريض ! كل ما يربطهم بالكون أن يتطلعوا اليه هنيهة ، ليردوه صورا في عالمهم المسحور ·· انهم أبدا يحلمون · وقد يتفزعون في الحلم · ولكنهم اليه يعودون »[١٥] ·

وبعد أن يرسم صورة خاصة لكل طيف من الأطياف الأربعة يختم تعريفه بقوله : ( اولئك هم الأطياف الأربعة وهذه خطراتهم في كتاب · انها عصارة من نفوسهم وظلال من حياتهم · انها أطياف الأطياف )[١٦] !!

---

(١٥) الاطياف الاربعة : ٧ ·

(١٦) نفس المصدر : ٨ ·

والحق – كما يقول وديع فلسطين في تعريفه بالكتاب – « ان كتاب الاطياف الاربعة ممتع يلتذ القارىء بقراءته حتى ليكاد يستعيد بعض فصوله مرات ومرات • فان الصور الخاطفة التي ساقها مؤلفوه ، والمشاعر السامية التي اودعوها صفحاته ، دلت على قدرة مشاعة بين اخوة أربعة وفطنة مشتركة بينهم ، ولباقة أدبية يتميزون بها ويتحلون »(١٧) •

## ٦ – طفل من القرية :

أصدرته لجنة النشر للجامعيين عام ١٩٤٦(١٨) وأهدى الكتاب الى الدكتور طه حسين ، صاحب كتاب ( الايام ) ، وكان سيد قطب معجبا بكتاب طه حسين الى حد كبير كما كان معجبا بكتاب توفيق الحكيم ( يوميات نائب في الارياف ) وعلى منوالهما نسج كتابه هذا •

وكتابه هذا صور ريفية ، قال في المقدمة : ( هذه صور من حياة القرية عاصرت طفولتي منذ ربع قرن من الزمان ، لم أنمق فيها شيئا ، ولم أصنع أكثر من نقلها من صفحة الذاكرة الى صفحة القرطاس )(١٩) •

وقد سجل فيه حياته تسجيلا وافيا ، حيث صور بيئته في القرية ، ووضع اسرته الاجتماعي والاقتصادي والعلمي والسياسي • كما صور المدرسة ونظامها ومدرسيها ، ومستوى التعليم فيها ، وصور الحالة الصحية في القرية ، واعتقادات اهلها في المرض والعلاج • وصور الخرافات السائدة في القرية عن العفاريت والجن ، والرعب الذي تثيره هذه الخرافات في النفوس وصور الحالة الاجتماعية في القرية وعلاقات أهلها ببعض ، وقوانين اللصوص فيها ، وسرقاتهم وأنواع السرقات ودوافعها وأصحابها ، وصور المستوى الديني لأهل القرية واعتقاد أهلها بالاولياء الاحياء والاموات ، وصور حال الاحياء منهم وشخصياتهم وسلوكهم • كما رسم صورة للقرية وحقولها ومزروعاتها ومياه الفيضان فيها ، والعمال الاغراب فيها ، ووضعهم الاجتماعي والاقتصادي السيء •

---

(١٧) انظر تعريفه في الرسالة – السنة الثالثة عشرة – المجلد الاول – عدد ٦١٨ تاريخ ٧ مايو ١٩٤٥ صفحة ٤٩٠ •

(١٨) الكتاب : ٣ : ٤٦٥ •

(١٩) طفل من القرية : ٥ •

وهو في تسجيل حياته ، في طفولته في القرية ، لم يرتب الحوادث ترتيبا تاريخيا وانما اتبع فيها الطريقة التصويرية ، فكان فيها أقرب الى الرسام المصور منه الى الكاتب • وقد استطعنا أن نعرف من صوره ملامح شخصيته في القرية وتركيبها وما أثر فيها •

وفصول الكتاب هي : « المجذوب » و « ضابط الجمباز » و « المدرسة المقدسة » و « بعثة طبية » و « سيد الحكيم » و « العفاريت » و « حركة ثقافية » و « قانون اللصوص » و « جمع الاسلحة » و « الحصاد » و « أحزان الريف » و « الرحيل » •

وأكثر الفصول تسجيلا لحياته هي « المدرسة المقدسة » و « العفاريت » و « حركة ثقافية » و « أحزان الريف » •

٧ ـ **المدينة المسحورة :**

ألفه في عام ١٩٤٦ • ونشرته له دار المعارف بمصر في سلسلة ( اقرأ )[٢٠] وهي قصة خيالية رمزية ألفها على غرار قصص ( ألف ليلة وليلة ) • حيث بعث ( شهرزاد ) و ( شهريار ) بطلا قصص الف ليلة وليلة الاسطورية ، وراحت شهرزاد تقص على مسامع الملك شهريار قصة ( المدينة المسحورة ) •

وقد تجلت في هذه القصة الخيالية موهبته القصصية ، ورأيناه في اسلوب جديد يختلف عن الاسلوب الذي عهدناه فيه كناقد أو أديب ( ذلك انه ينطوي على سلاسة في السرد واشراق في العبارة ويسر في التناول يبلغ في نفس القارىء وقلبه ووجدانه ما يحب أن يبلغه كاتب القصة من قرائه )[٢١] •

كانت شخوص القصة تتحرك وتتكلم ، وكان يختفي خلف المسرح وبيده الخيط الدقيق يحرك به هذه الشخوص ، ويهمس لها بما يريد من معاني وأفكار لتنطق به • ولكنه كان أحيانا يظهر من خلف المسرح ، ويقف أمام النظارة ويسمعهم بعض مشاعره وأفكاره • من هذه المشاهد التي

---

(٢٠) الكتاب : ٣ : ٤٦٥ •

(٢١) مقال يوسف العظم في ( الشهيد سيد قطب ) : ٣٤ •

ظهر فيه قوله : « كم يفقد الانسان حينما يفقد الاحلام ٠٠ ان هذا العالم ضيق ضيق ، تافه تافه ، حقير حقير ، ان ما تبلغه الحواس لهو أمد قصير ، وان ما يبلغه الوعي لهو افق قريب ، وان الخيال والاحلام ليبلغان بهذا المخلوق الانساني المحدود أبعد الاماد وأوسع الحدود ، الا ما أشقى الانسان الذي لا يملك من هذا العالم الا ما تبصره عيناه »[22] !!

ومنها قوله : « الحقيقة الكبرى لن تحدها نظرة جيل ، والواقع الاصيل لن يحصره ادراك فرد ٠٠ ان الحقيقة أعلى بكثير وأكبر بكثير من كل ما يتصوره فرد أو جيل وان الواقع لاعمق بكثير وافسح بكثير مما تحده الابصار والحواس ، وان ما يسميه أبناء الفناء بالواقع والحقيقة ان هو الا طرف صغير ضئيل من الواقع ومن الحقيقة ٠٠٠ انهم لن يصلوا الى شيء الا بالوجدان والخيال والاحلام ٠ هذه هي الاشعة السحرية التي تكشف الاباد والافاق »[23] ٠٠٠

وقد تأثر سيد قطب في مدينته المسحورة بينابيع ثلاثة كانت مصدر الهامه ومنطلق عطائه :

١ ـ قصص الف ليلة وليلة ٠

٢ ـ القصص الفرعوني الاسطوري المليء بالحديث عن السحر والتمائم ٠

٣ ـ قصة أهل الكهف الواردة في القرآن الكريم ، حيث سحر المدينة وجمد الحياة فيها مئات السنين ، ثم دبت الحياة فيها فجأة ٠ ثم مات أهل المدينة جميعا بعد ذلك مباشرة ٠ تماما كاصحاب الكهف[24] ٠

## ٨ ـ كتب وشخصيات :

هو ثالث كتاب نشره عام ١٩٤٦ ، اذ سبقه « طفل من القرية » و « المدينة المسحورة » ٠ وقد اهدى كتابه الى الادباء والشعراء والقصاصين والباحثين الذين نقد أعمالهم الادبية ، وبين في اهدائه أن كتابه ( مرآة ) يرفعها لهم ليروا فيها صفحتي الوجه ٠

---

(٢٢) المدينة المسحورة : ٧١ ٠

(٢٣) المرجع السابق : ١١ ٠

(٢٤) يوسف العظم في بحثه الذي اعده عنه وهو تحت الطبع الآن ٠

وبين في تقديمه وظيفة النقد ، وأشار اشارة موجزة الى وضع النقد في مصر في العصر الحديث • كما بين عمل الناقد على وجه التحديد ، وانه يتحدد في ناحيتين : الاولى عمله في الجو العام وهو التوجيه والتقويم ووضع الاسس وتشخيص المذاهب ، وتصوير اطوارها ومناهجها •

والثانية عمله مع كل مؤلف وهو وضع ( مفتاحه ) في أيدي قرائه ليتعرفوا به على ملامح شخصيته •

يقول عن خطته في الكتاب « على هذه الاسس سرت في هذه الفصول وأسميتها ( كتب وشخصيات ) لانني حاولت أن أصور ( شخصية ) كل أديب تناولت أحد كتبه بالنقد ، فالكتاب وصاحبه في هذا الكتاب موصوفان مرسومان مميزان »(٢٥) •

وكل فصول الكتاب سبق نشرها في المجلات ، في صورة مقالات •

قسم الكتاب الى اقسام رئيسية :

القسم الاول اسماه ( في أصول النقد ) تحدث فيه عن ( النقد والفن ) و ( طريقة الاداء في الفن ) و ( الصور والظلال في الفن ) •

والقسم الثاني ( في عالم الشعر ) تحدث فيه عن ( الوعي في الشعر ) و ( النفس الانسانية في الشعر العربي ) و ( الطبيعة في الشعر العربي ) و ( نفحات من فارس ) و ( العقاد الشاعر ) • وقد ظهر في هذا القسم في آراء في الشعر جديدة ، خالف فيها ـ مخالفة صريحة ـ استاذه العقاد ، بل ونقده في بعض آرائه وكانت هذه بذور مدرسته الادبية الجديدة •

والقسم الثالث ( في عالم القصة والرواية ) تحدث فيه عن كثير من القصص والروايات الادبية •

والقسم الرابع ( في النفس والعالم ) خصصه لكتب الدراسات النفسية والانسانية •

والقسم الخامس ( في البحوث والدراسات ) • والقسم السادس ( في التراجم والتاريخ ) •

وقد نشر على غلاف الكتاب الاخير قائمة بالكتب التي ألفها ، أو التي في طريقه الى تأليفها ، وبلغت ثلاثة وعشرين كتابا •

---

(٢٥) كتب وشخصيات : ٧ •

### ٩ ـ أشواك :

قصة حب رومانسية ، ظهرت في مايو عام ١٩٤٧[٢٦] ٠

وقد سجل فيها بأسلوبه الاديب الرفيع ، وموهبة القصاص المصور حوادث قصة حب حقيقية ، بينه وبين فتاة قاهرية ، أحبها من كل قلبه ، فتقدم الى خطبتها ، وراح يتخيل في أحلامه عش الزوجية الهانيء ٠ وفي ليلة الخطبة ـ وهو يلبسها خاتم الخطوبة ـ اعترفت له بأنها كانت على علاقة حب مع أحد الشبان ٠ وكان هذا النبأ هو الخطوة الاولى التي سار فيها الاثنان في طريق الاشواك ، هي تحب خطيبها الجديد ٠ وهو يحبها من كل قلبه ، وما يطيق فراقها او الانفصال عنها ، ولكن كبرياءه لم تقبل أن يقترن بفتاة ليست عذراء القلب ٠ وتمزق بين هتاف قلبه ونداء كبريائه ألف جاذب يجذبه اليها ٠ والف دافع يدفعه عنها ٠ وفي هذه الفترة أنشد قصائد فنية رائعة ، صادرة عن معاناة حقيقية صادقة ٠

وانتصرت كبرياؤه في النهاية ، وانفصل عنها ، وقلبه يتمزق ، ونفسه شاردة ٠ وقد تركت في نفسه أثرا بقي لفترة طويلة ، وبقي يتحسس وخز الاشواك التي أدمته ٠

أما هي فقد اقترنت بشاب جديد ، وعاشت معه حياتها الزوجية ٠ وأما هو فقد بقي على حالته بدون زواج ٠

وقد ألف قصته ( أشواك ) يتحدث فيها عن تجربته معها ، ويصورها بمختلف مراحلها ، فأساس القصة واقعي حقيقي ، ولكنه أضاف اليها ما أوحاه اليه خياله ، بأسلوب تصويري رائع ٠

وقد أهدى قصته الى صاحبته ، وشريكتـــه في قطع طريق الاشواك ، وقال في اهدائه :

« الى التي خاضت معي في الاشواك ، فدميت ودميت ، وشقيت وشقيت ثم سارت في طريق ، وسرت في طريق : جريحين بعد المعركة ٠ لا نفسها الى قرار ٠ ولا نفسي الى استقرار[٢٧] ٠

والقصة تحفة أدبية وفنية رائعة ، وقد احدثت فور صدورها ضجة في دنيا الادب والنقد ، لروعة الاسلوب الادبي المؤثر الذي كتبت به ٠

---

(٢٦) الكتاب : ٤ : ١٢٩٢ ٠

(٢٧) اشواك : ٥ ٠

## ١٠ ـ مشاهد القيامة في القرآن :

صدرت طبعته الاولى في ابريل عام ١٩٤٧ عن دار سعد مصر بالفجالة بالقاهرة[٢٨] وهو الكتاب الثاني في ( مكتبة القرآن ) التي كان ينوي اصدارها وقد ألفه على طريقة ( التصوير الفني ) فعندما أصدر كتاب ( التصوير الفني في القرآن ) عام ١٩٤٥ ، الذي تحدث فيه عن فكـــرة التصوير ، وخصائصها في التصوير والتخييل والتجسيم والتناسق ... الخ ، وآفاقها في القصة والمثل والحوادث الماضية ومشاهد الطبيعة ومشاهد القيامة ... الخ ، وعند الحديث على مشاهد القيامة في ( التصوير الفني ) قال : « ومشاهد القيامة هي أكثر المشاهد تنوعا في القرآن حتى لهممت أن أفرد لها فصلا خاصا لولا تضخم الكتاب »[٢٩] . ثم صح عزمه على افرادها بكتاب مستقل هو هذا الكتاب .

وقد استعرض في كتابه ( خمسين ومائة مشهد ، موزعة في ثمانين سورة )[٣٠] .

والمشاهد التي استعرضها ، هي التي تتفق مع تعريفه للمشهد ( وهو الذي تتوافر فيه الصورة والحركة والايقاع . أما المواضع التي ورد فيها ذكر اليوم الاخر مجردا ، أو ذكر الجنة تجري من تحتها الانهار أو ذكر العذاب الاليم أو المهين أو العظيم ، دون أن يرتسم منها مشهد شاخص أو متحرك ، فلم أتعرض لها ، وهي كثيرة جدا ، فلا تكاد سورة واحدة من سور القرآن تخلو من ذكر أو اشارة أو تلميح ، وكذلك أغفلت القليل من المشاهـــد القصيرة »[٣١] .

وقد بين طريقته في استعراض المشاهد وتبويبها ، وهي : ( الطريق الاستعراضي مراعيا الترتيب التاريخي ـ على قدر الامكان ـ لورودها ، فعرضتها بترتيب السور التي وردت فيها . ورتبت هذه السور حسب نزولها .. وذلك عمل تقريبي لا جزم فيه )[٣٢] وقد عدل عنه عند كتابة

---

(٢٨) الكتاب : ٥ : ١٦٨ .
(٢٩) التصوير الفني في القرآن : ١١١ .
(٣٠) مشاهد القيامة في القرآن : ٨ .
(٣١) المرجع السابق : ٨ .
(٣٢) المرجع السابق : ٩ .

( الظلال ) حيث فسر السور القرآنية حسب ترتيبها في القرآن لا حسب نزولها ٠

خصص الفصل الاول من ( المشاهد ) للحديث عن ( العالم الاخر في الضمير البشري ) حيث استعرض فيه هذه الفكرة استعراضا سريعا ، عند الوثنيات والجاهليات القديمة ، وعند الامم الاولى : المصريين القدماء ، والفرس والاغريق والرومان ، وعند اليهودية والنصرانية ٠

وخص ( العالم الاخر في القرآن ) بفصل مستقل تحدث فيه عن سمات هذا العالم كما وردت في القرآن ٠

## ١١ ـ روضة الطفل :

سلسلة ألفها سيد قطب بالاشتراك مع أمينة السعيد ويوسف مراد وأصدرتها دار المعارف بمصر ، وقد صدر منها حلقتان : الاولى ( أرنبو والكنز ) والثانية ( كتكتت المدهش ) ونالتا اعجاب الاطفال(٣٣) ٠

ولم أتمكن ـ رغم ما بذلت من جهد ـ من الحصول على هاتين القصتين ٠ ولا معرفة ما اذا أصدر حلقات أخرى من هذه السلسلة ٠

## ١٢ ـ القصص الديني :

سلسلة قصص دينية كتبها للاطفال ، بالاشتراك مع عبد الحميد جودة السحار ٠

وبما أنني لم أتمكن من الاطلاع على هذه السلسلة ، ولا معرفة عدد حلقاتها ، فسأكتفي بنقل تعريف يوسف العظم لها : ( تناول فيها أنبياء الله نبيا نبيا ، وأكثر من الحديث عن الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ، بأسلوب قصصي جذاب ، يستميل به عقل الطفل ونفسه ، وينمي في فكره الخلق والفضيلة والمثل من خلال حكاية تحكى أو قصة تروى في يسر وسهولة واشراق ٠

وابداع استاذنا سيد يقوم على جمال العرض وسهولة الكلمة وتسلسل الفكرة منذ آدم أبا البشر ونبيا ، حتى محمد صلوات الله عليه خاتما للانبياء

(٣٣) مجلة الكاتب المصري ـ المجلد الخامس عدد ١٨ ٠ مارس ١٩٤٧ صفحة ٣٨٦ ـ ٣٨٧ ٠

والمرسلين .. وقصة الرسول الكريم منذ ولد حتى التحق بالرفيـــق الاعلى )[٣٤] .

١٣ ـ **الجديد في اللغة العربية :**

وقد ألفها بالاشتراك مع آخرين ، ويبدو أنه كتاب منهجي قررته وزارة المعارف على المدارس . كمنهج دراسي للغة العربية .

١٤ ـ **الجديد في المحفوظات :**

ألفه مع آخرين ، وهو كتاب منهجي آخر ، مقرر على المدارس التابعة لوزارة المعارف ، كمنهج دراسي للمحفوظات .

وهذه الكتب الاربعة ، كتب تربوية له ، تتعلق بالتربية والتعليم ، ولم أتمكن من الاطلاع عليها لمعرفة موضوعاتها لانها لم تعد طباعتها كسائر كتبه ، ولم توجد في الاسواق أو المكتبات نسخ عن طبعاتها الأولى[٣٥] .

١٥ ـ **النقد الادبي اصوله ومناهجه :**

أصدر سيد قطب كتابه ( النقد الادبي ) في يونية ١٩٤٨[٣٦] . وقد ضمنه آخر آرائه النقدية ، وهو الكتاب النقدي الرابع والاخير له . وفي كتابه هذا تظهر أصالة سيد قطب في النقد ، وقد ارسى به دعائم مدرسة أدبية جديدة في النقد والشعر والفن ، وكان هو رائدها ، وكان متوقعا أن يدعمها بالمزيد من دراساته وبحوثه ونظراته لولا أنه انصرف عن هذه الناحية ، الى الاهتمام بالفكر الاسلامي والعمل الاسلامي . انصرف عن عالم الادب والنقد وهو في قمة العطاء والحيوية والفاعلية ، ليدخل عالم الفكر الاسلامي الذي انتهى به الى الريادة والقيادة والشهادة .

---

(٣٤) مقال يوسف العظم في كتاب ( الشهيد سيد قطب ) : ٣٦ .

(٣٥) اشار سيد الى هذه الكتب الاربعة في نهاية الجزء الثالث عشر من تفسيره في ظلال القرآن من الطبعة الثالثة المنقحة ، ضمن الكتب التي لم يتخل عنها . وأثبتت القائمة دار الكتاب العربي في لبنان في نهاية المجلد الثامن من الظلال . بينما اسقطتها دار الشروق في طبعتها للظلال .

(٣٦) الكتاب : ٦ : ٢٨٨ .

قسم كتابه الى قسمين :

القسم الاول خصصه للحديث عن أصول النقد الادبي ، وقد تحدث فيه عن العمل الادبي وصلته بالحياة . كما تحدث عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية في العمل الادبي ، وبين انه لا انفصال بينهما ، وانما هما مرحلتان متعاقبتان ، القيم الشعورية تحدث اولا في النفس ، وتنتج عن تجربة شعورية ومعاناة حقيقية ، ثم تليها القيم التعبيرية حيث يعبر الأديب، وهو في حالة شعورية متوهجة ، يعبر عما عاناه وأحس به ، فتكون هذه التعابير صادقة في الدلالة على شعور صاحبها .

وقد تحدث في القيم التعبيرية عن الالفاظ وكيفية دلالتها على المعاني الذهنية اولا ، ثم على الصور والظلال المصاحبة لها ثانيا ، ثم بين كيف يستخدم الاديب ـ الناجح الصادق ـ الالفاظ للدلالة على تجاربه الشعورية وقد استفاد سيد قطب في هذا الفصل عن القيم الشعورية والقيم التعبيرية ، استفاد من طريقة القرآن الكريم في التعبير ، وهي طريقة التصوير . تلك الطريقة التي خصص كتابه ( التصوير الفني في القرآن لبيانها .

ثم تحدث عن فنون العمل الادبي وهي الشعر والقصة والاقصوصة والتمثيلية والترجمة والسيرة ، والخاطرة والمقالة والبحث . وقد خالف في كلامه على هذه الفنون بعض آراء المدارس الادبية المعاصرة .

والقسم الثاني من الكتاب خصصه للحديث عن مناهج النقد الادبي وهي المنهج التاريخي والمنهج النفسي والمنهج المتكامل . وقد تحدث عن قواعد كل منهج ومن اعتمده من الادباء والنقاد العرب في القديم والحديث. واستشهد بأقوالهم . وبين المآخذ على كل منهم . ثم بين أنه يفضل المنهج المتكامل الذي يجمع حسنات المناهج الثلاثة كلها ، ويتلافى المآخذ التي أخذت عليه .

## ١٦ ـ العدالة الاجتماعية في الاسلام :

ألف كتابه هذا قبل ايفاده الى أمريكا ، وقبل سفره عهد الى شقيقه محمد قطب بمهمة طبعه ، وقد صدرت طبعته الاولى في ابريل ١٩٤٩ (٣٧) .

---

(٣٧) الكتاب : ٧ : ٧٥٦ .

وهو أول كتاب له في الفكر الاسلامي ، والكتابان الاسلاميان اللذان سبقاه وهما ( التصوير الفني في القرآن ) و ( مشاهد القيامة في القرآن ) كتابان أدبيان ، عني فيهما ببيان طريقة القرآن في التعبير ، والوقوف على خصائص اسلوبه ·

قلنا سابقا أن سيد قطب أقبل أول مرة على القرآن يطالعه لدواع أدبية ، عندما كان يعد كتابه ( التصوير الفني في القرآن ) · ولكن الرجل فوجيء بوجود قواعد ومناهج في هذا القرآن تصلح أساسا لانشاء مجتمعات واقامة حياة ، وقد استرعت هذه انتباهه ، وشدته اليها شدا ، فكتب عنها ملاحظات صغيرة ، وراح يكمل بحوثه وكتبه الادبية ـ التي أشرنا اليها ـ وفي نيته أن يعود الى هذه القواعد والمناهج ليدرسها ويتمعن فيها ، ويظهرها للناس ، ويحاول أن يجعلها الاسس المتينة لاقامة المجتمع الاسلامي المنشود ·

وقد اختار ميدان العدالة الاجتماعية ، يكتب فيها ، ويبين منهج القرآن في اقرارها وقواعده في تحقيقها ، لان البلاد كانت تمر في مرحلة اجتماعية حرجة · فقد خرجت مصر من الحرب العالمية الثانية محطمة اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا ، وتزلزلت بنية المجتمع المصري فبالاضافة الى طبقات الاقطاعيين والباشوات وكبار الملاك الذين استحوذوا على غالبية الثروة في البلاد ، ظهرت طبقات أغنياء الحرب والمستغلين والمنتفعين وبقيت غالبية الشعب المصري في فقر مدقع لا تجد قوت يومها ، وتبيت ليلتها طاوية وحدثت هزات اجتماعية ، وانتشر المتسولون وقطاع الطرق ، وراح الشعب يئن تحت وطأة الظلم الاجتماعي ·

ونشط الشيوعيون في مصر في الدعاية لمذهبهم ، وراحوا يمنون الفقراء والعمال والفلاحين المعدمين بجنتهم الموهومة ، ويزينون لهم الشيوعية · فأقبل عليها الناس · ومعروف أن دعاة الشيوعية كالحشرات والديدان لا تنشط الا على الاوساخ والنفايات ·

كان سيد قطب يعيش هذه المأساة ، ويزعجه المظاهر الاجتماعية الشائهة ويزعجه نشاط الشيوعيين · فراح يبشر بالعدالة الاجتماعية التي وضع يديه على خطوطها العريضة في القرآن ، وأنشأ مجلة ( الفكر الجديد ) التي بشر فيها بهذه العدالة ونقد فيها المظاهر الاجتماعية الشائهة وحارب الشيوعيين والقصر والطبقات التي تتحكم في البلاد ·

ثم أكب على القرآن الكريم ، وأظهر مناهجه وقواعده في العدالة الاجتماعية ، وبين للشعب الفقير المحروم المظلوم أن العدالة الاجتماعية الصحيحة الصادقة ، ليست عند الشيوعيين ولا عند الغربيين ، وانما هي واضحة في الاسلام ، وان الاسلام وحده هو طريق الخلاص مما يعانون من ظلم اجتماعي وفقر اقتصادي ٠

وقد أحدث كتابه ( العدالة الاجتماعية في الاسلام ) فور ظهوره ضجة في مختلف الاوساط : فالاوساط الشيوعية اعتبرته عدوها الرئيسي لانه يفتح عيون الشعب المحروم المظلوم على باب جديد للعدالة الاجتماعية غير الباب الذي يدعونهم هم اليه ٠

والاوساط الحكومية الرسمية ، اعتبرته انتصارا لخصومهم ( الاخوان المسلمون )الذين كانوا في هذا الوقت وراء جدران السجون والمعتقلات وكان سيد قطب قد أهدى كتابه الى طليعة الشباب المؤمن المجاهد الذين يلمحهم – بعين الخيال – قادمين ، ليرفعوا عن الشعب ألوان الظلم والحرمان ويعيدوا المجتمع الاسلامي حقيقة واقعة ٠ وللحقيقة نقول انه لم يكن يقصد في هذا الاهداء جماعة الاخوان المسلمين بعينها ، وانما يرى أن وجود هؤلاء الشبان أمر ضروري تحتمه طبيعة الظروف الراهنة – وهو ما لمسه بعد ذلك متمثلا في جماعة الاخوان المسلمين – ولكن الحكومة ظنت انه يقصد باهدائه هذا الجماعة ٠ فصادرت الكتاب بعد ما طبع ، ولم تسمح له بالظهور الا بعد الغاء الاهداء ٠

والاوساط الاسلامية اعتبرته فتحا جديدا في المكتبة الاسلامية ، ونصرا مؤزرا للفكر الاسلامي في صراعه مع الانظمة الفكرية الاخرى ، واعتبرت مؤلفه مفكرا اسلاميا كبيرا يتمتع بالايمان والصدق والاخلاص مما قرب المسافة بينه وبين الحركة الاسلامية ٠ لقد كان الكتاب ارهاصا لانضمام صاحبه الى الحركة الاسلامية بعد ذلك !

طبع كتابه عدة طبعات في حياته ، والطبعة الاخيرة هي الطبعة السادسة التي صدرت عن دار احياء الكتب العربية بالقاهرة عام ١٩٦٤ ، وهي طبعة جديدة منقحة أضاف اليها آخر افكاره ، وحذف منها بعض الافكار الاخرى التي تبين له خطؤها ومما اضافه اليها فصل ( التصور الاسلامي والثقافة ) وهو أحد فصول ( معالم في الطريق )(٣٨) ٠

---

(٣٨) العدالة الاجتماعية في الاسلام : ٢٦٦ – ٢٧٨ دار الشروق ٠

## ١٧ ـ معركة الاسلام والرأسمالية :

انقطع سيد قطب عن التأليف طوال عامين ، أثناء وجوده في أمريكا ، وعندما عاد الى مصر وجد الاوضاع الاجتماعية والسياسية تزداد سوءا • وفي هذه الفترة تعرف على جماعة الاخوان المسلمين ، وانخرط في صفوفهم •

وفي فبراير ١٩٥١ ، الف كتابه ( معركة الاسلام والرأسمالية ) وقد صدر عن دار الكتاب العربي بمصر (٣٩) •

وبما أنه يتحدث في كتابه عن المعركة الطاحنة بين الاسلام والرأسمالية فقد كتبه باسلوب المعركة وهو اسلوب قوي موح ، اسلوب الحدة والثورة والجرأة ، وكأنه يصدر بلاغات عن سير المعركة ، ويحدد المشتركين فيها ، ويعرف بصفاتهم وملامحهم •

أطلق في الفصل الاول ( صيحة النذير ) في وجوه المتحكمين : ان الوضع الاجتماعي السيء في البلاد لا بد أن يتغير ، ولا بد من حدوث هزة تزلزل البنية الاجتماعية بكاملها •

وفي الفصل الثاني ( اني اتهم ) توجه باصابع الاتهام الى الاوضاع الاجتماعية والقائمين عليها بأنها تشل قوى الامة عن العمل والانتاج ، وانها تهدر الكرامة الانسانية وانها تشيع الفساد في المجتمع ، وانها تدفع الشعب دفعا للارتماء في أحضان الشيوعية •

وفي فصل « في الاسلام خلاص » بين وبوضوح أن الاسلام وحده هو القادر على علاج كافة المشكلات الاجتماعية الخطيرة ، والقضاء على كافة المظاهر الاجتماعية الشائهة وايجاد الحلول الناجعة • هذا اذا استلم سدة الحكم ، وتسلم القيادة والتوجيه •

وفي فصل « شبهات حول حكم الاسلام » عالج بعض هذه الشبهات وقضى عليها مثل ( بدائية الحكم ) و ( حكم المشايخ والدراويش ) و طغيان الحكم و غموض النصوص و الحريم و الاقليات •

---

(٣٩) الكتاب : المجلد العاشر الجزء الرابع ـ تاريخ ابريل ١٩٥١ صفحة : ٤٥٠ وانظر تعريفا به في مجلة الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء السابع ـ يولية ١٩٥١ صفحة ٧٣٧ ـ ٧٣٨ •

وفي الفصل الاخير ( عداوات حول حكم الاسلام ) كشف عن هذه العداوات ، وبين بواعثها ، وأظهر خفاياها ، وأبان عن خطرها ، واستعرض أهم أصحابها ( عداوات الصليبيين ) و ( عـــداوات المستعمرين ) و ( عداوات المستغلين والطغاة ) و ( عداوات المحترفين من رجال الدين ) و ( عداوات المستهترين والمنحلين ) و ( عداوات الشيوعية والشيوعيين ) •

## ١٨ ـ السلام العالمي والاسلام :

صدر في اكتوبر عام ١٩٥١ ، عن دار الكاتب العربي بالقاهرة(٤٠) •

ألف سيد قطب كتابه هذا في فترة اضطراب عالمي ، اضطراب في الاحوال السياسية وتغير معدلاتها وموازينها ومراكز الثقل الدولية فيها ، واضطراب في الاحوال الاجتماعية وتمزق الروابط بين كافة افراد المجتمع الدولي ، تمزق الروابط بين أفراد البيت والاسرة والمدينة والقطر ، واضطراب في الاحوال الاقتصادية وسوء توزيع الثروات وتفشي الامراض الاقتصادية كالربا والاستغلال والاحتكار ، والمشاكل والازمات الاقتصادية الدورية •

وقد عاني العالم كله من حربين عالميتين ، أكلتا الاخضر واليابس ، وراح ضحيتها الملايين من القتلى ، والملايين من الجرحى ، ومئات الملايين من الاموال التي انفقت فيها ، ونتجت عنها الاثار الخطيرة في كافة المجالات والانشطة ، نتج عنها القلق والامراض النفسية ، ونتج عنها الفساد الاخلاقي ، وتغير الموازين والمقاييس والمعايير الاخلاقية ونتج عنها تغير المعادلات الدولية ، هزيمة دول عظمى وظهور أمم اخرى فتية واكتوت الانسانية كلها بنار هذه الحروب ، وظهرت فيها آثارها ونتائجها بشكل واضح •

ولم يصل المجتمع العالمي الى السلام بعد هاتين الحربين العالميتين ، بل استمرت الحرب الباردة بين الدول العظمى ، وتوزعت الكتلتان الشرقية الروسية والغربية الامريكية ، اقتسام باقي العالم ، وبسط نفوذهما عليـــه •

ولم يتحقق تبعـــا لذلك السلام السياسي والاجتماعـــي والنفسي والاقتصادي •

---

(٤٠) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء التاسع ـ نوفمبر ١٩٥١ صفحة ٩٣٠ ، والمجلد الحادي عشر الجزء السادس ـ يونيه ١٩٥٢ صفحة ٧٤٩ ـ ٧٥٠ •

وسيد قطب الذي عاصر هاتين الحربين ، وأحس بالمشاكل الدولية المختلفة ورأى بؤر الصراع التي تهدد بنشوب حرب عالمية ثالثة ، أو حروب محلية مختلفة ، وشاهد القلق والاضطراب مرتسما على الوجوه البشرية ، وعاين الاثار الاقتصادية والاجتماعية الناتجة عن هذا كله ٠

ووازن بين هذا الاضطراب العالمي ، وبين السلام الذي يحققه الاسلام ، فقدم خدمة عظمى للبشرية المنكودة ، وأظهر فيها ملامح هذا السلام في الاسلام ، حيث تحدث عن أثر العقيدة ووظيفتها وتحدث عن سلام الفرد مع نفسه وضميره ، وسلام البيت وسلام المجتمع وسلام الدولة والسلام الدولي ، وبين أن هذا كله لا يتحقق الا بالاسلام ٠ ودعا البشرية كلها ، الى الالتزام بالاسلام ليتحقق هذا السلام ٠ وبين في كتابه أن التكتلات المستفيدة من الحروب هي التي تحول بين البشرية وبين السلام ، ولذلك فهي تحارب الاسلام بعنف كي تحجب نوره عن العالم ٠ وقد ضاقت المخابرات الامريكية بتحليلات سيد قطب السياسية الموفقة في الكتاب ، فأوحت الى الحكومة المصرية بحذف هذه التحليلات من طبعاته اللاحقة[٤١] ٠

## ١٩ ـ في ظلال القرآن :

عند ما الف سيد قطب كتابه ( التصوير الفني في القرآن ) عام ١٩٤٥ وبين فيه طريقة القرآن في التعبير ، واظهر فيه المجال الفني المتناسق العجيب ٠ كانت احدى أمانيه في ذلك الوقت أن يعرض القرآن كله في ذلك الضوء وأن يتناوله سورة سورة وآية آية ، يبين فيه خصائص وسمات هذا الجمال الفني ، ويظهر آفاقه ومجاله ، ويسجل ما تحسه نفسه وما يتذوقه قلبه وما توحيه اليه خواطره ، من هذا الجمال المعجز[٤٢] ٠

وبقيت هذه الامنية كامنة في شعوره فترة من الوقت طويلة ٠

وفي ديسمبر ( كانون اول ) ١٩٥١ ، أصدر سعيد رمضان مجلة ( المسلمون ) وكانت مجلة فكرية شهرية ، ويكتب فيها قادة الفكر والرأي في العالم الاسلامي ، وطلب سعيد رمضان من سيد قطب أن يشترك فيها

---

(٤١) انظر صفحات مبحث « سيد قطب المحلل السياسي » من هذا الكتاب ٠

(٤٢) في ظلال القرآن الطبعة الثانية ـ عيسى البابي الحلبي ـ القاهرة : ٦ ٠

بمقال شهري ، وابدى رغبته أن لو كان هذا المقال في موضوع مسلسل ، أو تحت عنوان دائم ·

وفي هذا الوقت ظهرت رغبة سيد قطب الكامنة ، وقفزت الى ذهنه فصار يفسر القرآن تحت عنوان دائم ( في ظلال القرآن ) ·

كتب الحلقة الاولى في العدد الثالث من المجلة في شهر فبراير (شباط) ١٩٥٢[٤٣] وابتدأ بسورة الفاتحة ، ثم ثنى بسورة البقرة ، وقد نشر في المجلة سبع حلقات ·

وفي نهاية الحلقة السابعة في العدد التاسع من المجلة ، أعلن عن ايقاف نشر هذه الحلقات في المجلة ، لانه سوف يقوم بتأليف التفسير وطبعه في كتاب مستقل ، في أجزاء تظهر تباعا : وقال : ( بهذا الدرس ينتهي ما قدر له أن ينشر من هذه السلسلة في ( المسلمون ) ··· وذلك أن ( في ظلال القرآن ) ستنشر مستقلة في ثلاثين جزءا على التتابع ، تظهر كل حلقة على رأس كل شهرين ، ابتداء من شهر سبتمبر القادم باذن الله ، تنشرها دار احياء الكتب العربية لعيسى الحلبي وشركاه ، أما ( المسلمون ) فتأخذ في نشر بحث آخر تحت عنوان ( نحو مجتمع اسلامي )[٤٤] ·

وفعلا ظهر الجزء الاول من ( الظلال ) في اكتوبر عام ١٩٥٢[٤٥] ·

وقد وفى سيد قطب بتعهده مع القراء ، حيث راح بهمة عجيبة يصدر كل شهرين جزءا من هذه الظلال ، بل كان يزيد على هذا احيانا ، ويصدر الجزء من (الظلال ) في أقل من شهرين ، وفي الفترة الواقعة ما بين اكتوبر ١٩٥٢ الى اول يناير ١٩٥٤ كان قد أصدر ستة عشر جزءا من ( الظلال ) أي في سنة واربعة اشهر ·

وقد اعتقل سيد قطب للمرة الاولى مدة ثلاثة شهور من يناير الى مارس ١٩٥٤ واصدر وهو في السجن الجزأين السابع عشر والثامن عشر ·

---

(٤٣) المسلمون السنة الاولى ــ المجلد الاول ــ العدد الثالث ــ فبراير ١٩٥٢ صفحة ٢٨ ــ ٣٢ ·

(٤٤) المسلمون ــ السنة الاولى ــ المجلد الاول ــ العدد التاسع يوليو ١٩٥٢ صفحة ١٥ ·

(٤٥) مجلة الكتاب ــ المجلد الحادي عشر ــ الجزء التاسع ــ نوفمبر ١٩٥٢ صفحة ١١٣٧ ·

وبعد ما خرج من السجن لم يصدر اجزاء جديدة ، حيث اشرف على مجلة ( الاخوان المسلمين ) وكان مهتما بأمور الدعوة ، ولم تسمح له كثرة المشاغل ان يصدر من ( الظلال ) شيئا ٠

ولم يلبث طويلا خارج السجن ، اذ اعيد اليه هو والالوف من افراد ( جماعة الاخوان المسلمين ) في نوفمبر ١٩٥٤ ٠

وفي الفترة الاولى من سجنه لم يكتب شيئا من ( الظلال ) لانه كان ينقل من سجن الى اخر ، وقد صب عليه من صنوف العذاب ووسائل التعذيب ما لا يوصف ، ولم يستطع معها أن يكتب شيئا ٠

وبعد أن صدر عليه الحكم بالسجن خمسة عشر عاما ، وتوقف عنه التعذيب واستقر في السجن ، وتكيفت نفسه مع الوضع الجديد ، انصرف الى اكمال ما بدأ به وكتب الاجزاء الباقية من الظلال ٠

كانت اهتمامات سيد قطب في غالبية الاجزاء من الاول الى السابع والعشرين من الطبعة الاولى ، كما حددها هو في مقدمة هذه الطبعة بقوله : « وما جاوزت أن اسجل خواطري وانا احيا في تلك الظلال ، كل ما حاولت الا أغرق نفسي في بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية ، تحجب القرآن عن روحي وتحجب روحي عن القرآن ، وما استطردت الى غير النص القراني ذاته ، من خاطرة روحية او اجتماعية او انسانية وما احفل القرآن بهذه الايحاءات ٠ كذلك حاولت أن أعبر عما خالج نفسي من احساس بالجمال الفني العجيب في هذا الكتاب المعجز ، ومن شعور بالتناسق في التعبير والتصوير »(٤٦) ٠

وفي الاجزاء الثلاثة الاخيرة من الظلال بدأ يبرز عند سيد قطب الاتجاه الحركي الذي تولد عنده نتيجة لتجربته العملية في الحركة بالاسلام ، ونتيجة لنظراته المتجددة في القرآن ٠ وكان لا بد من أن يعيد النظر في ( الظلال ) ويعيد كتابته على أساس من اتجاهاته الحركية الجديدة ٠

فكان أن أصدر سيد قطب الطبعة المنقحة من الظلال ، وهي الطبعة الثالثة وقد أصدرتها دار احياء الكتب العربية في القاهرة ٠

---

(٤٦) في ظلال القرآن ١/٦ـ٧ الطبعة الثانية ـ عيسى الحلبي ـ بمصر ٠

كتب سيد قطب الاجزاء العشرة الاولى من الطبعة الثالثة المنقحة بتركيز شديد وكان يقف عند الآيات طويلا ، ويسجل حولها كل خواطره ، ويتعرض للحديث عن ما تشير اليه من أمور في العقيدة أو الفقه أو التشريع أو المعاملات أو السياسة أو الاقتصاد أو التاريخ أو الفلسفة أو التربية أو الاجتماع أو غير ذلك ، ويقف طويلا على ايحاءاتها الحركية ، ويسجل للعاملين للاسلام موحياتها ، ويرسم لهم على ضوئها معالم الطريق كما كان أكثر تركيزه على قضايا العقيدة وبخاصة الالوهية والحاكمية والتشريع ٠

ولذلك تضاعف حجم الطبعة المنقحة هذه ، اذ كان حجم الجزء منها يزيد على ضعف حجمه في الطبعة الاولى ٠

وكان الجزء السابع أكثر هذه الأجزاء العشرة تركيزا ، اذ توسع في الحديث على قضايا العقيدة أثناء مقدمته المطولة لسورة الانعام ٠

وفي الاجزاء الثلاثة الباقية من الحادي عشر حتى الثالث عشر ، لم يقف طويلا عند الآيات ، لانه قال اكثر ما يريد قوله في الاجزاء العشرة الاولى ، ومع ذلك جاءت موسعة اكثر منها في الطبعة الاولى ، وكتبها على نفس المنهج الذي كتب به الاجزاء العشرة ، وكان النضوج واضحا في أفكاره في هذه الاجزاء ، وقد كتب هذه الاجزاء الثلاثة الاخيرة في الفترة التي أطلق فيها سراحه ، وهي بضعة شهور من عام ١٩٦٥ ٠

وقد كان سيد قطب يتمنى أن يعيد كتابة باقي الاجزاء من الثالث عشر الى السابع والعشرين على هذا المنهج الجديد ، ويترك الاجزاء الثلاثة الاخيرة بدون اعادة لانها كتبت على ضوء هذا المنهج ٠ ولكن الطغاة عجلوا بالقضاء عليه قبل أن يحقق هذه الامنية ، التي ضاعت مع الكثير من أمانيه الاخرى وحالت المؤامرة المرسومة للقضاء عليه بينه وبين تحقيقها ٠

قبل ادخال سيد قطب السجن – في المرة الاولى – كان قد تعاقد مع دار احياء الكتب العربية على نشر ( الظلال ) ولما أدخل السجن منع من الكتابة ، فرفعت الدار الناشرة دعوى على الحكومة تطالبها بدفع تعويض قيمته عشرة آلاف جنيه لانها تضررت من عدم السماح لسيد قطب بالكتابة وأراد الله ( للظلال ) أن يظهر ، فسمحت الحكومة لسيد قطب بالكتابة في ( الظلال ) وعينت الشيخ محمد الغزالي رقيبا دينيا يعرض عليه ما كتبه

سيد قطب قبل طبعه ، وباشر الغزالي مهمته ، وصارت تعرض عليه كتابات سيد قطب ، وقد أجاز الغزالي كل ما كتبه ، وأذن له بالطبع ، ولم يحذف الا فقرات من تفسير سورة البروج ، أشار فيها سيد قطب الى التعذيب الذي لاقاه هو والمجاهدون في السجون .

هذه هي المراحل التي مر فيها تأليف ( الظلال ) باختصار[٤٧] .

لم يعتبر كتابه تفسيرا للقرآن فقط ، لذلك أطلق عليه اسم ( في ظلال القرآن ) وهو لم يتكلف اطلاق هذا العنوان عليه عندما بدأ في كتابته !!

واعتبر كتابه تسجيلا لحياة هانئة عاشها ( في ظلال القرآن ) يقول : ( في ظلال القرآن ، عنوان لم أتكلفه فهو حقيقة عشتها في الحياة ) ، وكانت تعن له في هذه الحياة « خواطر في العقيدة . وخواطر في النفس . وخواطر في الحياة . وخواطرفي الناس ... كنتأكتفي بأن أعيشها ولا اسجلها »[٤٨] ويقول عن ( ظلاله ) « وبعد : فقد يرى فريق من قراء هذه الظلال انها لون من تفسير القرآن . وقد يرى فريق آخر أنها عرض للمبادىء العامة للاسلام كما جاء بها القرآن . وقد يرى فريق ثالث انها محاولة لشرح ذلك الدستور الالهي في الحياة والمجتمع ، وبيان الحكمة في ذلك الدستور .. أما أنا فلم اتعمد شيئا من هذا كله ، وما جاوزت أن اسجل خواطري وانا أحيا في تلك الظلال »[٤٩] .

وفي الحقيقة أن ( الظلال ) ليس تفسيرا للقرآن ، بالمعنى التقليدي لكلمة تفسير وانما هو موسوعة تعرض فيها سيد قطب لكافة فنون المعرفة والثقافة على ضوء الاسلام وعلى منهج القرآن ، كما تعرض لمناهج الحياة في الاسلام . المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والتربوية والحركية . والاهم من هذا كله أن ( ظلاله ) حياة في ( ظلال القرآن ) بكل ما تحمله كلمةحياةمن معنى . انه وهو يتحدث عن الايات يتحدث عن حقيقة لمسها ، وحياة عاشها ، وتجربة واقعية مر بها ، وحلاوة تذوقها ، ونعمة أحس بها . ولذلك هو ليس تفسيرا للقرآن فقط ، بل هو أكثر من التفسير بكثير .

---

(٤٧) أفادني بهذه المعلومات الاستاذ محمد قطب ـ أحسن الله جزاءه ـ .

(٤٨) في ظلال القرآن ١/٥ من الطبعة الاولى بمصر .

(٤٩) المرجع السابق : ١/٦ .

ولقد لقي ( الظلال ) رواجا كبيرا في مختلف أرجاء العالم الاسلامي لان صاحبه يتحدث عن تجربة ، ويصف حياة ، وقد بذل نفسه في سبيل ما يؤمن به ۰ وقد طبع عدة طبعات باللغة العربية ، منها الاصيلة ومنهـــا المسروقة ، ومن أهم هذه الطبعات الطبعات اللبنانية التي ظهر فيها في ثمانية مجلدات ضخمة ، وطبعة دار الشروق الاخيرة التي ظهر فيها في ستة مجلدات ضخمة ۰

وقد صدرت عن الظلال دراسات قيمة وجيدة منها ( فقه الدعوة ) جمع احمد حسن و ( طريق الدعوة في ظلال القرآن ) جمع احمد فائز في جزءين ، و ( اليوم الاخر في ظلال القرآن ) لاحمد فائز ايضا ۰

**٢٠ ـ دراسات اسلامية :**

صدرت طبعته الاولى عن مكتبة لجنة الشباب المسلم عام ١٩٥٣ ، والكتاب عبارة عن مقالات اسلامية مختلفة كتبها سيد قطب في اوقات مختلفة ونشرها في مجلات مختلفة مثل الرسالة والكتاب والدعوة في الفترة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٥٣ ۰

وقد بلغ مجموع هذه المقالات التي ضمها الكتاب ستا وثلاثين مقالة ۰ منها ( خذوا الاسلام جملة او دعوه ) و ( الى النائمين في العالم الاسلامي ) و ( اسلام امريكاني ) و (ضريبة الذل ) والعبيد و قوة الكلمة و سلسلة المسلمين متعصبون و حسن البنا وعبقرية البناء ۰

وقد قدم الكتاب محب الدين الخطيب ، واعتبر أهم مميزات أدب سيد قطب هي القوة ، وأطلق على أدبه لقب ( ادب القوة ) وبين كيف أن قوة الكلمة أزعجت قوى الطغيان في البلاد ۰ وتمنى على سيد قطب أن يصدر كتابا مثله في مطلع كل عام ، يتحف به القراء والمثقفين والعاملين ۰

**٢١ ـ هذا الدين :**

بعد أن أدخل ( الاخوان المسلمون ) في سجون عبد الناصر ، ولاقوا صنوف التعذيب والعذاب ، وفجعوا في امالهم وأمانيهم ۰ فقد البعض منهم الثقة بنفسه اولا ، وبهذا الدين وقدرته على مواجهة الجاهلية ثانيا ، وبامكانية تحقيق غاية الحركة الاسلامية القريبة ثالثا ۰

أدرك سيد قطب ، وهو القائد المربي ، ما يعانيه اخوانه ، وما تختلج به نفوسهم وخشي أن تكون النتائج سيئة ، أن تؤدي بهم الى ترك راية الجهاد ، فألف كتابه ( هذا الدين ) يبين فيه خصائص هذا الدين ، وانه منهج للبشر ، وان الله قادر على أن ينصره بجنود من الملائكة ، ولكنه شاء أن ينتصر بجهود البشر لحكم كثيرة • وان هذا الدين منهج متفرد لا يماثله منهج آخر • وانه منهج ميسر ، لا عسر فيه ولا مشقة ، ويسهل على النفوس الجادة النهوض بتكاليفه ، وانه منهج مؤثر يحدث اثره الفعال في النفس والمجتمع ، متى ما حملته نفوس صادقة عزمت على التضحية •

كما بين أن لهذا الدين رصيدا من النجاح ، وان هذا الرصيد يتمثل في رصيد الفطرة ، لانه بعقيدته وشريعته ونظامه يوافق الفطرة الانسانية المستقيمة • كما يتمثل في رصيد التجربة ، حيث أن مبادئه ليست مثالية خيالية غير صالحة للتطبيق العملي الواقعي ، فقد طبق ونجحت التجربة ، وكانت الفترة المحدودة التي طبق فيها أثقل من عمر البشرية كلها ، وأكثرها سعادة وطمأنينة •

ان كتاب ( هذا الدين ) يعتبر مرحلة جديدة في فكر سيد قطب واسلوبه فهو بداية اتجاهه الحركي الاسلامي ، حيث أدرك به الخصائص الحركية لهذا الدين وبهذا أظهر أن المستقبل لهذا الدين • وكما كان كتاب ( التصوير الفني في القرآن ) أساس منهجه الجمالي الفني في فهم القرآن وتفسيره جماليا ، كذلك كان كتاب ( هذا الدين ) بداية استخدامه المفتاح الحركي لفتح كنوز القرآن الحركية المذخورة ، التي لم يطلع عليها قبل سيد قطب احد سواه • ولذلك رأيناه بعد تأليف هذا الكتاب يعيد النظر في الظلال ويصدر الطبعة الجديدة المنقحة منه على أساس منهجه الحركي في التفسير !!

### ٢٣ ـ المستقبل لهذا الدين :

وهو يكمل مهمة الكتاب السابق ( هذا الدين ) ، فبعد أن أعاد ذلك الكتاب الثقة في نفوس العاملين ، ورسم لهم ملامح الاسلام وخصائص منهجه بين في هذا الكتاب أن المستقبل هو لهذ الدين •

كما بين كيف أن الاسلام منهج حياة شامل كامل ، يستوعب مختلف شؤونها ويقيمها على اسسه ومبادئه ، ويلبي كافة حاجات الانسانية ،

ولا يوجد أي دين يؤدي هذه المهمة ، وتتوفر فيه هذه الخصائص سواه ولذلك ـ وبهذا الاعتبار ـ فان المستقبل انما هو لهذا الدين فقط · وتحدث في كتابه عن الفصام النكد الذي تم بين الديانة النصرانية المحرفة وبين العلم الحديث ، وانه تم لملابسات خاصة هناك ، وان الاسلام لن يقع خصام بينه وبين العلم · كما بين أن الرجل الابيض الذي يقود الحضارة الغربية قد انتهى دوره ، واستنفذت الحضارة الغربية اغراضها ، وسجل بعض صيحات الخطر اطلقها بعض علماء الغرب ، يحذرون فيها من المصير البشع الذي تقود الحضارة الغربية البشرية اليه · وأعلن انه لا بد من مخلص يغير مسار القافلة ، ويخلصها من ما هي فيه · وانه لن يكون الا الاسلام ·

### ٢٣ ـ خصائص التصور الاسلامي ومقوماته :

خصصه للحديث عن العقيدة الاسلامية وخصائصها ، وقد أعلن عنه اولا باسم ( فكرة الاسلام عن الكون والحياة والانسان ) ولكنه عدل عن هذا الاسم ، واطلق عليه اسم ( خصائص التصور الاسلامي ) · وقد جعل هذه الدراسة في قسمين : القسم الاول عن ( خصائص التصور الاسلامي ) والقسم الثاني عن ( مقومات التصور الاسلامي ) · ولم يظهر من هذه الدراسة الا القسم الاول فقط ·

لقد أمضى سيد قطب وقتا طويلا وهو يبحث ويدرس حتى أخرج هذا الكتاب وقد استغرق تأليفه حوالي عشر سنوات · من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٦٠ · ولا غرابة في ذلك · فالعقيدة الاسلامية هي التي أنهت رحلة الضياع التي قطعها سيد قطب لفترة من الوقت · وهي التي نقلت خطاه هذه النقلة البعيدة ·

والكتاب من أعمق كتب سيد قطب ، وقد تحدث عن العقيدة باسلوبه المعهود بسلاسة ووضوح وجاذبية ، وهو قد استفاد كثيرا من اسلوب القرآن في عرض العقيدة ·

تحدث عن أسلوب القرآن في عرض العقيدة ، ثم بين الركام الذي اوجده البشر في اضافاتهم للعقيدة والتيه الذي ساروا فيه · ثم تحدث ببيان ووضوح عن خصائص هذه العقيدة وهي : الربانية · الثبات · الشمول · التوازن · الايجابية · الواقعية · التوحيد ·

## ٢٤ ـ الاسلام ومشكلات الحضارة :

الحضارة المادية الغربية التي تسلمت قيادة البشرية في القرن العشرين حضارة بشرية جاهلية ، يقودها الشيطان وجنوده من الانس والجن ، يقودون البشرية الى الهاوية • ويدغدغون لها عواطفها وشهواتها ونزواتها وهي تسير معهم كالقطيع الذي لا يدري أين يذهب به صاحبه ، وقد أنتجت هذه القيادة الجاهلية الشيطانية للحضارة مشكلات انسانية ، اوقعت فيها البشرية وصارت البشرية وبخاصة المفكرون والمصلحون يتخبطون في حل هذه المشكلات الحضارية ، ولكنهم فشلوا في ايجاد الحلول الناجعة •

وسيد قطب الذي عرف هذه الحضارة عن كثب ، وعايشها قرابة اربعين عاما وتحسس مشكلاتها القاتلة ، ورأى جهود المصلحين في حلها كأنها عبث أطفال ، وهو من جهة ثانية تعرف الى الاسلام ، الدين الالهي الخالد ، الذي حفظه الله من التحريف وجعل اصلاح البشرية مقصورا عليه • سيد قطب الذي عرف هذا الاسلام ، وعرف دوره في اصلاح البشرية ، والامال التي تعلقها عليه •

ألف كتابه ( الاسلام ومشكلات الحضارة ) ليعطي البشرية العلاج الناجع ويعرفها على الدواء الشافي ، ويدعوها الى الاقبال على هذا الاسلام لتحل كافة مشكلاتها التي احدثتها حضارتها المادية التي اوجدتها القيادة الجاهلية الشيطانية •

وكان في كتابه يشخص المشكلة ، ويبين سماتها وآثارها ، ويستشهد لها بكلام مفكري الحضارة وعلمائها ، ثم بعد هذا يصف الدواء ويبين الحل الاسلامي لهذه المشكلة وهو يشخص المشكلة باسلوب الخبير ويقدم الحل الاسلامي بطريقة العالم المفكر •

## ٢٥ ـ معالم في الطريق :

وهو آخر مؤلفاته المطبوعة • اذ سيق سيد قطب واخوانه الى السجن بعد ظهور الكتاب بفترة قصيرة • وهو الذي عجل في اصدار حكم الاعدام على صاحبه ، وجعله الطغاة من بين حيثيات الحكم • بل كانوا يسألون المعتقلين في التحقيق عن قراءتهم للكتاب •

وقد كتبه سيد قطب بأسلوب ثوري عنيف ، مدعم بالبراهين ، وكان اسلوبه فيه يتميز عن اسلوبه في باقي كتبه ، لقد كان سيد قطب في كتابه جريئا وفي غاية الجرأة صريحا وفي غاية الصراحة ، وكان يقول لاحد تلاميذه واسمه ( سيد ) : ( تعال يا سيد نراجع معا فصلا من فصول هذا الكتاب – يعني معالم في الطريق – وأنا أظن أن ابواب السجن ستفتح لنا وله من جديد · وقد تنصب لنا اعواد المشانق ) ، وكان تلاميذه واخوانه يرجونه الا يطبع المعالم حفاظا على حياته · فيرفض قائلا :« لا بد ان يتم البلاغ »(٥٠)

بين في مقدمة الكتاب انه لا بد من طليعة مؤمنة تقوم بالبعث الاسلامي وتعزم على السير في الطريق ، لتعيد القيادة الايمانية الى البشرية · وان الطريق أمامها مليء بالاشواك ، لان القيادة الجاهلية الشيطانية لن تسلم قيادها لها بسهولة بل تحاربها بكل مؤسساتها وامكانياتها · ولكن العاقبة لهذه الطليعة ان هي صبرت · ورسم لهذه الطليعة معالم طريقها ، التي لا بد أن تقام من القرآن الكريم « لهذه الطليعة المرجوة المرتقبة كتبت – معالم في الطريق – ، منها اربعة فصول مستخرجة من كتاب – في ظلال القرآن – ( وهي طبيعة المنهج القرآني ) و ( التصور الاسلامي والثقافة ) و ( الجهاد في سبيل الله ) و ( نشأة المجتمع المسلم وخصائصه ) مع تعديلات واضافات مناسبة لموضوع كتاب المعالم · ومنها ثمانية فصول – غير هذه المقدمة – مكتوبة في فترات حسبما اوحت به اللفتات المتوالية الى المنهج الرباني الممثل في القرآن الكريم »(٥١) ·

فكتابه هذا كتاب في العقيدة والفكر والبناء والتنظيم ، لم يؤلفه للثقافة فقط وانما ليصوغ العاملون افكارهم على ضوئه ، وليجعلوه رائدا لهم في مسيرتهم وليقيموا البناء والتنظيم على هدى منه · وليهتدوا به في طريقهم اللاحب الطويل ·

والكتاب كله بلاغ للناس جميعا ، ووصية من سيد قطب للعاملين من بعده وهو يغادر هذه الحياة الدنيا ، والفصل الاخير منه ( هذا هو الطريق ) الذي تحدث فيه عن قصة اصحاب الاخدود التي وردت اشارة لها في سورة البروج ، وما توحيه هذه القصة للعاملين بشكل عام ، وطلائع البعث

(٥٠) أورد هذا الدكتور عبد الله عزام في دراسته التي هي قيد التحرير ·

(٥١) معالم في الطريق : ١١ – ١٢ دار دمشق ·

الاسلامي بشكل خاص ، يتجلى في هذا الفصل وصية الرائد القائد لجنوده وهو ذاهب الى ربه ٠

يقول : ( لقد كان في استطاعة المؤمنين أن ينجوا بحياتهم في مقابل الهزيمة لايمانهم ولكن كم كانوا يخسرون هم أنفسهم ؟ وكم كانت البشرية كلها تخسر ؟ كم كانوا يخسرون وهم يقتلون هذا المعنى الكبير ، معنى زهادة الحياة بلا عقيدة ، وبشناعتها بلا حرية ، وانحطاطها حين يسيطر الطغاة على الارواح بعد سيطرتهم على الاجساد )(٥٢) ٠

ويبين ما توجيه خاتمتهم في الاخدود قائلا : « لم يكن بد من هـــذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون ولا يؤخذ فيه الكافرون : ذلك ليستقر في حس المؤمنين ــ أصحاب دعوة الله ــ انهم قد يدعون الى نهاية كهذه النهاية في طريقهم الى الله وأن ليس لهم من الأمر شيء ، انما أمرهم وأمر العقيدة الى الله ، ان عليهم أن يؤدوا واجبهم ، ثم يذهبوا ٠٠ وواجبهم أن يختاروا الله ، وان يؤثروا العقيدة على الحياة وان يستعلوا بالايمان على الفتنة ، وان يصدقوا الله في العمل والنية ٠٠ ثم يفعل الله بهم وبأعدائهم كما يفعل بدينه ودعوته ما يشاء(٥٣) ٠

بهذه الكلمات ختم سيد قطب كتابه ، وبهذا الكتاب ختم سيد قطب حياته في هذه الدنيا الفانية ، وغادرها الى ربه يحمل معه اسمى وسام ، وسام الشهادة ، غادر الدنيا واخوانه وتلاميذه ومريدوه في امس الحاجة اليه ، في حاجة له اكثر من حاجتهم له في اي وقت مضى ٠ مضى الى ربه تاركا وراءه ــ فيما ترك ــ عددا من البحوث والدراسات القرآنية والتربوية والحركية الناضجة ، التي ماتت بمغادرته ، لانه لن يظهرها الا سيد قطب فقط ، الذي تميز عن غيره من العاملين بمميزات كثيرة اهلته ــ هو وحده ــ للقيام بهذه المهمة ، واعداد تلك الدراسات !!

لقد وصل سيد قطب ــ بتوفيق الله ــ بعد جهد موصول واطلاع بصير وتجربة عميقة ، أكثر من خمسين عاما من عمره ، وعرف كيف يستفيد منها بموهبته ٠ فهو لم يكد يراهق حتى بدأ حياته الادبية في جد واحتفال ، وكان الاطلاع عمله الاول ، وراح ينتج بحوثا ادبية تجلى فيها الخصب والنماء ٠

---

(٥٢) معالم في الطريق : ٢٣٥ ــ ٢٣٦ دار دمشق ٠

(٥٣) المرجع السابق : ٢٤٢ ٠

ثم سار في طريقه الاسلامي ، وقطع فيه خطوات قصيرة في العد ، اذ لا تزيد هذه الحياة على خمسة عشر عاما ، ولكنها ثقيلة في الميزان ، مباركة في العطاء ، صادقة في النية والاتجاه ، وقد أوصلته هذه الطريق المباركة الى شجرة المعرفة ، فاستروح بنسيمها ، وعاش فترة سعيدة في ظلالها ، فترة أطالت عمره وباركته وزكته ، وصار كلما أراد أن يتحف العاملين والمجاهدين بتحفة جديدة ، يهز هذه الشجرة هزا رفيقا فتتساقط ثمارها الناضجة في يسر ورخاء ، فيقدم هذه الثمار زادا لهم .

ويتجلى هذا في كتبه الاسلامية التي قدمها ، فعندما ظهر كتابه الاول ( التصوير الفني في القرآن ) قال العارفون : هذا هو كتاب سيد قطب ! وعندما ظهر كتابه ( العدالة الاجتماعية في الاسلام ) قالوا : لا بل هذا هو كتاب سيد قطب . وعندما ظهر كتابه (خصائص التصور الاسلامي) قالوا : لا بل هذا هو . وعندما ظهر ( في ظلال القرآن ) قالوا :هذا هو الكتاب . واخيرا عندما ظهر كتاب ( معالم في الطريق ) قالوا : هذا هو كتاب سيد قطب ، ولو لم يكن له غيره لكفاه .

وأعتقد أنه لو قدر الله – جلا وعلا – لكتبه الاسلامية الحركية الاخرى بالظهور بعد ( المعالم ) لغطت على ما سبقها ، فالشجرة عنده متهيئة للعطاء خاصة في آخر أيامه ، ما يكاد يلمسها لمسة رقيقة حتى تعطي الجني الشهي في رفق ولين .

هذه هي الكتب الخمسة والعشرون ، التي طبعها سيد قطب في حياته .

وأحب أن ابين – فيما يلي – حقيقة كتب ظهرت بعد استشهاده ، وأوحت الى القراء أنها ألفها سيد قطب ، وقدمها الى المطبعة بهذا الشكل الذي ظهرت فيه مع أن الامر ليس كذلك !!

## ١ – أفراح الروح :

مجموعة من الخواطر والافكار ، خطرت في ذهن سيد قطب وهو في امريكا في الفترة ما بين عامي ١٩٤٩ و ١٩٥١ ، سجلها في رسائل خاصة الى أخيه واختيه وأصدقائه في مصر وسائر البلاد العربية ، وفي انجلترا وفرنسا كذلك[٥٤] . ويتحدث عن شعوره أثناء كتابتها قائلا : « وكنت أجدني

---

(٥٤) الكتاب – المجلد العاشر – الجزء الرابع ابريل ١٩٥١ صفحة : ٣٩٠ وقد أخطأ من زعم أنها رسالة لأخته أمينة قطب فقط .

أقرب الى حقيقتي وانا اكتبه ، الى حد أن أعيش هذه الافكار والخواطر وأترجمها شعورا وسلوكا لحظة بعد لحظة ويوما بعد يوم ، وكنت أجد من الصفاء الروحي والرضا النفسي بسبب عيشتي لهذه الافكار • ما يملأ حياتي غبطة ، أن لا أجد ما يخجلني أمام نفسي من عزلة بين ما أقوله للناس ، وما ازاوله في الحياة ، وكنت من الفرح بهذا التوافق الى حد أن احفظ ـ انا الذي لا احفظ له ـ فقرات كاملة من هذه الرسائل الخاصة لكثرة استعادة الفاظها وأنا استشعر مدلولاتها »(٥٥) •

ثم خطر له أن هذه الرسائل الخاصة تصلح للنشر لانها قصة واقع حي ، فجمع طائفة منها وأرسلها الى عادل الغضبان رئيس تحرير مجلة الكتاب ، التي كان يكتب فيها سيد قبل ذهابه الى امريكا ، وكان الغضبان يراسل سيد ويستحثه أن يكتب شيئا لمجلته • ولكن الغضبان لم ينشر هذه الرسائل ، واحتفظ بها الى حين عودة سيد قطب من أمريكا ، وسلمه اياها في أول لقاءه به(٥٦) •

احتفظ سيد قطب بهذه الرسائل ، ولم يشأ أن يطبعها في كتاب مستقل • وعندما بدأت محنته الاولى حصلت مجلة ( الفكر ) التونسية على هذه الرسائل ، فنشرتها تحت عنوان ( أضواء من بعيد )(٥٧) •

وبعد اعدام سيد قطب عام ١٩٦٦ ، جمعت ( الدار العلمية ) في بيروت هذه الرسائل المنشورة في مجلة ( الفكر ) ونشرتها تحت عنوان ( افراح الروح ) وصدر الكتيب عام ١٩٧١ ، في ثلاثين صفحة من القطع الصغير •

## ٢ ـ نحو مجتمع اسلامي :

عندما صدرت مجلة ( المسلمون ) عام ١٩٥١ في القاهرة ، اتفق سعيد رمضان مع سيد قطب على أن يشترك في تحريرها ، بمقالة دائمة ، فكتب سبع حلقات في سلسلة ( في ظلال القرآن ) ثم تعاقد مع دار احياء الكتب العربية بمصر ، على أن تنشر له ( الظلال ) في أجزاء متتابعة •

---

(٥٥) الكتاب ـ المجلد العاشر ـ الجزء الرابع ابريل ١٩٥١ صفحة : ٣٩١ •
(٥٦) المرجع السابق : ٣٩٣ •
(٥٧) وهو نفسه عنوان مقالة نشرها في (الكتاب) المجلد التاسع ـ الجزء الثاني ـ فبراير ١٩٥٠ صفحات ١٤٣ ـ ١٤٥ • وقد نشرتها مجلة (الفكر) التونسية في العدد السادس من السنة الرابعة مارس ١٩٥٩ •

وبعد أن توقف عن كتابة الظلال في مجلة المسلمون كتب فيها خمس مقالات في زاوية جديدة اسماها ( نحو مجتمع اسلامي ) والمقالات هي ( المستقبل للاسلام ) و ( كيف نستوحي الاسلام ) و ( طبيعة المجتمع الاسلامي ) و ( مجتمع عالمي ) و ( نظام رباني ) • وقد نشرها في الاعداد العاشر والحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر والرابع عشر من المجلة(٥٨) •

ثم توقف عن الكتابة تحت هذه الزاوية •

وقد سبق أن أعلن عن بحث له تحت عنوان ( نحو مجتمع اسلامي ) قبل أن يكتب في ( المسلمون ) هذه الحلقات • وكان المراقبون يرتقبون هذا البحث في شوق ولهفة • ولكنه كان يعيد النظر في بحثه دائما على ضوء ما استفاده من دراساته وبحوثه ونظراته المتكررة الفاحصة في القرآن •

وعندما أصدر كتابه ( الاسلام ومشكلات الحضارة ) عام ١٩٦٢ ، أشار في فصل ( طريق الخلاص ) الى هذا البحث بقوله ( وفي حدود جهدي الخاص : لقد أعددت لهذا ( ملامح المجتمع الاسلامي وخصائصه ) بحثا ضخما مفصلا تحت عنوان ( نحو مجتمع اسلامي )(٥٩) •

وتصريح سيد هنا بأن بحثه ضخم مفصل يدل على أن البحث كبير الحجم • وقد قضى أكثر من أربعة عشر عاما وهو يعد هذا البحث ، مما يدل على أنه بذل فيه جهدا كبيرا ، وأولاه عناية خاصة •

ثم استشهد سيد قطب ، وتسابقت المكتبات الى نشر كتبه ، والاتجار بها ، وصورت عنها عدة طبعات •

وفي عام ١٩٦٩ ، نشرت ( مكتبة الاقصى ) في عمان ، كتابا تحت عنوان ( نحو مجتمع اسلامي ) لسيد قطب ، وأقبل الجميع على الكتاب ، وهم يظنون أنه هو نفس البحث الذي أعلن عنه سيد قطب ، البحث الضخم المفصل • وفوجئوا به اذ رأوه على هذه الصورة • والحقيقة أن مكتبة الاقصى جمعت المقالات الخمس المنشورة في المسلمون ونشرتها تحت هذا العنوان • وكان عليها أن تشير الى أصل الكتاب الذي نشرته ــ حتى لا يقع اللبس ولا تضيع الحقيقة العلمية !!

---

(٥٨) أنظر (المسلمون) هذه الأعداد • في المجلدين الأول والثاني •

(٥٩) الاسلام ومشكلات الحضارة : ١٨٥ •

### ٣ ـ في التاريخ فكرة ومنهاج :

نشر سيد قطب مقالتين تحت هذا العنوان في مجلة ( المسلمون ) في العددين الاول والثاني(٦٠) ٠

وبعد استشهاد سيد قطب ، وتسابق المكتبات الى المتاجرة بكتبه ، نشرت الدار السعودية للطباعة والتوزيع بجدة ، هاتين المقالتين في كتيب اسمته بهذا الاسم ( في التاريخ فكرة ومنهاج ) واضافت اليها مقالتين اخريين عن التصور الاسلامي للادب لا ادري اين نشرهما ٠ فتوهم الناس أن هذا الكتاب ألفه سيد قطب في حياته ٠

### ٤ ـ معركتنا مع اليهود :

مجموعة مقالات كتبها سيد قطب في مجلة ( الدعوة ) المصرية في أوائل الخمسينيات وقسم منها اقتطع من (في ظلال القرآن) وهو (الى المتثاقلين عن الجهاد ) ٠ وقد جمع هذه المقالات زين العابدين الركابي ، وقدم لهـــا بمقدمة جيدة ٠ بين فيها جوانب من عظمة سيد قطب ٠ ونشرتها لاول مرة ( الدار السعودية للنشر والتوزيع ) بجدة ٠

وقد أحسن الجامع ـ زين العابدين الركابي ـ صنعا ، عندما كان يشير في الحاشية ، عند اول كل مقالة الى المجلة التي نشرت فيها ٠ وكان من المستحسن أن يشير ـ بالاضافة الى اشاراته تلك ـ في أول الكتاب الى أصله حتى يعرف القارىء حقيقته لأول وهلة !!

### ٥ ـ تفسير سورة الشورى :

اقتطعت ( الدار السعودية ) تفسير سورة الشورى من كتاب ( في ظلال القرآن ) ونشرتها في كتاب مستقل ٠ وظن البعض أن سيد قطب خص تفسير هذه السورة بكتاب مستقل ، زيادة على تفسيره لهـــا في ( الظلال ) ، ولا أدري لماذا أخذ هذا القسم من التفسير ؟ ولماذا سورة الشورى بالذات ؟ وماذا يميز تفسيره لها عن تفسيره لباقي السور ؟ لا سبب لهذا الا الرغبة في تحقيق الكسب المادي عن أي طريق كان !!

---

(٦٠) المسلمون : المجلد الأول ـ العدد الأول ـ سبتمبر ١٩٥١ : ٥٨ ـ ٦٢ والعدد الثاني أكتوبر ١٩٥١ صفحة : ٥٥ ـ ٦٠ ٠

**٦ ـ تفسير آيات الربا :**

وقصة هذا الكتاب هي قصة سابقه ( تفسير سورة الشورى) اختارته ( الدار السعودية ) من ( الظلال ) ونشرته في كتاب خاص ، لا لهدف سوى التجارة والربح !

**٧ ـ قصة الدعوة :**

**٨ ـ اسلام أو لااسلام :**

**٩ ـ الى المتثاقلين عن الجهاد :**

**١٠ ـ رسالة الصلاة :**

كتيبات أربع ، اختارها الناشرون من ( في ظلال القرآن ) ونشروها على الملأ وظن الناس أن هذه كتابات جديدة لسيد قطب ، فأقبلوا عليها بشغف ولهفة ٠ واستفاد الناشرون منها ربحا حراما ودخلا غير مشروع ٠ لانه تحايل وسرقة ، وغش وتزوير ٠

واذا لم يتم وضع حد لعبث العابثين واستغلال المستغلين ، وجشع الطامعين فكم سنرى كتبا جديدة ، تنزل الاسواق تحمل عناوين جديدة ، للمؤلف الشهيد سيد قطب ٠ واذا اجاز بعض الناشرين لانفسهم أن يقتطعوا ملازم من ( الظلال ) يقدمونها الى المطابع ! فكم سنرى كتبا جديدة لــــه ؟؟

ان سيد قطب الرجل الرائد المجاهد ٠ الذي مات في سبيل ما يؤمن به ، مات في سبيل كتبه وبحوثه الحقة ، ولم يؤلفها ، ليستغلها المستغلون من بعده ٠ ويتاجروا بها ، ويكسبوا الاف الجنيهات منها ، ويثروا من ورائها ، الثراء الفاحش الحرام ٠ وأمر عجيب أن يموت مؤلف من اجل كتبه ، وان يتعيش مرتزقة عليها ، ويتاجروا بها باسم الاسلام !!!

انني ادعو الى اخراج تراث سيد قطب المطمور في بطون المجلات في المكتبات ادعو الى اخراجه وتصنيفه وتبويبه ونشره ، ولكن على أن يشار على غلاف الكتاب أو في مقدمته الى أصل الكتاب وحقيقته ٠ وأدعو الى اجراء دراسات عديدة عن سيد قطب ، تشمل مختلف ما أنتجه ، وتتعرض لكافة المجالات التي أنتج فيها ، وتعرف على مواهبه الفذة العديدة ٠ وشتان بين دراسة وثائقية علمية جادة تهدف الى نشر الحقيقة ، وبين تجارة مادية لا ترعى عهدا ولا تظهر حقا !!

# بحوث له لم تنشر

رزق الله سيد قطب ـ فيما رزقه اياه ـ موهبة فذة في اختيار البحوث وتصنيفها كما رزقه نظرة فنية في تبويبها ، وتمتع بهمة عالية ، وجلد دائب وصبر عجيب ، وتوفر كامل على البحث ، والسير فيه واستيفاء جوانبه ، وتقصي حاجاته ، حتى اتمامه أو مقاربة اتمامه ٠

والعجيب في سيد قطب ـ فوق هذا كله ـ أنه لم يكن يرضى عن بحوثه ويركن اليها ، ويعتمد عليها ،فما يكاد يقطع مرحلة طويلة من البحث ، ويقارب على نهايته حتى يتولد في ذهنه بحث جديد ، يراه اولى من البحث السابق ، فيترك الذي بين يديه ، ويبدأ سيرا جديدا مع بحث جديد ، وهكذا ٠

ولذي يدرس اثار سيد قطب ، وبخاصة مقالاته في الصحف والمجلات ، يطلع على عدد من البحوث كان ينوي تأليفها ، ويشير اليها في هذه المقالات ولكنه كان يتخلى عنها في اخر لحظة ٠ وان هذه البحوث على اختلاف انواعها لو أكملها ونشرها لاضافت الجديد المفيد الى عالم الادب والنقد والشعر والقصة والفكر الاسلامي ٠

والبحوث التي اطلعت على اشارته لها ، والتي لم يقدر لها أن ترى النور هي :

### ١ ـ مهمة الشاعر في الحياة :

بحث ضخم كان ينوي تأليفه ، واعتبر الكتاب المطبوع بهذا العنوان مقدمة لذلك البحث[٦١] ٠

### ٢ ـ دراسة عن شوقي :

كان ينوي اعداد هذه الدراسة الشاملة عن أمير الشعراء احمد شوقي ويستوفي كل قصائده واشعاره ، لتكون النتائج التي يصدرها صادقة ، وبعد خبرة ومعرفة واطلاع[٦٢] ٠

---

(٦١) مهمة الشاعر في الحياة : ٧ ٠

(٦٢) المرجع السابق : ١١ ٠

**٣ ـ المراهقة : اخطارها وعلاجها :**

كتاب في التربية ، ومعالجة مشاكل الشباب ، قال عنه : « انا على وشك اخراج كتاب في التربية عن ـ المراهقة اخطارها وعلاجها[٦٣] ـ ) مما يدل على انه كان جاهزا بين يديه ·

**٤ ـ المرأة لغز بسيط :**

عني بدراسته مدة عشر سنوات ، ونشر خلاصة له في مجلة الاسبوع[٦٤] ·

**٥ ـ المرأة في قصص توفيق الحكيم :**

وعد أن يكتب هذا البحث ، ونشر هذا الوعد في مجلة الاسبوع[٦٥] ·

**٦ ـ اصداء الزمن :**

ديوان شعر له ، وهو الثاني بعد ( الشاطيء المجهول ) الذي صدر فعلا · وكان قد قدمه الى المطبعة ووعد أن يصدر في عام ١٩٣٧ ولكن عدل عنه في آخر لحظة[٦٦] ·

**٧ ـ الكأس المسمومة :**

ديوان الشعر الثالث له ، أعلن عنه أنه تحت الطبع[٦٧] ·

**٨ ـ قافلة الرقيق :**

الديوان الرابع ، وأعلن عنه أنه تحت الطبع[٦٨] ·

**٩ ـ حلم الفجر :**

الديوان الخامس ، وحل به ما حل بالدواوين السابقة[٦٩] ·

---

(٦٣) الاسبوع ـ السنة الاولى ـ عدد : ٢٦ تاريخ ٢٣ مايو ١٩٣٤ صفحة : ١٤ ·
(٦٤) الاسبوع ـ المجلد الرابع ـ عدد : ٤٥ تاريخ ٣ أكتوبر ١٩٣٤ صفحة : ٩ ·
(٦٥) المرجع السابق ·
(٦٦) مجلة دار العلوم ـ السنة الرابعة ـ العدد الثاني أكتوبر ٩٣٧ صفحة : ١٤٤ ·
(٦٧) الغلاف الأخير من ( كتب وشخصيات ) طبعة دار الكتب العربية بدمشق ·
(٦٨) المرجع السابق ·
(٦٩) قائمة كتبه المنشورة في (معركة الاسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢ نشر دار الاخوان للصحافة ·

**١٠ ـ القطط الضالة :**

قصة مصورة له ، أعلن عنها انها تحت الطبع[٧٠] .

**١١ ـ من أعماق الوادي :**

قصة اخرى اعلن عنها أنها قيد التحرير[٧١] .

**١٢ ـ المذاهب الفنية المعاصرة :**

بحث نقدي من سلسلة بحوثه النقدية ، أعلن أنه تحت الطبع[٧٢] .
وقد أشار اليه في موطن آخر باسم ( المدارس الادبية المعاصرة )[٧٣] .

**١٣ ـ الصور والظلال في الشعر العربي :**

بحث آخر من سلسلة بحوثه لنقدية[٧٤] .

**١٤ ـ القصة في الادب العربي :**

بحث نقدي آخر له أعلن أنه قيد البحث[٧٥] .

**١٥ ـ شعراء الشباب :**

أشار اليه في موطن آخر باسم ( الشعر المعاصر ) وهو من سلسلة بحوثه النقدية[٧٦] .

**١٦ ـ القصة الحديثة :**

بحث آخر من سلسلة بحوثه النقدية[٧٤] .

---

(٧٠) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) .
(٧١) المرجع السابق .
(٧٢) المرجع السابق .
(٧٣) الرسالة ـ السنة الثانية عشرة ـ المجلد الثاني عدد ٥٩٧ تاريخ ١١ ديسمبر ١٩٤٤ صفحة ٨٨ .
(٧٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) .
(٧٥) المرجع السابق .
(٧٦) المرجع السابق : وانظر الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني عدد ٦٩٨ تاريخ ١٨ نوفمبر ٤٦ صفحة ١٢٨٧ .
(٧٧) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) .

والبحوث الخمسة الاخيرة بحوث نقدية ، وقد سلك طريقا عجيبا في تحرير البحثين الاخيرين منها ( شعراء الشباب ) و ( القصة الحديثة ) حيث كتب اعلانا في مجلة الرسالة وجهه الى الادباء العرب في العالم العربي رجاهم فيه أن يرسلوا له كل نتاجهم الأدبي من الشعر والقصة ليستكمل البحثين ويستقصي جوانبهما[(٧٨)] .

### ١٧ ـ عرابي المفترى عليه :

بحث أعده لدراسة شخصية احمد عرابي وترجمة حياته ورد المفتريات عنه[(٧٩)] .

### ١٨ ـ الشريف الرضي :

أعده لدراسة الشريف الرضي وترجمة حياته ، وبيان دوره في الادب العربي[(٨٠)] .

### ١٩ ـ لحظات مع الخالدين :

لم نعرف من هؤلاء الذين سيتركنا نعيش معهم لحظات ، لكن نجزم انه كان من بينهم الشاعر محمد اقبال[(٨١)] .

### ٢٠ ـ أمريكا التي رأيت :

بحث سجل فيه دراسته العميقة الفاحصة للحياة الامريكية والمجتمع الامريكي وكان من المتوقع أن يثير ضجة لو صدر ، وكان سيد قطب راغبا في اصداره الا أنه عندما اعتقل عام ١٩٥٤ عهد بمسودة البحث المخطوطة الى أحد معارفه ليخفيه ريثما تستقر الاحداث وتنتهي الازمة ، وطلب منه الاحتفاظ به ، لكن هذا الاخير لم تكن عنده الشجاعة الكافية ، فلم يتمكن من الاحتفاظ بالامانة ، اذ عندما اشتدت وطأة الاعتقالات ضد الاخوان

---

(٧٨) أنظر مبحث « سيد قطب الباحث » من هذا الكتاب .

(٧٩) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) .

(٨٠) المرجع السابق .

(٨١) مذكرات سائح في الشرق العربي للندوي : ١٥٣ وقائمة (معركة الاسلام والرأسمالية) الطبعة الثانية ١٩٥٢ نشر دار الاخوان .

المسلمين ، خاف الرجل على نفسه ، فأحرق البحث • وبهذا حرم الناس من بحث من أعمق بحوث سيد قطب[٨٢] •

وقد نشر سيد قطب في الرسالة ثلاث حلقات مختصرة من هذا البحث بلغت صفحاتها خمس عشرة صفحة ، تحدث فيها عن أمريكا وحضارتها ونشوئها وبدائية الشعب الامريكي في كل شيء ، بدائيته في تفكيره وعاداته وأذواقه واعرافه ، وكشف الكثير من خلفيات الحياة هناك[٨٣] •

**٢١ ـ القصة بين التوراة والقرآن :**

**٢٢ ـ النماذج الانسانية في القرآن :**

**٢٣ ـ المنطق الوجداني في القرآن :**

**٢٤ ـ الاساليب الفنية في القرآن[٨٤] :**

أشار الى هذه الاربعة في نهاية كتابه ( كتب وشخصيات ) وفي مقدمته لكتاب ( مشاهد القيامة في القرآن )[٨٥] ويبدو انه تعرض لهذه البحوث عندما الف موسوعته القرآنية ( في ظلال القرآن ) بالقدر الذي تسمح به طبيعة ( الظلال ) وعلى ضوء اهتماماته الاسلامية العديدة •

وعندما طبع الجزء الثالث عشر من ( الظلال ) الطبعة المنقحة عام ١٩٦٤ ، أثبت في نهايته قائمة بالكتب المعتمدة لديه • وأشار الى بحوث اخرى تحت عنوان ( كتب تالية باذن الله ) وهي :

**٢٥ ـ معالم في الطريق : ( المجموعة الثانية ) •**

**٢٦ ـ في ظلال السيرة :**

وأشار اليه في ( الظلال ) أثناء حديثه عن الثلاثة الذين خلفوا عن غزوة تبوك[٨٦] •

---

(٨٢) أخبرني بهذه الحقيقة الأستاذ محمد قطب •

(٨٣) الرسالة ـ السنة الرابعة عشرة ـ المجلد الثاني • أعداد : ٩٥٧ ، ٩٥٩ ، ٩٦١ •

(٨٤) الغلاف الأخير من (كتب وشخصيات) طبعة دار الكتب العربية بدمشق •

(٨٥) مشاهد القيامة في القرآن : ٧ •

(٨٦) في ظلال القرآن ١٧٣٢/٣ •

**٢٧ ـ في موكب الايمان :**

**٢٨ ـ مقومات التصور الاسلامي :**

وهو القسم الثاني المتمم للخصائص وقد علمنا أن قسما كبيرا من البحث لم يتلف وانه تحت الطبع الان[٨٧] ٠

**٢٩ ـ أوليات في هذا الدين :**

**٣٠ ـ هذا القرآن :**

**٣١ ـ تصويبات في الفكر الاسلامي المعاصر :**

وقد أشار اليهفي ( الظلال ) عند تفسيره لسورة هود[٨٨] ٠

**٣٢ ـ نحو مجتمع اسلامي :**

وقد أشار اليه عدة مرات في كتبه[٨٩] ٠

---

(٨٧) أشار الى هذا محمد قطب ٠

(٨٨) في ظلال القرآن ١٨٨٥/٤ ٠

(٨٩) منها كتاب (الاسلام ومشكلات الحضارة) : ١٨٥ ٠

# ثبت المراجع


١ ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ·
الدكتور محمد محمد حسين · دار النهضة العربية ـ بيروت ـ الطبعة الثالثة ١٩٧٢ ·

٢ ـ الاخوان المسلمون والمجتمع المصري ·
محمد شوقي زكي · بدون اشارة الى تاريخ أو مكان الطبع ·

٣ ـ الاخوان المسلمون كبرى الحركات الاسلامية الحديثة ·
الدكتور اسحق موسى الحسيني · دار بيروت · الطبعة الاولى ١٩٥٢ ·

٤ ـ الاخوان المسلمون في حرب فلسطين ·
كامل اسماعيل الشريف · القاهرة · الطبعة الثانية ١٩٥١ ·

٥ ـ الاسلام ومشكلات الحضارة ·
سيد قطب · دار الشروق · بدون تاريخ ·

٦ ـ الأطياف الأربعة ·
سيد قطب بالاشتراك مع اخوته · بيروت · الطبعة الثانية ١٩٦٧ ·

٧ ـ أفراح الروح ·
سيد قطب · الدار العلمية · بيروت ·

٨ ـ أيام من حياتي ·
زينب الغزالي · دار الشروق · القاهرة · الطبعة الاولى ١٩٧٨ ·

٩ ـ التصوير الفني في القرآن ·
سيد قطب · دار الشروق · بلا تاريخ ·

١٠ ـ الثورة العرابية والاحتلال الانجليزي ·
عبد الرحمن الرافعي · مكتبة النهضة العربية · القاهرة · الطبعة الثانية ١٩٤٩ ·

١١ ـ جماعة ابوللو واثرها في الشعر الحديث ·
عبد العزيز الدسوقي · الهيئة المصرية العامة للتأليف · القاهرة · الطبعة الثانية ١٩٧١ ·

١٢ـ الحملة الفرنسية وخروج الفرنسيين من مصر ٠
الدكتور محمد فؤاد شكري ٠ دار الفكر العربي ٠ القاهرة ٠ بلا تاريخ ٠
١٣ـ الخطط المقريزية ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ـ ٠
أحمد بن علي المقريزي ٠ دار العرفان ٠ بيروت ٠ بدون تاريخ ٠
١٤ـ دراسات اسلامية ٠
سيد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠
١٥ـ سخريات صغيرة ٠
محمد قطب ٠ لجنة النشر للجامعيين ٠ مصر ٠ الطبعة الاولى ١٩٤٧٠
١٦ ـ سيد قطب ٠ خلاصة حياته ومنهجه في الحركة ٠ والنقد الموجه اليه٠
محمد توفيق بركات ٠ دار الدعوة ٠ بيروت ٠ بدون تاريخ ٠
١٧ـ سيد قطب أو ثورة الفكر الاسلامي ٠
محمد علي قطب ٠ دار الحديث ٠ بيروت ٠ الطبعة الثانية ١٣٩٥هـ ٠
١٨ـ الشهيد سيد قطب ٠
بقلم طائفة من الكتاب ٠ نشر جماعة اصدقاء الشهيد سيد قطب ٠ بدون تاريخ ٠
١٩ـ طفل من القرية ٠
سيد قطب ٠ الدار السعودية للنشر ٠ جدة ٠ بدون تاريخ ٠
٢٠ـ عصر محمد علي ٠
عبد الرحمن الرافعي ٠ مكتبة النهضة المصرية ٠ الطبعة الثانية ١٩٥١ ٠
٢١ـ على المحك ٠
مارون عبود ٠ دار العلم للملايين ٠ بيروت ١٩٤٦ ٠
٢٢ـ فقه الدعوة ٠ موضوعات في الدعوة والحركة ٠
أحمد حسن ٠ مؤسسة الرسالة ٠ بيروت ٠ الطبعة الاولى ١٩٧٠
٢٣ـ الفكر الاسلامي المعاصر ٠ دراسة وتقويم ٠
غازي التوبة ٠ الطبعة الاولى ١٩٦٩ ٠

٢٤ـ في تيار الحياة ٠
أمينه قطب ٠ دار مصر للطباعة ٠ القاهرة ٠ بدون تاريخ ٠
٢٥ـ في ظلال القرآن ٠
سيد قطب ٠ طبعة دار الشروق في ستة مجلدات كبار ٠
٢٦ـ في الادب الحديث ٠
عمر الدسوقي ٠ دار الكتاب العربي ٠ بيروت ٠ الطبعة السابعة ١٩٦٦ ٠
٢٧ـ كتب وشخصيات ٠
سيد قطب ٠ دار الكتب العربية ٠ بيروت ٠ بدون تاريخ ٠
٢٨ـ لعبة الامم ٠
مايلز كوبلاد ٠ تعريب مروان خير ٠ دار الفتح ٠ بيروت ٠ بدون تاريخ ٠
٢٩ـ لماذا اغتيل الامام الشهيد حسن البنا ٠
عبد المتعال الجبري ٠ دار الاعتصام ٠ القاهرة ٠ الطبعة الثانية ١٩٧٨ ٠
٣٠ـ محمد فريد ٠
عبد الرحمن الرافعي ٠ مكتبة النهضة المصرية ٠ الطبعة الثانيـــة ١٩٤٨ ٠
٣١ـ مذابح الاخوان في سجون ناصر ٠
جابر رزق ٠ دار الاعتصام ٠ القاهرة ٠ الطبعة الاولى ١٩٧٧ ٠
٣٢ـ مذكرات السلطان عبد الحميد ٠
ترجمة وتقديم وتحقيق وتعليق محمد حرب عبد الحميد ٠ دار الانتصار ٠ القاهرة ٠ الطبعة الاولى ١٩٧٨ ٠
٣٣ـ مذكرات سائح في الشرق العربي ٠
ابو الحسن الندوي ٠ مؤسسة الرسالة ٠ بيروت ٠ الطبعة الثانية ١٩٧٥ ٠
٣٤ـ المدينة المسحورة ٠
سيد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠

٣٥ـ مشاهد القيامة في القرآن ٠
سيد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠
٣٦ـ مصر والمسألة المصرية ٠
الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى دار المعارف بمصر بدون تاريخ٠
٣٧ـ مصطفى كامل
عبد الرحمن الرافعي ، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ الطبعة الثالثة ١٩٥٠ ٠
٣٨ـ مع سيد قطب في فكره السياسي والديني ٠
الدكتور مهدي فضل الله ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ١٩٧٨ ٠
٣٩ـ معركة الاسلام والرأسمالية ٠
سيد قطب ، الدار العربية للنشر ـ جدة ـ بدون تاريخ ٠
٤٠ـ معالم في الطريق ٠
سيد قطب ٠ دار دمشق ٠ بدون تاريخ ٠
٤١ـ من الشعر الاسلامي ٠
من رسائل جمعية الاصلاح الاجتماعي في الكويت ٠ رقم (٣) ٠
٤٢ـ منهج الفن الاسلامي
محمد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠
٤٣ـ مهمة الشاعر في الحياة
سيد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠
٤٤ـ الناصرية في قفص الاتهام
عبد المتعال الجبري ٠ دار الاعتصام ٠ الطبعة الأولى ١٩٧٩ ٠
٤٥ـ النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه
سيد قطب ٠ دار الشروق ٠ بدون تاريخ ٠
٤٦ـ نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر
سيد قطب ٠ الدار السعودية للنشر ـ جدة ـ الطبعة الثانية ١٩٦٩٠

# الدوريات

أكتفي بذكر اسماء الدوريات التي رجعت اليها • أما سنة الدورية ، ومجلدها • ورقم عددها وتاريخه • فقد سجلته في حواشي الصفحات عند الاشارة اليها :

١ ـ الأسبوع •
٢ ـ الاعتصام •
٣ ـ البلاغ الاسبوعي •
٤ ـ الثقافة •
٥ ـ الدعوة •
٦ ـ الرسالة •
٧ ـ الشهاب •
٨ ـ كلمة الحق •
٩ ـ الكتاب •
١٠ـ الكاتب المصري •
١١ـ العالم العربي •
١٢ـ دار العلوم •
١٣ـ المجتمع •
١٤ـ المسلمون •
١٥ـ المقتطف •

## المحتــــوى

مدينة جريلي بكولورادو بعنوان (العالم ولد عاق) «بني فكرته على الأسطورة المصرية القديمة التي تتضمن أن التاريخ كان في جولته التي يقوم بها لتتبع الأحداث وتسجيلها ، وقد جرى أن يسأل الآلهة عما يغمض عليه ، فشاهد امرأة تعلم طفلا ، فسأل الاله عن ذلك فأجابه بأن المرأة هي مصر ، وأن الطفل هو العالم • وترمز الأسطورة الى أن مصر هي أم الحضارات • وقال الأستاذ سيد : أن العالم بعد أن كبر عق أمه ومعلمته مصر • فأمريكا مثلا خذلتها في قضاياها السياسية ووقفت مع أعدائها»(١٥٢)•

وقد كان يتنافس رجال المخابرات الأمريكية والبريطانية ، كل في كسبه الى جانبه ، الأمريكيون منهم بوسائلهم الكثيرة لأغرائه واجتذابه ، والبريطانيون بوسائلهم التي يشككون فيها بنوايا الأمريكيين • حدثنا سيد عن وسيلة منها قائلا : (والكثير من الحاكمين في الدولة الأمريكية تخرجوا في المعاهد التبشيرية ، وهي حقيقة أفضى بها الي أحد الأساتذة الانجليز الذين التقيت بهم في أمريكا وعد لي عشرات من الأسماء البارزة في وزارة الخارجية الأمريكية وفي السلك السياسي ولم يكن يفضي الي بهذه الحقيقة بريئا لوجه الله ، وانما هو ـ كما عرفت فيما بعد ـ أحد رجال قلم المخابرات البريطاني ، الذين يهمهم الا يثق الشرقيون كثيرا في نيات أمريكا ، مما دعاني الى التشكك في بياناته لي فتحققتها بوسائل أخرى)(١٥٣) •

هذا الرجل الذي أشار اليه اسمه (جون هيوورث دن) وقد ادعى الاسلام وتسمى باسم (جمال الدين دن) وتزوج مصرية مسلمة اسمها فاطمة ، وقد عرض على سيد قطب ـ اغراء له ـ أن يترجم كتابه الجديد (العدالة الاجتماعية في الاسلام) الى الانجليزية مقابل عشرة آلاف دولار(١٥٤) • ولكن سيد قطب رفض العرض ، وأعطى الكتاب الى (المجلس الأمريكي للدراسات الاجتماعية) ليترجم مجانا • حيث قام بترجمته المستشرق يوحنا «جون•ب•هاردي» الأستاذ بجامعة هالفكس بكندا(١٥٥)•

---

(١٥٢) الرسالة ـ السنة الثامنة عشرة المجلد الاول ـ عدد ٨٦٨ تاريخ ٢ فبراير ١٩٥٠ • صفحة ٢٢٣ •

(١٥٣) معركة الاسلام والرأسمالية : ٩٧ ـ ٩٨ •

(١٥٤) اخبرني بهذا الاستاذ محمد قطب • وانظر حادثة أخرى له مع « جمال الدين دن » صفحة ١٣١ من هذا الكتاب •

(١٥٥) الرسالة السنة التاسعة عشرة المجلد الاول ـ عدد ٩٢٣ تاريخ ١٢ مارس ١٩٥١ صفحة ٣١٥ •